مشاهير قادة العالم



المارشال اللنبي

١٨٦١ - ١٩٣٦

تأليف
بسام العسلي

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ٨٠٧٩٠٠/١
برقياً - موكيالي بيروت - ص.ب : ٥٤٦٠/١١ بيروت

الطبعة الأولى ١٩٨٣



الماريشال اللنبي ـ ادموند

MARÉCHAL ALLENBY - EDMUND

تأليف

بسام العسلي



الفيلد مارشال اللنبي ١٨٦١ - ١٩٣٦

المقدمة

إذا عرف العالم إسم (اللنبي) خلال الحرب العالمية الاولى بسبب ما توافر له من الكفاءة القيادية فالعرب به أعرف، إذ أن هذا الاسم قد اقترن بالاستعمار الحديث الذي عرفته بلاد الشام تحت اسم (الانتداب). ولكن على الرغم من هذه المعرفة، فان الاضواء قد سلطت بدرجة كافية على النتائج السياسية لتلك الحرب (مثل معاهدة سايكس ـ بيكو) و(وعد بلفور) في حين بقيت الاعمال القتالية محجوبة ـ الا في نطاق ضيق وعلى المستوى العسكري العربي فقط ـ وفي الواقع، فقد اقترنت تلك الاعمال باسم مغامر (عرف باسم لورانس) طغى على سواه من المغامرين في الشهرة، بل وحتى على تلك المعارك التي مهدت لفتح بلاد الشام. **فهل كان ذلك عن عمد؟**

تستثير هذه الظاهرة، ظاهرة التعتيم على دور القوات البريطانية في فتح بلاد الشام ـ مجموعة من التساؤلات؛ لعل من أهمها: ترى هل أرادت أجهزة الاعلام الغربية ـ الاستعمارية ـ تحميل كل جرائم الاستعمار للعرب الذين دعموا الفتح البريطاني وساندوه ضد القوات

العثمانية ـ الاسلامية؟ أم هل أرادات تلك الأجهزة إظهار الثورة العربية بصورة مغامرة طارئة ارتسمت مخططاتها في الدوائر الاستعمارية الغربية؟

مهما كان عليه الموقف، فالتعتيم المتعمد على الاعمال العسكرية التي قادها (اللنبي) لم يحجب الجرائم السياسية التي جاءت في أعقاب الفتح البريطاني لبلاد الشام. لا سيما وأن هذه الجرائم ما زالت تعيش في قلب العالم العربي ـ بوجود الكيان الصهيوني الاستعماري. تلك هي ناحية، وناحية ثانية: فقد يكون من غير الطبيعي بالنسبة للقارىء العربي معرفة ما حدث في مسرح عمليات الغرب في الحرب العالمية الاولى ـ عبر لودندورف وفوش ـ وتجاهل تلك الأعمال القتالية التي كانت امتداداً للقتال في الغرب وتطويراً له.

لقد تميزت معارك الحملة البريطانية على بلاد الشام ـ من الناحية العسكرية ـ بمجموعة من الخصائص، لم يكن أقلها القدرة الحركية العالية للقوات، ولم يكن أقلها أيضاً التنظيم الدقيق للامداد الاداري، ولم يكن أقلها الكفاءة العالية في تنظيم القوات وادارة الحرب. ولكن بالرغم من ذلك، ترى هل كان باستطاعة القوات البريطانية تحقيق ما بلغته من النجاح لولا ذلك الدعم الكبير الذي تلقته من قبل العرب في مصر وبلاد الشام؟.

وهل كان باستطاعة قوات الحملة البريطانية مجابهة الجندي التركي الذي اشتهر بالكفاءة القتالية العالية، والصمود الرائع، لو لم تستنزف الحرب على كافة الجبهات قدراته وامكاناته؟ واذا كان الأمر كذلك ـ وهو كذلك فعلاً ـ فهل كانت النجاحات التي حققتها الحملة البريطانية الا استثماراً للنصر؟ ثم هل كان هدف الحملة في حد ذاته هو للهروب من الفشل الذي اصطدمت به عمليات القتال على جبهة الغرب. بحسب ما يراه كثير من الكتاب العسكريين الغربيين؟ ام كان الهدف السياسي لتمزيق وحدة العالم الاسلامي هو الهدف الأول لتوجيه حملة اللنبي؟.

قد يكون من الصعب فصل الهدف السياسي عن الهدف العسكري

(لحملة فلسطين). وقد يكون من الصعب أيضاً فصل عمليات الحملة عن عمليات الغرب ـ اوروبا ـ أو عن عمليات الحلفاء في قلب بلاد تركيا (القوقاز وغاليبولي وسالونيك). وفي الواقع، فان عمليات تجزئة العالم الاسلامي وتمزيقه والقضاء على وحدته قد بدأت قبل ذلك بقرن من عمر الزمن. فقد احتلت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠ واستولت بريطانيا على مصر سنة ١٨٨١، ولم تكن حرب القرم (١٨٥٤) إلا حلقة في سلسلة اخضاع الدولة العثمانية واضعافها، حتى إذا جاءت الحرب العالمية الاولى، مارست دور المسرع في التفاعلات التي انتهت بقيام الحملة البريطانية على بلاد الشام، والقضاء على الدولة العثمانية. ولقد كانت الحرب العالمية الاولى، في حد ذاتها، تعبيراً عن الصراع الاستعماري، فليس من الغريب أن يصل ذلك الصراع إلى كامل أبعاده، وذرى قممه.

واللنبي ذاته، لم يكن الا تلميذاً في مدرسة الحرب الاستعمارية، فقد عرفته ميادين الحروب الاستعمارية في (الزولو) و(البوير) قبل أن تعرفه (بلاد الشام). وإذن، فليس من الغريب أن يتم اختياره لقيادة أخطر الاعمال القتالية في أخطر الميادين.

وبعد، فقد يكون من الصعب الاحاطة بمجموعة ظروف الحرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ولقد عرف القارىء العربي كثيراً من الجوانب السياسية لهذه الحملة، بحكم متابعته المستمرة (للقضية العربية الفلسطينية) بصورة خاصة، وظروف الانتداب. كما عرف القارىء العربي كثيراً عن الثورة العربية الكبرى (بقيادة الشريف حسين) وما قامت به قوات الجيش العربي في تلك الحرب (التي نسبت ظلماً للثورة إلى لورانس العرب). وإذن، فسيتم التركيز هنا على الجانب الأقل شهرة، وهو الجانب العسكري. عسى أن يقدم البحث مزيداً من المعرفة لتلك الجوانب المظلمة.

والله أسأله التوفيق

بسام العسلي

الوجيز في حياة اللنبي
١٨٦١ - ١٩٣٦

١٨٦١ ولد اللنبي في لندن.

١٨٨٨ اشترك في حرب الزولو - في جنوب افريقيا.

١٨٩٩ - ١٩٠٢ اشترك في حرب البوير.

١٩١٤ قاد فرقة خيالة ارسلت من بريطانيا إلى فرنسا.

١٩١٥ تولى قيادة الفيلق الخامس البريطاني.

١٩١٦ - ١٩١٧ تولى قيادة الجيش البريطاني الثالث في فرنسا وخاض معركة السوم.

١٩١٧ تولى القيادة العامة للقوات البريطانية في مصر.

١٩١٧ - ١٩١٩ قاد عمليات البريطانيين ضد الاتراك العثمانيين في بلاد الشام.

١٩١٩ رفع إلى رتبة ماريشال.

١٩١٩ - ١٩٢٥ عين مفوضاً سامياً في مصر.

١٩٢٥ - ١٩٣٦ انصرف إلى الكتابة عن حملته ومن مؤلفاته (موقعة غزة الثالثة والاستيلاء على القدس) و(العمليات سنة ١٩١٩) و(موقعة المجيد والتقدم الى حلب) و(إجمالي الحملات العسكرية) وهي أقرب إلى الرسائل أو المقالات.

وجيز الاحداث على الجبهة العربية
١٩١٤ - ١٩١٨

سنة ١٩١٤

٥ - تشرين الثاني (نوفمبر) - اعلان الحرب على الدولة العثمانية.
٢٢ - تشرين الثاني (نوفمبر) - قيام القوات البريطانية باحتلال البصرة - العراق.
١٨ - كانون الأول (ديسمبر) - اعلان الحماية البريطانية على مصر.

سنة ١٩١٥

٣ - شباط (فبراير) - الهجوم التركي الأول على قناة السويس.
٦ - تشرين الثاني (نوفمبر) - بداية تحرك السنوسيين في ليبيا ضد الحلفاء.
٢٢ - تشرين الثاني (نوفمبر) - موقعة طيسفون في العراق.

سنة ١٩١٦

٢٦ - شباط (فبراير) - عملية عجاجيا (جبهة مصر).
١٩ - آذار - (مارس) - تكوين التجريدة المصرية (الحملة البريطانية).
٢٤ - نيسان (ابريل) - عملية القطية (جبهة مصر).
٢٩ - نيسان (ابريل) - استسلام تاونزند عند كوت العمارة (العراق) للعثمانيين.
٦ - حزيران (يونيو) - بداية الثورة العربية في الحجاز ضد الاتراك.
٤ - آب (اغسطس) - موقعة رمانة (جبهة مصر).

تشرين الاول والثاني ـ البريطانيون يستعيدون الواحات الغربية (مصر).
٢٣ ـ كانون الاول (ديسمبر) ـ عملية المغضبة (مصر).

سنة ١٩١٧

١١ ـ كانون الثاني (يناير) ـ عملية رفح.
٢٢ ـ كانون الثاني (يناير) ـ دخول الشريف فيصل ـ الوجه ـ.
٤ ـ شباط (فبراير) ـ البريطانيون يحتلون واحة سيوه (نهاية الحملة على السنوسي).
٢٦ ـ آذار (مارس) ـ موقعة غزة الاولى.
١٩ ـ نيسان (ابريل) ـ موقعة غزة الثانية.
٢٨ ـ حزيران (يونيو) ـ تولى الجنرال اللنبي القيادة ـ في مصر ـ.
٦ ـ تموز (يوليو) ـ القوات العربية ـ ومعها لورنس ـ تستولي على العقبة.
٣١ ـ تشرين الاول (اكتوبر) ـ البريطانيون يستولون على بير السبع.
٧ ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ـ سقوط غزة بيد البريطانيين.
١٤ ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ـ عملية محطة المواصلة.
٩ ـ كانون الاول (ديسمبر) ـ استيلاء البريطانيين على القدس.
٢٠ ـ كانون الاول (ديسمبر) ـ عبور البريطانيين نهر الاعوج.
٢٧ ـ كانون الاول (ديسمبر) ـ العثمانيون يقومون بهجوم مضاد على القدس.
* ـ تموز ـ كانون الاول ـ قيام القوات العربية بالاغارات على خطوط المواصلات التركية على امتداد الخط الحديدي ـ الحجازي (عمان ـ المدينة المنورة).
* ـ* ـ ٢٤ شباط (فبراير) ١٩١٧ ـ استيلاء البريطانيين على كوت العماره.
* ـ* ـ* ١١ آذار (مارس) ١٩١٧ ـ استيلاء البريطانيين على بغداد.

سنة ١٩١٨

٢١ شباط (فبراير) ـ استيلاء البريطانيين على أريحا.

٨ ـ ١١ ـ آذار (مارس) ـ تقدم البريطانيين نحو وادي الاردن.
٢١ ـ آذار (مارس) ـ الاغارة الاولى على شرقي الاردن.
٣٠ ـ نيسان (ابريل) ـ الاغارة الثانية على شرقي الاردن واستمرارها حتى الرابع من أيار (مايو). فيما كانت القوات العربية تتابع دعمها للقوات البريطانية بضرب مؤخرات الاتراك وخطوط امدادهم.
١٤ ـ تموز (يوليو) ـ الهجوم التركي ـ الالماني على أبو التلول.
١ ـ ١٨ ايلول (سبتمبر) ـ القوات العربية تعزل درعا وتطوقها.
١٩ ـ ايلول (سبتمبر) ـ قيام الفيلق ٢١ بهجوم حاسم، واختراق خط الدفاع التركي.
٢٣ ـ ايلول (سبتمبر) ـ البريطانيون يستولون على حيفا.
٣٠ ـ ايلول (سبتمبر) ـ الاستيلاء على دمشق.
٨ ـ تشرين الاول (اكتوبر) ـ الاستيلاء على بيروت.
٢٦ ـ تشرين الاول (اكتوبر) ـ الاستيلاء على حلب.
٣٠ ـ تشرين الاول (اكتوبر) ـ استسلام الجيش التركي السادس في العراق.
٣١ ـ تشرين الاول (اكتوبر) ـ الهدنة مع تركيا.
١١ ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ـ الهدنة في اوروبا وانتهاء الحرب العالمية الثانية.

* * *

«لقد كان اللنبي واحداً من أعظم القادة في كل العصور».

قادة الحرب - ص ١٥٨

الفصل الأول

١ - الموقف على جبهة الغرب.
٢ - الموقف على جبهة مصر.
٣ - الموقف على الجبهة التركية - العثمانية.
٤ - موقف بريطانيا.
٥ - طبوغرافية مسرح العمليات.

١ ـ الموقف على جبهة الغرب

انطلقت رصاصة في يوم ٢٨ حزيران ـ يونيو ١٩١٤ وسقط ولي عهد النمسا الارشيدوق فرانسوا فرديناند، وكان اغتياله كافياً لتفجير برميل البارود. وتسارعت الاحداث بصورة مذهلة، إذ لم يمض شهر واحد حتى اعلنت النمسا التعبئة العامة، ووقفت دول كتلة التحالف (فرنسا وانكلترا وروسيا) ضد كتلة دول (المانيا والنمسا ـ ثم ايطاليا) (او كتلة الدول المركزية). ومع بداية شهر آب ـ اغسطس ١٩١٤، أصبحت الحرب عالمية. إذ انضمت اليابان إلى كتلة دول الاتفاق ـ او التحالف ـ في ١٥ آب ـ اغسطس ثم انضمت تركيا إلى كتلة الدول المركزية في ٩ تشرين الاول ـ اكتوبر واحترقت سهول اوروبا وجبالها من تلك الشرارة التي أطلقها فدائي في سيراجيفو، ثم امتد اللهيب من أقصى الشرق ـ في اليابان ـ وحتى أقصى الغرب في أمريكا، مروراً بالعالم العربي. ولكن كيف حدث ذلك؟ . . .

اندفعت الفيالق الالمانية بأقصى سرعة تستطيعها على اتجاه الغرب، في محاولة لتدمير قوى دول التفاهم، ولكن زخم الهجوم أخذ في التناقص بتأثير النيران الفرنسية ـ الانكليزية، ولما يمض اكثر من شهر ونصف (وفي

يـوم ١٣ ايلول ـ سبتمبر عـلى وجـه التحـديـد) تـوقف الالمـان وجـابهـوا خصـومهم على نهر الايسن. ودارت معـركة مـواقع، ثم تـلاها فيـما بعد (السبـاق إلى البحر) حيث حـاول كل من الـطرفين المتصـارعـين تـطويق خصمه، مستخدماً فيالق جلبهـا من جناحيهـما الغربيـين المتقابلين. لكن أحدهما لم ينتصر على الآخر، وبلغا بحر الشمال في النهاية. وكان المدافع يظهر في كل مرة بأنه أقوى من المهاجم. وكان استخدام القذيفة والرفش والسلك الشـائك قـد سحق كل الهجمـات على الجبهـة الغربيـة. وكتب جنـدي من قلب المعركـة: «كان الاعـداء يظهـرون ويبدأون التقـدم. ولكنهم كانوا يتـوقفون فـوراً: لقد كـان من المحال أن نخـطىء اصابتهم بسبب وجود السترة الأمامية التي تستند إليها بنادقنا. فكان الهجوم ينتهي من قبل أن يبدأ. وكان في وسع عشرة رجال يحتلون خندقاً من الخنادق أن يوقفوا بسهـولة خمسـين ممن يحاولـون الاستيلاء عـلى الخندق». وهكـذا، واعتبـاراً من شهر تشـرين الاول ـ اكتوبـر ١٩١٤، وحتى آذار ـ مـارس ١٩١٨، لم ينجح أي هجوم مهما بلغت قوته أن ينقل خط النار لمسافة تزيد على ١٥ كيلومتراً، في الاتجاه، او الاتجاه المعاكس. الأمر الذي حمل اللورد كتشنر[١] على القول وهو في حالة من الـدهشة: «اني لا أعـرف ما ينبغي عمله، انها ليست حرباً!».

هكذا، وقفت الحرب أمام مأزق صعب لا مخـرج له الا بـاستعادة القدرة على الحركة. وكان حل المـأزق او الخروج منـه يتطلب بـالضرورة التغلب على المقاومة الثلاثية للقذيفة والرفش والسلك الشائك. وقد حاول العسكريون مجابهة المأزق بطرائقهم التقليدية: النار. فلجأوا إلى المدفعية في محاولة منهم لاحداث ثغرة في الجبهة الممزقة بخطوط الخنادق. ولو أنهم فكروا بما آلت اليه تجربة الحرب الـروسية ـ اليـابانيـة لسنة ١٩٠٥ لكـان باستطاعتهم تجنب المأزق الناجم عن زيادة تأثير القدرة النـارية لـلاسلحة

---

(١) اللورد كتشنر: (KITCHENER, LORD HERBERT) قائد انكليزي. ولد بالي لونغفورد (١٨٥٠ ـ ١٩١٦) برز اسمه في مصر والترانسفال، وأصبح سنة ١٩٠٢ قائـداً أعلى لجيش الهنـد، ثم أصبح حاكماً مقيماً في مصر، فوزيراً للحرب. وهو الذي نظم الجيش البريطاني سنة ١٩١٤.

الحديثة ـ الرشاشات ـ ولكان باستطاعتهم ايضاً مجابهة الموقف باستعدادات كافية ما دامت المشكلة ليست اكثر من مجرد خطوط من المنشآت الميدانية والتحصينات الصناعية. ولكن ليس بالمستطاع على كل حال الاستمرار في المناقشة على اساس الافتراضات باللجوء إلى (لو) انهم فعلوا أو لم يفعلوا، وانما يجب الاخذ بواقع الامور على نحو ما كانت عليه في خريف سنة **١٩١٤**. حيث كان العسكريون يفتقرون إلى ما يكفيهم من المدافع؛ ولم تتوافر لديهم القنابل الضرورية لفتح الثغرات بالنار. ولم يدرسوا أيضاً الطرائق التعبوية ـ التكتيكية ـ المناسبة لعمليات الاختراق. واهملوا تقدير قدرة المدفعية ذات الرمي السريع تقديراً صحيحاً، ولم يأخذوا بعين الاعتبار أن التموين بالذخائر يرتبط بالانتاج الصناعي. وفيما يتعلق بالفقرة الاخيرة، فان الحق يقتضي توجيه اللوم إلى رجال الدولة ـ لا إلى العسكريين. ولعل مما يجدر ذكره هو موقف **(لويد جورج)** في شهر كانون الثاني ـ نوفمبر **١٩١٤**، على سبيل المثال، عندما وقف مستهزئاً من المنذرين باحتمال قيام الحرب فقال: «انها أنسب فرصة ـ الآن ـ تتوافر منذ عشرين عاماً، لخفض نفقات التسلح» وكذلك موقفه يوم **٢٣** تموز ـ يوليو **١٩١٤** عندما تصدى لمناقشة الموازنة العامة في مجلس العموم فقال: «لقد باتت معارضة نفقات التسلح بمثابة حركة عامة ودولية، ولست واثقاً من أنها ستؤتي ثمارها في هذا العام أو العام المقبل، ولكنني واثق من نجاحها. ويمكنني ملاحظة رد الفعل وآثاره المميزة في العالم كله». وفي هذا اليوم ذاته، كانت النمسا توجه انذارها لصربيا، وهو الانذار الذي فجر الحرب العالمية الاولى. ويصبح من المتوقع على هذا الاساس أن يبدأ مخزون الذخائر للمدفعية بالنضوب، ولما يمض اكثر من شهر واحد على اندلاع نار الحرب، لان كل الاطراف المتصارعة أساءت تقدير مطالب العتاد الحربي، وكانت النتيجة أن منيت كل محاولات خرق الجبهة الغربية باخفاق ذريع، وبخسائر مذهلة في الارواح والعتاد.

وبطبيعة الحال، فقد كان باستطاعة رجال الدولة ـ السياسيين ـ من قادة الحلفاء وزعمائهم، توجيه اتهاماتهم للعسكريين (بالافتقار إلى الخيال) وكتب تشرشل: «لقد بقي فن الحرب صامتاً عندما وجد نفسه في طريق

مسدود» وقال لويد جورج: «لقد حير قرار الالمان بالتخندق جنرالات الحلفاء إلى حد كبير. . . واني لا أرى في أي مكان دليلاً يشير إلى أن قادتنا وادلاءنا العسكريين يدرسون خططاً لتخليصنا من وضعنا السيىء». **وكان غيظ هؤلاء الزعماء السياسيين من الهجمات العقيمة والانقضاضات المجدية، وجهلهم بالاعتبارات التعبوية ـ التكتيكية، سبباً مقنعاً لهم على الاقل لتبديل الجبهة، في محاولة منهم لاستعادة الحركية، كما لو أن موقع الجبهة هو الموقع الذي يجب ادانته بسبب الجمود.** وكان الشيء الذي عجزوا عن ادراكه هو أنهم لو وجدوا مكاناً آخر كانت فيه مقاومة العدو أقل من مقاومته على الجبهة الغربية، فلن تكون المسألة بالنسبة اليهم سوى مسألة وقت ينقضي حتى تعود الشروط التعبوية ـ التكتيكية ـ ذاتها. فقد كانت القذيفة والرفش والسلك الشائك هي الأعداء على كل الجبهات. وكان موقعها الجغرافي امراً عارضاً. وبالاضافة إلى ذلك، فان تبديل مسرح العمليات، كما اشار نابليون إلى ذلك: «مهمة من أصعب المهام وأدقها، ولا ينبغي بالتالي اللجوء اليها عن رضى وطواعية».

لقد أعطى كلاوزفيتز رأيه في الحرب ضد حلف من الدول، فقال: «بأن الهدف الذي ينبغي تحقيقه في هذه الحالة هو هزيمة الشريك الرئيسي، لاننا عندما نوجه الضربة إلى الحليف الأقوى، فانما نوجهها لاننا نضرب فيه مركز الثقل العام للحرب كلها». واذا ما تم قبول هذا الرأي، فقد كان هدف الحلفاء في سنة ١٩١٤ يجب أن يكون الحاق الهزيمة بألمانيا، لأن هزيمتها تؤدي إلى هزيمة كل حلفائها. ففي أي مكان يمكن ضرب ألمانيا للحصول على اكبر فائدة ممكنة؟ إن الجواب على هذا السؤال يرتبط بأسهل خطوط العمليات من الناحية العملية بالنسبة للحلفاء الذي يتحكم فيها موقع قواعدهم الرئيسية. وكانت هذه القواعد هي فرنسا وبريطانيا العظمى، ولا يوجد هناك أرض أخرى غير فرنسا، تسمح بنشر وتموين كتل ضخمة مسلحة في الميدان في ذلك الوقت. إن القواعد الرئيسية، ومسرح الحرب الرئيسي محددان بالجغرافيا والامداد الاداري ـ اللوجيستيك ـ وليس هناك من قضم للجبهة يستطيع أن يبدل أي شيء. كما أنه لم يكن للحلفاء سياسة مشتركة توجههم في ادارة الحرب. فقد كان

(الجنرال جوفر)[1] يلح على حشد كل القوى المتوافرة لفرنسا للحرب في فرنسا ذاتها. وكذلك، فعندما استقرت الجبهة وتحولت إلى الجمود، اقترح حليفه البريطاني سلسلة من الخطط الغامضة والمبهمة والتي تجلب النصر - على حد زعمه. وفي فرنسا، اقترح السير (جون فرينش)[2] عملية مشتركة للقوات البرية والبحرية للاستيلاء على (اوستانديبروج) والالتفاف على الجناح الالماني. واقترح اللورد (فيشر)[3] اميرال البحرية البريطانية هجوماً مماثلاً على ساحل شلزفيغ - هولشتاين. وألح معلمه المستر تشرشل اللورد الأول في الاميرالية على القيام بغزو للدردنيل. على حين اقترح المستر (لويد جورج) في الاول من كانون الثاني - يناير ١٩١٥ استدعاء فيلق الغزو البريطاني من فرنسا، وارساله إلى البلقان[4]. مع الاحتفاظ بقوات احتياطية في بولوني وفي انكلترا. وفي هذه الاثناء، ارسلت الحكومة الهندية - تحت اشراف وزير الدولة لشؤ ون الهند - لواء إلى الخليج العربي لحماية مصافي شركة الزيوت الايرانية في جزيرة عبدان، واهتم زميله لشؤ ون المستعمرات بشن حروب صغيرة في أفريقيا.

كان تشرشل هو الزعيم القوي لاولئك الذين كانوا يريدون التخلص من الجمود المهيمن على الجبهات. وبدأ مشروعه باقتحام الدردنيل واحتلال القسطنطينية والبوسفور في الفوز على سائر مشروعات منافسيه، عندما انضمت تركيا إلى الدول المركزية. وفي ٢ كانون الثاني -

---

(١) الجنرال جوفر (JOFFRE, JOSEPH - JACQUES - CÉSAIRE) ماريشال فرنسا (١٨٥٢ - ١٩٣١) برز اسمه في طونكين والسودان ومدغشقر، أصبح قائداً عاماً للجيوش الفرنسية سنة ١٩١٤ حتى سنة ١٩١٦، وانتصر في معركة المارن الاولى (ايلول - سبتمبر ١٩١٤).

(٢) جون فرنيش (FRENCH - JOHN) ماريشال بريطاني وكونت الايبر (١٨٥٢ - ١٩٢٥) تولى قيادة الجيوش البريطانية على الجبهة الفرنسية في السنتين الاولى والثاني (١٩١٤ - ١٩١٥) من الحرب العالمية الاولى.

(٣) اللورد فيشر (FISHER, JOHN ABRUTHNOT) اميرال انكليزي (١٨٤١ - ١٩٢٠) تولى قيادة الاسطول البريطاني في بداية الحرب العالمية الاولى.

(٤) اقترح لويد جورج تنظيم جيش من (٤٠٠) ألف مقاتل وحتى مليون وستمائة الف، يفترض ان يكون منهم اربعمائة الف من الرومانيين واليونانيين ومن مونتينيغرو، بهدف مهاجمة النمسا في أضعف نقاطها.

يناير ١٩١٥، وجهت روسيا نداء غير متوقع أعطاه الأفضلية. ففي هذا اليوم، طلب الفراندوق نيقولاي من البعثة العسكرية البريطانية المنتدبة إلى مقره العام، أن تقترح على اللورد كيتشنر تخفيف الضغط عن كاهل الروس، اذا أمكن، على جبهة القفقاس، بتنظيم تظاهرة بحرية أو عسكرية ضد تركيا. وقد أبرق كيتشنر رداً على ذلك بالموافقة على اجراء هذه التظاهرة دون العودة إلى مجلس الدفاع ولا إلى رئيس الوزراء، ولكن بموافقة تشرشل. هذا وقد طلب اللورد كيتشنر في الوقت ذاته إلى السير جون فرينش رأيه عن ملاءمة العمليات على مسارح اخرى غير الجبهة الغربية. فاجابه السير جون: «إن مهاجمة تركيا تعني لعب اللعبة الألمانية والوصول إلى الهدف الحقيقي الذي كانت ترمي اليه ألمانيا عندما اقنعت تركيا بالدخول في الحرب ـ وهو جذب القطعات خارج الهدف الحاسم الذي هو ألمانيا ذاتها». **وهكذا بدأت حملة الدردنيل**. ونجح مستر تشرشل، بما عرف عنه من قوة في الحجة وبلاغة في التعبير، في اقناع مجلس الدفاع بقبول هذا المشروع بشكل قصف محلي في يوم ١٣ كانون الثاني ـ يناير. وقد تحول المشروع فوراً إلى عملية بحرية بشكل خاص، لاقتحام المضائق، وتطورت في النهاية لتغدو عملية مشتركة واسعة النطاق تشتمل على اسطول قتال وجيش مؤلف من (٧٥) ألف جندي بقيادة الجنرال السير (ايان هاميلتون). ونفذ هجوم بحري دون أي نجاح في ١٨ آذار ـ مارس وخسر المهاجمون فيه ثلاثة مراكب قتال، ولم يبدأ الجيش بالانزال على اليابسة ـ في جسر هيلليس [١] ـ الا في اليوم ٢٥ نيسان ـ ابريل. ومع أن القوات التركية التي جابهت الغزو كانت قوات ضعيفة، الا أن المهاجمين لم يحققوا تقدماً كبيراً الا قبل غروب شمس النهار. واقترح قائد الفيلق الاوسترالي والنيوزيلاندي ـ الجنرال السير ويليام بيردود ـ سحب القطعات بكاملها، إلا أن السير (ايان هاميلتون) رد على هذا الاقتراح المعبر عن

---

(١) جسر هيلليس HELLESPONT وهو الاسم القديم للدردنيل DARDANELLES أو غاليبولي: GALLIPOLI وهو المضيق الذي يصل بين البلقان والاناضول، ويجمع الارخبيل الى بحر مرمرة (أو القسم الاوروبي من تركيا بالقسم الآسيوي. وقد نصت معاهدة مونترو في العام ١٩٣٦، على تحييد مضائق الدردنيل وجعلها منطقة منزوعة السلاح تحت حكم تركيا).

اليـأس بقولـه: «**لقد حققتم المهمـة الصعبـة، وليس عليكم الآن إلا أن تحفروا، فاحفروا، واحفروا، إلى ان تصبحـوا في أمان**». وهكـذا، وفي خلال اثنتي عشرة ساعة بعد عملية الانزال الاولى، عادت طلقة البندقية والـرفش والسلك الشائـك لتسيطر عـلى الموقف. واقيمت جبهـة غريبـة استمرت حتى تم الجلاء النهائي في **٩** كانون الثاني ـ يناير **١٩١٦**. واشترك في هـذه الحملة (**٤١٠**) آلاف جندي انكليـزي وفرنسي، وقـع من بينهم (**٢٥٠**) ألف جنـدي بين قتيـل وجريـح وأسير ومفقـود، أو مـات بسبب الاوبئة، أو تم اجلاؤ هم لاسباب صحية.

يـظهر أن حملة غـاليبولي لم تكن درسـاً كافيـاً للعزوف عن تجـارب اضافية في مجال (استراتيجيـةالتخلص)(*) فقررت الحكـومتان البـريطانيـة والفرنسية إرسال حملة لغـزو سالـونيك ـ ومعـاونة الصـربيين. وأرسلت فرنسا فيلقاً للاشتراك بهذه الحملة بقيادة (الجنرال ساراي)[1].

بدأت القوات الانكليزية بالانزال على أرض سالونيك يوم **٣** تشرين الاول ـ اكتوبر **١٩١٥**. وكانت النتيجة حدوث حملة الحلفاء المقدونية، أو على حد تعبير الالمان: «**تشكيل اكبر معسكر اعتقال للحلفـاء ضد جيش معاد أسر نفسه بنفسه**». **وكتب الجنرال ادموند «أنه خلال ثلاث سنوات حُبس جيش كبير للحلفاء حول سالونيك، وكان متوسط تعـداد القوات الانكليزية في العام ١٩١٧ ما يقارب ـ ٢٦٥, ٢٠٢ ـ جندي، بالاضافـة إلى الجنود الفرنسيين والايطاليـين والروس والصـربيين. أي أن مجمـوع القوات قد زاد عـلى ـ ٦٠٠ ـ ألف جندي، وأوقف هـذا الجيش بنصف**

(*) استراتيجية التخلص: «(STRATEGIE D'ÉCHAPPATAIRE)».

(١) ساراي: (SARRAIL, MAURICE) جنرال فرنسي من مواليد قرقشونة CARCASSONNE (١٨٥٦ ـ ١٩٢٩) مارس دوراً هاماً في معركة المارن ١٩١٤ حيث كان قائداً للجيش الثالث. وتولى في سنة ١٩١٥ قيادة جيش الشرق فنظم معسكر سالونيك. وكان سبب ارساله للتخلص منه نظراً لنفوذه الكبير على اليسار الذي كان يهدد باسقاط الحكومة. وعين مندوباً سامياً في سوريا من ٢ كانون الثاني ـ يناير وحتى ١٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٢٥ بمهمة القضاء على الثورة السورية. وارتكب من الفظائع الوحشية ما حمل أحد مجاهدي الثورة على القول:

ساراي اذكرتنا تيمور منتقماً بل أنت والله أقسى حين تنتقم

الجيش البلغاري مع بعض الجنود الالمان». ومرة أخرى، بدت المقاومة الثلاثية للدفاع قوة لا تقهر، وكانت نتيجة هذا العمل التملصي (٢٦,٧٥٠) قتيلاً في المعارك بالاضافة إلى المرضى الذين دخلوا المستشفيات والذين بلغ عددهم (٤٨١,٢٦٢) مريضاً.

كان اللواء المنعزل في عبدان قد أصبح في هذا الوقت جيشاً هدفه احتلال بغداد للتعويض عن الفشل الذي لازم القوات في غاليبولي وسالونيك. وهكذا اتخذت حملة ما بين النهرين شكلها. غير أن نصيب هذه الحملة من الفشل لم يكن أفضل من الحملات على المسارح الاخرى، فقد نجح الاتراك في تطويق (الجنرال تاونشند ـ أو طاوزند)(*) في كوت العمارة بتاريخ ٧ كانون الاول ـ ديسمبر ١٩١٥. وفي ٢٩ من نيسان ـ ابريل ١٩١٦، استسلم للاتراك (١٠,٠٦١) جندي انكليزي وهندي و(٣٢٤٨) نصيراً، وكلفت محاولة الاستيلاء على بغداد، الامبراطورية البريطانية أربعين الف قتيل. وبلغ عدد المطعمين من القوة في ايلول ـ سبتمبر ١٩١٧م، ما يقارب (٣٤٠) ألف جندي، وتجاوز هذا العدد في العام ١٩١٨ (٤١٤) ألف جندي، كان من بينهم (٢١٧) ألف غير مقاتل. وبلغت الخسائر (٩٣,٥٠٠) جندي. كانت العملية التشتيتية الرابعة هي عملية قناة السويس. وكان (لويد جورج)[1] قد طرح منذ البداية، فكرة القضاء على المانيا عن طريق سحق حلفائها ـ وهو عكس المبدأ الذي نادى به كلاوزفيتز ـ وكلف هيئة أركانه التي لم تكن تمتلك شيئاً من الحماسة لتوسيع العمليات في قناة السويس ـ بتوسيع العمليات لتشمل فلسطين، مع احتلال القدس كهدف رئيسي.

٢ ـ الموقف على جبهة مصر.

كان ارتباط مصر بالخلافة العثمانية يضعف يوماً بعد يوم منذ أيام

(*) تاونشند: TOWNSHEND.

(١) لويد جورج داود: (LLOYD, GEORGE DAVID) رجل دولة انكليزي، (١٨٦٣ ـ ١٩٤٤) كان زعيماً لليبيراليين، وأصبح وزيراً للتسلح في الحرب العالمية الاولى ثم رئيساً للحكومة الائتلافية، ومارس دوراً كبيراً في صياغة معاهدة فرساي.

محمد علي باشا (١٨١١ ـ ١٨٤٨) غير ان سياسة البريطانيين الاستعمارية أدت إلى نفور الشعب المصري من الحكم الاستعماري ونقمته عليه، ولم تكن ثورة عرابي باشا (سنة ١٨٨١) الا تعبيراً عن هذا النفور. ولكن ذلك لا يعني توافر الرغبة لـدى جماهـير الشعب المصري لـدعم الامبراطـورية العثمانية، وهكذا فعندما اندلعت نار الحرب العالمية الاولى، كـان موقف الشعب المصري هو موقف المتفرج على احداث وصراعات لا تمسه مباشرة الا بقدر ما تحقق له من مكاسب. ولو أن مراكز القوى الدينية التي باتت مقيدة بقيود الحكم المصري ـ الانكليزي محتفظة بولائها العاطفي والاسمي لدار الخلافة. وقد حاولت الخلافة العثمانية دعم هذا الشعـور واذكاءه، غير أن الموقف هنا يرتبط بالقدرة المـادية (عسكـرياً وسيـاسياً واقتصـادياً) وكانت بريطانيا اكثر قدرة في مصر ـ بعد اقامتها الطويلة فيها، ومعـرفتها الوثيقة بها فكان من المتوقع أن تفرض بريطانيا سيطرتها بشكل كامل على مقدرات مصر وامكاناته.

وكـان الموقف في بـلاد الشام (فلسـطين والاردن وسـوريـا ـ وحتى العراق) مرتبطاً بالدولة العثمانية غير أن ظهور النزعات القومية ـ الطورانية ـ أدت إلى ضعف الـروابط التـاريخيـة التي كـانت قـائمـة بـين الشعـوب الاسلامية، وقد أدت سياسـة التتريـك التي ظهرت بشكـل حاد في فتـرة اندلاع الحرب إلى خلق انفصال في المشاعر بين الشعب العـربي والشعب التركي ووصل هذا الانفصال غايته باقدام جمـال باشـا على اعـدام زعماء العـرب في السادس من أيـار ١٩١٦. وكان لـذلك تـأثيره الكبـير ودوره الحاسم في مسيرة الاعمال القتاليـة للطرفين المتصـارعين الحلفـاء والدول المركزية. غير أن الحدثين اللذين مارسا دوراً اكبر وتأثيراً اعظم هما: الثورة السنوسية والثورة العربية الكبرى.

أ ـ الثورة السنوسية:

السنوسية هي إحدى التنظيمات الدينية الاسلامية، نشأت منذ منتصف القرن التاسـع عشر، أنشـأها شيـخ تقي من شيوخ الصحـراء الكبرى، بهدف احياء اصول الدين الاسلامي بين قبـائل الصحـراء. وجمع شمـل



جميع مسلمي شمال افريقيا، وسرعان ما انتشرت الطريقة السنوسية، وأصبح لها زواياها ودعاتها، وكان مجال عملها الاساسي مركزاً على القبائل الضاربة في صحراء ليبيا، بداية من جنوب طرابلس وبرقة، وحتى غرب السودان المصري ـ الانكليزي. وكان أتباع الطريقة السنوسية منتشرين في مصر والسودان وفي جهة متفرقة من أفريقيا وبلاد العرب. ولم يكن السنوسيون متعصبين ولا متطرفين، ولم يكن لهم من نشاط عسكري الا مقاومة الاستعمار الايطالي والفرنسي في المغرب العربي ـ الاسلامي، واشتركوا مع المسلمين الاتراك في مقاومة ايطاليا في برقة ـ ليبيا ـ سنة

١٩١١، واستمر جهادهم ضد الايطاليين من غير هوادة. وعندما اندلعت نار الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤، وجد الاتـراك والالمان في الثـورة السنوسية وسيلة فعالة لارباك اعدائهم الانكليز في مصر والسودان. فقام عدد من الضباط الاتراك والالمان ـ من بينهم نوري بك شقيق انور باشا وجعفر باشا أحد عرب بغداد الاكفاء ـ بنشاط كبير في صيف سنة ١٩١٥، لاقناع احمد السنوسي ـ زعيم الطريقة ـ بالهجوم على مصـر. ولكن أحمد السنـوسي قاوم طـويلاً هـذه المحاولـة، غير أن انضمـام ايطاليـا ـ عدوة السنـوسيين الاولى ـ الى الحلفـاء، أعـطى الاتـراك حجـة قـويـة لاقنـاع السنوسيين بالعمل ضد الانكليز. وأخذت الاسلحة والذخائر في الوصول إلى برقة ـ ليبيا ـ وانطلق السنوسيون للعمل من قاعدتهم الصحراوية.

تمتد الصحراء الكبـرى إلى الغرب من وادي النيـل، وهي منطقـة ذات رمال ناعمة متحركة، وتوجد بها على بعد (١٥٠) كيلومتراً تقريبـاً، مجموعة من الواحات وهي: البحرية والفرافرة والداخلة والخارجة، والتي تمتد على مسافة (٧٥٠) كيلومتراً من البحر الأبيض المتوسط ونحو الجنوب. ويوجد بحذاء الشاطىء غرب الدلتا سهل ضيق يزرعه البدو، وينتشرون فيه، ويسير عليه الخط الحديدي الذي يبلغ طوله مائة وخمسون كيلومتراً ـ من الاسكندرية إلى الضبعة، ومن هناك درب ممهـد ـ كان يسمى طـريق السيـارات الخديـوي ـ إلى مرسى مـطروح وبراني والسلوم، وتبعـد هذه عن الاسكنـدرية مسـافـة ٣٧٥ كيلومتـراً تقـريبـاً، ويقـع جنـوب ذلـك السهل جرف صخري مرتفع، شديد الانحدار عند السهل. وهذا الجرف هو نهاية هضبـة صحراويـة صلبة تمتد إلى ما يزيد عن ٢٢٥ كيلومتراً حتى واحة سيوه معقل السنوسيين والتي يسهل على محاربي البدو الوصـول منها للواحـات الاخرى غـرب النيل. وكـانت الخـطة التي فكـر فيهـا الألمـان والأتراك ترمي الى التقدم على مصر بطريق الساحل، والقيام بتقدم آخر في الـوقت ذاته من واحـة سيوه بـطريق الواحـات الغربيـة، وقيـام سلطان دارفور في أقصى السودان بثورة، في هذا الوقت ذاته أيضاً، والزحـف على الخـرطوم. غـير أن هذه الخـطة لم تنفذ بشكـل جيد، فـوقعت الهجمات بصورة مفككة وغير متصلة. ولم يكن الانكليز يخشون القوة العسكـرية

للسنوسيين قدر خشيتهم للنفوذ المعنوي والسلطة الروحية التي كانت لزعيم السنوسيين. لا سيما وأن ثورة المهدي قد تركت في نفوس البريطانيين جراحات لا تندمل.

بدأت الاعمال القتالية على المنطقة الساحلية في شهر تشرين الثاني - نوفمبر ١٩١٥، فأخليت السلوم وبعض المراكز الاخرى، وأصبحت مرسى مطروح هي قاعدة العمليات البريطانية، وكانت القوات البريطانية تضم لواء راكباً ولواء مشاة مع بعض الوحدات من جنوب أفريقيا ونيوزيلانده. أما قوات السنوسيين فكانت تضم ٥٠٠ جندي نظامي (دربهم جعفر باشا) وقوات من رجال القبائل ومعهم بعض المدافع والرشاشات. ووقعت معارك عديدة كان النصر فيها سجالاً حتى يوم ١٤ آذار - مارس ١٩١٦ حيث نجحت القوات البريطانية في استعادة السلوم. ثم طورت عملياتها، وأمكن لها السيطرة على الواحات في تشرين الاول - اكتوبر ١٩١٦. وفي أوائل شباط - فبراير ١٩١٧ هاجمت القوات البريطانية قاعدة احمد السنوسي في (سيوه) وتمكنت من القضاء على آخر معاقل المقاومة. وكان السبب الاول لفشل السنوسيين هو اعتمادهم على اساليب الحرب النظامية التي دربهم عليها جعفر باشا، الذي لم يلبث ان انتقل إلى العمل مع الثورة العربية بعد أن وقع اسيراً في قبضة الانكليز(*) فالقي به سجيناً في القلعة بالقاهرة.

ب - الثورة العربية.

كانت المانيا تأمل يقيناً في مضايقة بريطانيا وفرنسا في بقاع كثيرة من العالم عن طريق ضم تركيا إلى جانبها والتحالف معها، مستثمرة المكانة المعنوية للخليفة العثماني، ومستفيدة من العداء الذي باتت تحمله جماهير المسلمين ضد الصليبيين الجدد - الاستعماريين من فرنسيين وايطاليين

(*) وقع جعفر باشا في الاسر يوم ٢٠ شباط - فبراير ١٩١٦ (أثناء عمليات استعادة السلوم وحاول الفرار، فكسرت قدمه، واعيد الى القلعة، ثم تطوع للعمل مع الامير فيصل وأصبح قائداً لقواته النظامية. ومنح وساماً لخدماته للحلفاء، وعين بعد ذلك وزيراً للحربية، ثم رئيساً لوزارة العراق أيام فيصل. وعرف باسم (جعفر باشا العسكري).

وبريطانيين. وكان أمل الالمان كبيراً في أن تبقى جماهير المسلمين على الحياد، إن لم تدعم بشكل فعال الجهود الحربية للتحالف الالماني ـ العثماني. وقد نجحت الجهود الاسلامية في الواقع بتصعيد شعور العداء ضد بريطانيا في ايران وافغانستان والجزيرة العربية وغيرها. غير إن السلطات البريطانية تمكنت من مقاومة الدعاية وحماية المصالح البريطانية.
وكانت الجزيرة العربية، بكياناتها الثلاثة (الحجاز والعسير واليمن) تابعة اسمياً لدار الخلافة العثمانية، غير أن شريف مكة ـ الامير حسين ـ أظهر رغبته في التحرر من سيطرة الاتراك العثمانيين، وأسرعت بريطانيا لاستثمار هذا الموقف، ووعدت الشريف حسين بدعمه مادياً لتحقيق أهدافه. **الحجاز** هو أرض المسلمين المقدسة، ويمتد من جنوب خليج العقبة مباشرة إلى جنوب جدة، ميناء مكة، وينتهي الخط الحديدي الحجازي الذي يبدأ من دمشق، في المدينة المنورة التي تبعد شمالاً عن مكة مسافة ٣٨٠ كيلومتراً تقريباً. أما ولاية **العسير** فهي الارض الجرداء والصخرية الواقعة جنوب الحجاز، وكان حاكمها ادريس السيد عدواً لدوداً للاتراك. وتمتد **اليمن**، وعاصمتها صنعاء وميناؤها الحديده، من جنوب العسير حتى عدن التي كانت تحت الحكم البريطاني. وكان حاكم اليمن ـ الامام يحيى حميد الدين ـ يتمتع بكفاءات قيادية عالية، قاد صراعاً عنيفاً ضد الاتراك، وأرغمهم بعد حروب طويلة كلفتهم كثيراً، أن يوقعوا معه معاهدة بشروط تناسبه كثيراً، وكان ذلك قبل اندلاع نار الحرب العالمية الاولى. وقد بقي الامام يحيى وفياً لاتفاقه مع الاتراك طوال الحرب، وآوى الحامية التركية اليه وحافظ عليها، ولو أنه لم يقدم للاتراك مساعدة فعالة.
ولم يكن للاتراك قوات تذكر في هذه الولايات الثلاث ـ خارج المدن الرئيسية ـ فكانت حاميتها بالحجاز مكونة من فرقة واحدة ـ الفرقة ٢٢ ـ مقابل فرقة واحدة في العسير ـ هي الفرقة ٢١ ـ بالاضافة إلى فرقتين في اليمن هما ـ الفرقة ٣٩ والفرقة ٤٠ ـ وقد نجح الحصار البحري الذي ضربه الانكليز في عزل الحاميات التركية بالعسير واليمن. وقد قامت الحامية الموجودة باليمن في شهر تموز ـ يوليو سنة ١٩١٥ بهجوم على عدن، وهددوا قناة القلعة، مما حمل البريطانيين على ارسال لواء من مصر

لمجابهتهم. ولم تقع بعد ذلك، وحتى نهاية الحرب أي حوادث مهمة في ذلك الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة. فقد اكتفى البريطانيون بالسيطرة على القلعة، ولم يحاولوا طرد الاتراك الذين كانوا محتلين خارجها.

انتهت المفاوضات التي دارت مع الشريف حسين، منذ اعلان تركيا الحرب، باتفاق وضعه المعتمد البريطاني في مصر السير ماكماهون، في تشرين الاول ـ اكتوبر سنة ١٩١٥. وكان هدف الشريف حسين هو اقامة دولة عربية واحدة تشمل الجزيرة العربية بولاياتها الثلاث (الحجاز والعسير واليمن) بالاضافة إلى بلاد الشام (العراق وفلسطين وسوريا). وقد وافقت بريطانيا على مبدأ استقلال العرب، مع التحفظ ببعض الشروط، بحجة ارضاء فرنسا التي كانت تهتم بمستقبل سوريا. ولم يعلن الشريف حسين عن حركته في الحال، وانما بدأ بوضع خطته للقيام بثورة عامة يضطلع بها العرب في سوريا، وعجل في قيامها أخيراً اضطهاد جمال باشا وتدابيره القاسية التي اتخذها ضد زعماء الحركة العربية بسوريا. كما عجل بقيام الثورة أيضاً ارسال (٣) آلاف جندي تركي وصلوا إلى المدينة المنورة في أيار ـ مايو سنة ١٩١٦، في طريقهم لدعم الفرقتين ٣٩ و٤٠ باليمن.

نشبت الثورة العربية يوم ٥ حزيران ـ يونيو ١٩١٦. وكانت أغلبية حامية مكة بالمعسكرات الصيفية بالطائف ـ على التلال الواقعة جنوب شرقي مكة المكرمة. وقد نجحت قوات الثورة العربية في إنهاء أمر القوات القليلة التي كانت في مكة، كما سلم الذين كانوا بجدة أنفسهم لقوات الثورة في ١٦ حزيران ـ يونيو وكذلك فعلت القوات التي كانت بالطائف ـ بعد أن استمرت في المقاومة حتى الاسبوع الثالث من ايلول ـ سبتمبر. غير أن محاولات الثورة للاستيلاء على المدينة المنورة باءت بالفشل نتيجة لصمود قائد حاميتها فخر الدين باشا، الذي اشتهر بالبأس والحزم والوفاء لقيادته، ولما عجزت قوات البدو عن اقتحام خنادق القوات النظامية، وطال أمد الحصار، أخذت قواتهم بالتفرق عن المدينة. وتلقت الحامية التركية المدافعة عن المدينة قوات دعم جديدة ـ مع نهاية سنة ١٩١٦ ـ وبات

باستطاعتها تجريد حملة لاستعادة السيطرة على مكـة المكرمـة. ولهذا يمكن القول بأن الأشهر الاخيرة من سنة ١٩١٦ كانت من أحرج الفترات التي مرت بالثورة العربية وأصعبها. وكانت ادارة الاعمال القتالية في الحجاز، في ذلك الوقت، تابعة لامين سر الجيش المصري وحاكم السودان العام - السير ريغنالد وينغيت - وكان يعمل بمكتب العرب وقتئذ (النقيب لورنس - والذي وصل فيما بعد لرتبة عقيد)[1]. وقد اقترحت الحكومـة البريـطانية ارسال لواء هنـدي إلى - رابغ - عـلى البحر الاحمـر لمجابهـة المأزق الـذي تعرضت له الثورة العربية، واحباط الجهود التركيـة التي كادت تنجـح في استعادة السيطرة على مكة المكرمة. ولكن نصيحة المعتمد البريطاني هنري ماكماهون وامين سر الجيش وينغيت بارسـال اللواء الهندي، اصـطدمت بمعارضة السير ارشيبا لاموري والمكتب العربي، وبقي القرار معلقاً. وأثناء ذلك نجح لورنس في الوصول إلى معسكر الامـير فيصل - الابن الثـالث للشريف حسين - الذي كان يتولى قيادة القوات العربية في مواجهة المدينة المنورة. وأمكنه بفضل تجاربه القليلة التي حصل عليها - عن الحجاز - أن يقـدم أدلة مقنعـة تؤيد وجهـة نظر المكتب العـربي (أو بالاحـرى مكتب الاستخبارات البريطاني). وكانت وجهة النظر هذه تتلخص بانـه من غير المفيـد لقوات الثـورة العربيـة الاصطدام بـالتحصينات المحيـطة بالمـدينة المنورة، او الاشتباك مع الحامية المدافعة عنها. وانه من الاجدى والأنفـع تركيز الجهد لنشر الثورة تدريجياً على اتجاه الشمال حتى القدس، وأن يتم الاعتماد على الدعاوة بالدرجة الاولى، وتنظيم الاغـارات والكمائن عـلى خطوط مواصلات الاتراك - العثمـانيين - الـطويلة ما بـين درعا والمـدينة المنورة. وكان من رأي المكتب (المسمى بالمكتب العربي) أن الاستيلاء على المدينة يخلص الأتراك من حيرة عسكرية في حين أن بقاء الحـامية التـركية

---

(١) لورانس (LAWRENCE, THOMAS - EDWARD) ضابط انكليزي وكاتب، من مواليد (بورت - مادوك PORT - MADOC) (١٨٨٨ - ١٩٣٥) عمل جاسوساً بريطانياً في البلاد العربية، وألف كتاب (اعمدة الحكمة السبعة) وأثار اسطورة تزيد كثيراً على حجم اعماله. ويمكن الرجوع الى بعض سيرة حياته في كتاب (المخفي من حياة لورانس العرب - اصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٧١).

هناك، يسبب اجتذاب المزيد من الموارد والامكانات واستنزافها. وقد نجح لورنس في اقناع الامير فيصل بمجابهة تقدم الاتراك على مكة بتقدم مضاد على محور جانبي لمسافة اربعمائة كيلومتر تقريباً، وبحيث يساير خط التقدم شمالاً خط ساحل البحر الاحمر، مما يتهدد باستمرار خطوط مواصلات الاتراك مع المدينة المنورة. وأمكن تنفيذ هذه الحركة مع نهاية كانون الثاني - يناير ١٩١٧، ونجحت نجاحاً رائعاً بتحقيق اهدافها بسرعة مذهلة، فقد توقف تقدم الاتراك بصورة فورية على مكة، واضطروا إلى توزيع قواتهم على امتداد الخط الحديدي. وبذلك زالت مسألة إرسال لواء إلى - رابغ - واستبدلت بتنظيم قوة من الجند النظاميين تابعة للامير فيصل، وتكونت من العرب الذين وقعوا أسرى في الحرب، والذين كانوا بمعسكرات مصر، على أن يتم تنظيمها وتدريبها بمدينة - الوجه.

كان احتلال العقبة على رأس خليج العقبة، هو الخطوة التالية لنشر الثورة العربية شمالاً. وكان انزال قوات للبر عندها أمراً قد يكون ممكناً، غير أنه كان لا بد لمثل هذه القوات من أن تصطدم بالممرات والأخاديد التي أحسن الاتراك تحصينها لمنع أي تقدم نحو الداخل، ولهذا - صمم لورانس على مهاجمة العقبة من البر لا من البحر. فابتدأ في شهر نيسان - ابريل من الوجه، ومعه عدد قليل، وسار نحو دمشق، ونجح في أن يضم لقوته بعض رجال القبائل في محاولة للاستيلاء على العقبة. وأمكن له في اوائل تموز - يوليو أن يدمر قوة تركية في أبي اللسان، ثم أن يستولي على العقبة ذاتها. ثم نقلت قوات الامير فيصل بحراً من الوجه إلى العقبة التي أصبحت قاعدة لها.

لقد كان للثورة العربية دورها الكبير في اجتذاب قوات كبيرة نحو الحجاز، الأمر الذي أدى إلى اضعاف القوات التركية العاملة في فلسطين وعلى حدود مصر. كما أنها ضمنت حماية الجناح الايمن للقوات الانكليزية أثناء تقدمها من مصر إلى فلسطين. ووضعت حداً للدعاوة التركية، الالمانية في غرب بلاد العرب، وأزالت خطر إقامة قاعدة للغواصات الالمانية في البحر الأحمر. وقد كان من العسير على القوات البريطانية تحقيق

انتصاراتها بمثل تلك السهولة، وبمثل ذلك الثمن، لولا الدعم الكبير الذي قدمته الثورة العربية لقوات دول التفاهم (البريطانية ـ الفرنسية)(*).

٣ ـ الموقف على الجبهة التركية ـ العثمانية.

أخذت تركيا في تعبئة جيوشها منذ يوم ٢ آب ـ اغسطس سنة ١٩١٤ بحجة الاحتياط للطوارىء وكانت الحكومة البريطانية وقتئذ تجهل ارتباط تركيا وألمانيا بمعاهدة، ولو أن ذلك كان متوقعاً. ذلك أن سياسة الاستعمار الغربي (البريطاني ـ الفرنسي ـ الايطالي) علاوة على الاطماع التوسعية الروسية على حساب بلاد المسلمين، لم تترك لدار الخلافة العثمانية خياراً غير الانحياز إلى اعداء هذه الدول عملاً بالمبدأ المعروف (عدو عدوي هو صديقي). غير أن الباب العالي تريث في اظهار نواياه حتى يوم ٣٠ تشرين الاول ـ اكتوبر حيث أعلن قطع علاقاته بدول التفاهم، وفي يوم ٥ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩١٤، اعلنت تركيا الحرب رسمياً على دول التفاهم. وبدخول تركيا الحرب واجهت روسيا وبريطانيا مشاكل وأخطاراً جديدة، وإن لم تكن مجهولة. فقد رأت روسيا أن وسيلة اتصالها بحلفائها عن طريق الدردنيل قد باتت مقفلة، وأرغمت على زيادة دفاعها بالقوقاز. أما بريطانيا فخشيت على مواطن الخطر وهي قناة السويس، وآبار البترول بجنوب ايران، لما للبترول من الأهمية العظمى للبحرية. ولم تجازف بريطانيا بأحد هذين المركزين الحيويين. ففي ٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩١٤، نزلت براً عند مصب شط العرب، فرقة من الهند، وفي ٢٢ تشرين الثاني ـ نوفمبر احتلت البصرة. وفي ٩ كانون الاول ـ ديسمبر احتلت القرنه، وحاز البريطانيون على قصب السبق في هذا المضمار.

عندما دخلت تركيا الحرب، كانت خزانتها المالية شبه خاوية، وكانت مستودعاتها العسكرية شبه فارغة، وكانت قواتها الاحتياطية من

(*) يمكن مطالعة احداث الثورة العربية وتطوراتها ودورها في الحرب ـ في كتاب (الثورة العربية الكبرى ـ اللواء الركن مصطفى طلاس ـ دمشق ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧م).

الرجال شبه مستنزفة بسبب الحروب المستمرة ضد روسيا والدول الاوروبية. فكان لا بد لها من الاعتماد كلياً على حليفتها المانيا، ومقابل ذلك كان لا بد لها من الخضوع ايضاً لمتطلبات الاستراتيجية الالمانية، وقبول الرقابة على ادارة جيوشها وتوجيهها. ولذا لم تكن العلاقة الالمانية ـ التركية قائمة على المساواة أو التكافؤ، الأمر الذي أغضب القادة الاتراك، لا سيما وأن التدخل الالماني قد اتسم بالغطرسة والتعالي بل والبعد عن التهذيب واللياقة، فعمل القادة الاتراك من جانبهم على مقاومة المخططات والجهود الالمانية بالسلبية. فضاعت كل الجهود الالمانية الهادفة الى احلال النظام محل التسيب، والانضباط محل الارتباك. ونجم عن ذلك تعاظم غضب الألمان على حلفائهم الاتراك الذين اتهموا بالجمود، وعدم الرغبة في التطوير، وعدم توافر الكفاءة. غير أن القضية التي كانت اكثر خطورة في التحالف الالماني ـ التركي هي قضية الاختلاف على الاهداف الاستراتيجية منذ البداية. واذا ما تم استثناء القتال في غاليبولي، خلال الفترة القصيرة التي حدث فيها هذا القتال، فقد خاض الاتراك الصراع بصورة مستمرة على ثلاث جبهات: في القوقاز ضد روسيا، وفي فلسطين والعراق ضد الانكليز. وكانت جبهة القوقاز في نظرهم أهم الجبهات الثلاث نظراً لقربها من قلب دولتهم. وكانت تركيا تميل إلى استرداد الاجزاء التي انتزعتها منها روسيا في القوقاز خلال الحروب المتتالية. أما المانيا فلم يكن يهمها مجهود تركيا ضد روسيا، نظراً لضعف المردود الذي تجنيه الدول المركزية من هذا الصراع. وحاول الألمان كثيراً تحويل ضغط القوات التركية الاساسي إلى أغراض أخرى. وفي أواخر سنة ١٩١٦، كانت نخبة الجيش التركي تقاتل من أجل المانيا في اوروبا ـ ضد روسيا ورومانيا ـ بينما أهملت ميادين آسيا. ويظهر من خلال ذلك أن الاحتكاك بينهما كان دائماً.

وكان أمل الالمان كبيراً في أن يستفيدوا من حلفائهم الاتراك في شيئين مهمين هما: قفل الدردنيل لفصل روسيا عن حلفائها، وارباك بريطانيا التي تحكم الكثير من بلاد المسلمين عن طريق اعلان الزعيم الروحي للاسلام العداء لها. ولكن اعلان الجهاد لم يحقق الاهداف المرجوة منه، إذ جهل الالمان وتجاهل الاتراك أن قضية الجهاد مرتبطة بالثقة القوية بين

الانسـان المسلم وبين الـدولة الاسـلامية. وأن قضيـة الجهاد اكـثر عمقاً واوسـع شمولاً من كـونها مجرد مـوقف طارىء لتحقيق هـدف سياسي. فالبلاد التي أخضعت للاستعمار البريطاني وللهيمنة الاجنبية باتت أعجز من أن تؤدي فـروض الاسلام، أو تقيم حدوده. وعلى كـل حال، فقـد نجحت القوات التركية في احتجاز اعداد كبيرة من قوات الحلفاء. فأفادت حليفتها ألمانيا فائدة من الصعب تقويم، أو تقدير، قيمتها الحقيقية. ولولا ذلك لتحولت كل القوى إلى مسرح عمليات اوروبا لتمارس ضغطاً اكبر على المانيـا. ويظهـر الجدول التـالي حجم القوات التـابعة للحلفـاء والتي احتجزتها القوات التركية في مواجهتها على مختلف الجبهات:

جبهات القتال	آب اغسطس ـ ١٩١٧		آب ـ اغسطس ١٩١٨		
	الاتراك	الحلفاء	الاتراك	الحلفاء	ملاحظة
القوقاز	٦٤	١٣٢	٥٦	١٦٠	الارقام بالآلاف
فلسطين	٣٦	٩٦	٣٦	١٠٠	فرقم ٦٤ يعني
العراق	٣٥	٨٥	٢٢	١٠٠	٦٤ ألفاً..

إن كلمة الاتراك في الجدول السابق غير دقيقة تماماً بمعناها العرقي، فقد كان الجيش المسمى بالتركي يضم كافة الاجناس المنضويـة تحت راية الدولة العثمانية الاسلامية، فكان فيه الجندي العربي والارمني والكـردي والافـريقي والاوروبي ـ البلغـاري واليـوغـوسـلافي ـ الى جـانب تـركي الاناضول. غير أن تركي الاناضول بقي باستمرار محافظاً على مكانتـه في طليعة المقاتلين. فهو جندي شجـاع، ذو مقدرة فـائقة عـلى احتمال كـره القتـال وظروف الحرمان، وقـد ورث عن اجداده الميـل للحروب وحب اقتحام ميادين القتال. غير أنه كان محروماً بالمقابل من الكفاءة الفنية التي كانت متوافرة في حينها للجيوش الغربية. وقد أظهرت حروب البلقان ـ مع بلغاريا والصرب ـ في سنة ١٩١٢ النقائص العديـدة الموجـودة في الادارة العسكرية التركية، والتي ادت إلى تكبد القوات خسائر فادحة. وبعد هذه الهزيمة لجأت تركيا للمرة الثانية إلى ألمانيا طالبة مساعدتها لتطوير اجهزتـها

العسكرية. وأجاب الالمان الذين سبق لهم أن أمدوا الجيش التركي بمدربين كثيرين هذا الطلب، وأرسلوا في أواخر سنة ١٩١٣ الجنرال ليمان فون ساندرس على رأس بعثة عسكرية مكونة من (٧٠) ضابطاً ألمانياً. غير أنه لم يتوافر لهذه البعثة ما تحتاجه من الوقت لاحداث تغيير واضح، حتى اعلان الحرب العالمية الاولى.

كان الجيش التركي في شهر آب ـ اغسطس سنة ١٩١٤، مكوناً من (٣٦) فرقة كلها غير مكتملة القوة، وقد نظمت (٣٤) فرقة اخرى اثناء الحرب، لأن الخسائر الفادحة كثيراً ما كانت تتسبب في حل بعض الوحدات. وهكذا، لم تتجاوز القوات العاملة في الميدان ـ في أي وقت من الاوقات ـ اكثر من ٣٤ فرقة. وكانت الفرقة عادة مكونة من ثلاثة ألوية (كل من ثلاث كتائب وجماعة مدافع رشاشة) وكتيبة رماة ومن ٢٤ إلى ٣٦ مدفع ميدان، والخدمات الاخرى الضرورية. وكان الفيلق التركي يتكون من فرقتين او ثلاث، وكان النقص خطيراً في المدفعية الثقيلة والوحدات الفنية ووسائط النقل والوحدات الصحية والمواد الطبية. كما لم يكن هناك قوة جوية فعالة. وحاول الالمان سد هذا النقص، غير أن صعوبة المواصلات أعاقت وصول المؤونة والامدادات إلى تركيا. وكانت ألمانيا ذاتها في حاجة ملحة لهذه الامدادات، ومع ذلك، فقد استطاعت في النهاية امداد تركيا بالمهمات وبمعظم الافراد الذين تحتاجهم القوات الجوية والاشارة ـ الاتصالات ـ ووحدات النقل والأسلحة الفنية الاخرى. كما أرسلت اليها بعض كتائب المشاة، وساعدتها النمسا بقليل من المدفعية الثقيلة وافراد الخدمات الطبية. وكان الالمان يعملون كلما طال أمد الحرب على وضع أيديهم على المراكز الرئيسية في هيئات الاركان بالجيوش التركية، وكذلك تولي ادارة الخطوط الحديدية. وقد سببت هذه الاعمال احتكاكاً كبيراً، لا سيما وأن سلوك معظم الالمان كان بعيداً عن اللياقة إلى درجة يصعب احتمالها. وفي الوقت الذي كان الالمان يصرون فيه على امداد وحداتهم بالكثير من التعيينات والالبسة ووسائل الراحة والترفيه مهما كانت خطوط المواصلات مزدحمة، كانت الوحدات التركية تنقصها في أغلب الأوقات هذه المأكولات والاطعمة واللوازم الاخرى، وكان هذا

التباين كبيراً إلى درجة مثيرة للتذمر. وعلاوة على ذلك، وعلى الرغم مما هو معروف عن الالمان من الكفاءة، الا أنهم لم يتمكنوا من فهم قدرة حلفائهم الاتراك وامكاناتهم، وكثيراً ما أصدروا أوامرهم بهجوم مضاد أو بتحركات اخرى تتطلب عملاً سريعاً أو مناورات دقيقة كان الاتراك يجهلونها مما كان يؤدي إلى فشلها، وبالتالي إلى تبادل الاتهامات والمزيد من النفور، الأمر الذي أدى إلى زيادة ضعف الجيوش التركية بدلاً من زيادة قوتها.

لقد ذكر بأن الاتراك جندوا أيام الحرب مليونين وسبعمائة الف جندي، ويشكل هذا الرقم نسبة مئوية كبيرة للذين تشملهم الخدمة العسكرية. ولكن إذا ما تم الاخذ بالخسائر الفادحة التي كانت تتكبدها القوات، واذا ما وضع بالاعتبار أيضاً العدد الكبير من الجنود الهاربين، أمكن القول بأن قوة الجيش لم تتجاوز حدود (٦٥٠) ألف مقاتل. ولا بد من القول هنا، ان القضية ليست قضية عددية، فلقد احتفظ الجندي التركي بكل فضائله الحربية المتوارثة، على الرغم من قلة الامدادات بالمواد التموينية، وعلى الرغم من النقص في الوسائط القتالية. وقد استطاع الاتراك الانتصار على البريطانيين في غاليبولي، ونجحوا في أسر فرقة بريطانية كاملة عند كوت العمارة ـ العراق. وامكن لهم الوصول إلى قناة السويس بمسيرة جبارة لا تكاد تصدق، وصدوا هجومين بريطانيين على ابواب غزة.

لقد اعترفت كافة المصادر للدول التي حاربت تركيا، بكفاءة الجندي التركي وقدرته القتالية العالية ومن ذلك ما جاء في التاريخ الرسمي الاسترالي وفيه: «. . . **قد تكون هذه الحملات كبيرة التأثير وخطيرة على الروح المعنوية والقدرة القتالية لأي جيش اوروبي يتعرض لمثل هذه العملية. ولكن المقاتل التركي يتفوق على كل جندي في العالم حتى ولو كان سيىء التغذية ورديء التسليح. انه خصم خطير جداً، وباستطاعته الاستمرار في احتمال الشدائد سنة بعد سنة، ومجابهة قوات اكثر مدنية تحارب في ظروف اكثر مناسبة. ولن ينقص من قدرته القتالية شيء مهما كان مثبطاً للعزيمة، وهو في الوقت ذاته لن يتأخر عن الهجوم اذا ما**

توافرت له الفرصة . . . ».

عندما أعلنت تركيا الحرب قامت مصر باخلاء كل نقط الحدود بسيناء، واحتلت القوات التركية على الفور العريش ونخل، وكان للاتراك في سوريا وفلسطين عند اعلان الحرب (الفيلق السادس، وقيادته في أضنة) و(الفيلق الثامن وقيادته في دمشق) ومجموع قوتهما (٦٠) ألف جندي و١٠٠ مدفع. فتكون منهما الجيش الرابع الذي اسندت قيادته إلى وزير الحربية - جمال باشا - وهو أحد الثلاثة الذين كان بيدهم الأمر في تركيا (جمال وأنور ونيازي). وكان جمال باشا الذي ظل حاكماً لسوريا وفلسطين وقائداً عاماً بهما مدة الثلاث سنوات التالية، طموحاً، مريضاً بداء العظمة، ذا كفاءة عسكرية محدودة، غير أنه كان ادارياً حازماً قديراً، مستقل الرأي، ولم يخف كراهيته للألمان. أما قائد الفيلق الثامن المسمى جمال باشا ايضاً (والذي اطلق عليه اسم جمال كشك - أي الصغير - تمييزاً له عن جمال باشا) فكان عسكرياً توافرت له كفاءة عالية، وتولى ادارة الحرب في الحملة المصرية طوال أيام الحرب. وكان رئيس هيئة اركان الفيلق الثامن هو ضابط بافاري اسمه (كرس فون كرسنشتاين) بقي هو العقل المدبر للحملة على القناة وللاعمال التركية بفلسطين حتى نهاية سنة ١٩١٧، وقد اشتهر بشجاعته واقدامه وكفاءته، مما حمل اليه باستمرار احترام اعدائه البريطانيين، واليه وحده يرجع فضل اعداد الحملات التركية وتحضيرها ووضع خطط اعمالها القتالية.

بلغت القوات التي تجمعت في النهاية عند بئر السبع في منتصف شهر كانون الثاني - يناير ١٩١٥ للسير إلى القناة، في حدود (٢٠) ألف مقاتل ومعهم ٩ كتائب مدفعية ميدان، وكتيبة مدفعية هاوتزر (٥,٩) بوصة، ووحداتها الاساسية الفرقة ٢٥ من العرب، ولواء من الفرقة ٢٣، والفرقة ١٠، ولواء فرسان، وبضع سرايا هجانة وبدو راكبين. ورافق الحملة نحواً من (١٠) آلاف جمل لحمل التعيينات والمياه والذخيرة، ولم يكن معها طائرات.

وكان هدف الحملة التركية على القناة هو الاستيلاء على غرب القناة

والتمركز هناك، فاذا لم يتحقق هذا الهدف، فيجب احتلال اجزاء من القناة ولو لبضعة ايام ريثما يتم تخريبها. مع اجراء الاستطلاع بالقوة في الحالين. وكان من المتوقع أن تقوم ثورة عامة في مصر بمجرد اقتراب قوات الحملة التركية من البلاد. غير ان قيادة الحملة التركية بالغت في تفاؤلها، ولم تبذل ما هو ضروري من الجهد لتنظيم الثورة ودعمها. ولهذا فقد قصرت الحملة عن بلوغ طموحاتها.

٤ ـ موقف بريطانيا.

كانت بريطانيا تحتفظ بقوات في مصر بهدف حراسة قناة السويس، وكانت هذه القوات في أيام السلم مكونة من لواء من الفرسان، وكتيبتي مدفعية وأربع كتائب من المشاة مع الوحدات التابعة لها. وعندما اندلعت الحرب انذرت هذه القوات بأنها ستسحب إلى الجبهة الغربية، في اوروبا، وذلك بمجرد تأمين من يحل محلها. واختيرت فرقة من الفرق الاقليمية ـ التريتوريال ـ لتحل محلها، وهي الفرقة ٤٢ ـ التي كانت تضم عناصر جيدة ينقصها التدريب. ووصلت هذه الفرقة إلى مصر في نهاية ايلول ـ سبتمبر ١٩١٤. وفي تلك الفترة تواقرت للقيادة البريطانية في مصر معلومات تشير إلى قيام الاتراك بحشد قواتهم في سوريا وفلسطين، مما طرح احتمال وقوع اعمال عدوانية، فبات لزاماً على القيادة البريطانية تأمين قوات تتوافر لها درجة عالية من التدريب والكفاءة. وفي منتصف ايلول ـ سبتمبر مرت الفرقة الهندية الثالثة بمصر في طريقها الى فرنسا، فتم احتجاز لواء المشاة التاسع منها ـ مؤقتاً ـ مع لواء مدفعية جبلية. وفي منتصف شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر حلت قوة من الهند محل هذا اللواء. كما تقرر ارسال قوات استرالية ونيوزيلاندية إلى مصر، لاكمال تدريبها في جوها الذي هو اكثر ملاءمة من جو بريطانيا في الشتاء. ووصلت الوحدات الاولى منها إلى الاسكندرية في مطلع شهر كانون الاول ـ ديسمبر. وبذلك أصبح في مصر قبل نهاية سنة ١٩١٤ حامية كبيرة. الا أن قسماً منها فقط كان قد أكمل مراحل التدريب. استلم الميجر جنرال (السير جون ماكسويل) القيادة في مصر، منذ بداية شهر ايلول ـ سبتمبر ١٩١٤.


البحر الأبيض المتوسط
بحيرة المنزله
بورسعيد
خليج الطينة
البردويل
رمانه
القطيه
بير العبد
بير الحميصة
دويدار
القنطرة
بير معيبره
محطة
بالوتيان
كثبان
القردان
الاسماعيلية
التمساح
الى القاهرة
طوسوم ٩٠ ميلا
سرابيوم
رمال وحشائش
الجعفافه
و. ام خشيب
المرة الكبرى
المرة الصغرى
الشلوفه
الى القاهرة
٧٠ ميلا
الكوبرى
السويس
خليج السويس
و. اليرموك
الدفاع عن قناة السويس
١٩١٥ - ١٩١٦
١٠
٢٠
اميال
دروب رئيسية
طريق السير للقول الرئيسي للأتراك في فبراير ١٩١٥
طريق السير للقولات الأخرى والخدعات
دفاعات القناة سنة ١٩١٦
السكك الحديدية (العسكرية) سنة ١٩١٦

وسرعان ما اصطدم بقضية العلاقات السياسية بين مصر وبريطانيا، **ذلك أن مصر كانت تخضع اسمياً لسيادة الخليفة العثماني، وتدفع لبيت مال المسلمين ما هو واجب عليها دفعه. ولم يتغير هذا الموقف على الرغم من خضوع مصر خضوعاً تاماً للاستعمار البريطاني المباشر طوال الاثنتين والثلاثين سنة الاخيرة. وعندما اندلعت الحرب، في شهر آب ـ اغسطس ١٩١٤ كان حاكم مصر الخديوي عباس حلمي باشا في الآستانة. ولما كان هذا قد اشتهر بعدائه الصريح للاستعمار البريطاني، فقد أخذت القيادة البريطانية في احكام قبضتها سياسياً وعسكرياً على مصر، وأرغمت الوزارة المصرية في يوم ٥ آب ـ اغسطس على اصدار تصريح تكون فيه مصر في حالة حرب مع أعداء (بريطانيا العظمى). واعلنت الاحكام العرفية في ١٢ تشرين الثاني ـ نوفمبر بعد دخول تركيا الحرب. وفي ١٨ كانون الاول ـ ديسمبر ١٩١٤، اعلنت بريطانيا الحماية على مصر، وفي ١٩ منه، اعلن عن خلع الخديوي عباس حلمي باشا، وتم تنصيب عمه الامير حسين حاكماً على مصر باسم سلطان مصر. وتعهدت بريطانيا عند اعلانها حالة الحرب بأنها ستحمل اعباء الدفاع عن مصر، وحدها، وأنها لن تطالب المصريين بالمساعدة.**

كان واجب القوات البريطانية في مصر لا يقتصر على السيطرة على محاور الاقتراب نحو مصر، وانما كان يشمل أيضاً ضمان سلامة كل أجزاء القناة من الدمار أو التلف، ولذا كانت حراسة القناة بكاملها أمراً ضرورياً. وكانت القوات البريطانية الموجودة وقتئذ تضم **٢٤** كتيبة هندية (الفرقتين الهنديتين ١٠ و١١) ولواء فرسان الخدمة الامبراطورية (هندي) وهجانة بيكافير وثلاث كتائب مدفعية جبلية هندية، وبطارية مدفعية مصرية، ومجموعها (٣٠) ألف مقاتل.

وعوض عن النقص في المدفعية ـ بعض التعويض ـ وجود بعض قطع البحرية البريطانية والفرنسية. ووجدت جماعة من سلاح الطيران الملكي وبضع طائرات فرنسية للاستطلاع. وانتشرت وحدات الفرقة **٤٢** وبعض وحدات فرسان اليومنري والفصائل الاسترالية والنيوزيلاندية تحت

التدريب والتنظيم، وقد بلغت مراحل متفاوتة منها، وارتفع عدد افراد القوات البريطانية في مصر حتى شهر كانون الثاني - يناير ١٩١٥ فبلغ (٧٠) ألف مقاتل من الانكليز والاستراليين والنيوزيلانديين والهنود.

كلف السير جون ماكسويل قائد الفرقة الهندية العاشرة، الميجر جنرال ويلسون، بتنظيم الدفاع عن القناة. فتم تقسيم المواقع الدفاعية الى ثلاثة قطاعات. وكان على الشاطىء الشرقي للقناة مجموعة من النقاط المحصنة والتي تتصل بجسور أو معديات بالشاطىء الغربي حيث الدفاعات الاساسية، وبذا تكون القناة مانعاً بين المهاجم والمدافع. وكانت المواصلات بين أجزاء الخط - فيما عدا الخط الحديدي - إحدى الصعوبات، إذ لم توجد وقتئذ في منطقة القناة أي طرق، وكانت القوارب البخارية - اللنشات - المعدة لحمل المياه قليلة العدد. وقد نقصت الواجهة المطلوب مراقبتها في أوائل كانون الاول - ديسمبر بغمر السهل المنخفض الواقع في الشاطىء الشرقي أمام بحيرة المنزلة - أي ما بين بورسعيد والقنطرة.

أخذت السلطات البريطانية في الوقت ذاته بزيادة الاعتماد على المصريين لسد احتياجاتها من الخدمات، ولتجنيد المقاتلين. وكانت مساعدة مصر في تأمين المواصلات كبيرة وذات اهمية بالغة. فقد عملت وحدات مد الخطوط الحديدية التابعة لسلاح المهندسين، بتمديد ما تحتاجه القوات البريطانية من الخطوط الحديدية. كما عملت فرقة من العمال المصريين بالاعمال الشاقة لتمهيد الطرق وتمديد الخطوط. وقامت الخطوط الحديدية التابعة للحكومة المصرية بتأمين المواد الضرورية والمساعدة الفنية والعربات بانواعها. وعلاوة على ذلك، فقد رافقت قوات الحملة البريطانية فرقة من العمال المصريين، كان عدد افرادها عند البدء بتنظيمها سنة ١٩١٦ في حدود (٣) آلاف عامل، ثم زادت إلى (٢٥) ألف عامل في بداية شهر آب - اغسطس ١٩١٦، وفي السنة التالية بلغت (٥٦) ألف عامل. علاوة على آلاف الجنود الذين ارسلوا إلى فرنسا والميادين الاخرى. ولما كان المصري يرفض تقييد نفسه مهما كانت المغريات بتطوع تزيد مدته

على ثلاثة أشهر، فقد لجأت السلطات البريطانية الى اتباع مختلف الاساليب لتطبيق التجنيد الاجباري. وكان هذا من أهم الاسباب لانفجار ثورة سعد زغلول باشا (٩ آذار - مارس ١٩١٩ حتى سنة ١٩٢٢) وكان من واجب فرقة العمال المصريين أيضاً تمديد قنوات المياه، وفرش الطرق السلكية، وافراغ حمولة البواخر والقطارات، وكذلك شحنها ايضاً. وتسيير القوارب الساحلية لتأمين الامدادات والمواد التموينية للقوات. هذا بالاضافة إلى تأمين كافة الخدمات التي تتطلبها القوات، وكثيراً ما اضطر العمال للقيام بما هو مفروض عليهم تحت النيران، مما عرضهم لخسائر كبيرة في الارواح. ولما كان الجمل هو الوسيلة الرئيسية للنقل في الصحراء - في تلك الايام - فقد استخدمت الحملة البريطانية في اوائل ١٩١٦ ما يزيد على (٢٠) ألف جمل، ارتفع عددها في منتصف سنة ١٩١٧ إلى (٣٥) ألف جمل، ونظمت في سرايا تضم السرية منها (٢٠٠٠) جمل، ويتولى قيادتها المصريون.

٥ - طبوغرافية مسرح العمليات.

امتد مسرح الاعمال القتالية من قناة السويس جنوباً، وحتى مدينة حلب شمالاً، ووصولاً إلى بلاد الرافدين - العراق - شرقاً. وهذا المسرح قد عرف منذ القدم صراعات حاسمة لم تكن اقلها شهرة تلك الحروب الصليبية القديمة، ولا هجمات المغول - التتار - التي دمرت فوق أرض عين جالوت - حيث سهل ارماجدون التاريخي(*). **ويذكر أن اللنبي قد تفوق على الكثيرين من القادة بدراسة الطبيعة الجغرافية لمسرح العمليات، مع الاهتمام بالتطورات التاريخية للمنطقة عبر العصور المتتالية منذ القدم وحتى أيام عصره. فكان يرجع يومياً إلى الانجيل، وإلى كتاب جورج آدم سميث (الجغرافية التاريخية للأرض المقدسة).** وعلى الرغم من عدم اختلاف الطبيعة الطبوغرافية كثيراً منذ أقدم العصور - المعروفة - وحتى

(*) ارماجدون: (ARMAGEDON) يقع في منتصف المسافة بين مصر وحلب - ويقصد منه سهل فلسطين. وهو المكان الذي ستدمر فيه قوى الشر - المضادة للمسيحية - بحسب ما يذكر في التوراة. وتعني الارماجدون في اللغة الشائعة: مذبحة كبرى تضع حداً حاسماً لصراع مسلح.

اليوم الا أنه قد يكون من الضروري القاء لمحة عجلى على ملامح هذه (الطبوغرافية) نظراً لعلاقتها الوثيقة بالاعمال القتالية التي جرت فوق أرضها خلال تلك الفترة الزمنية.

أ ـ قناة السويس: كانت قناة السويس هي حلقة الاتصال الرئيسية بين انكلترا، ومستعمراتها الآسيوية ـ الهند خاصة ـ ولهذا فانها كانت تعتبرها الشريان الحيوي (للامبراطورية البريطانية). ويبلغ طول القناة (١٦٨) كيلومتراً ما بين بور سعيد والسويس، غير أن طول القناة ذاتها لا يزيد على ثلثي هذه المسافة، وتشغل البحيرات الثلث الباقي. ففي الجزء الشمالي منها ـ أي ما بين بور سعيد والقنطرة، وبطول ٤٢ كيلومتراً ـ تجري القناة محاذية للطرف الشرقي من بحيرة المنزلة، وهي بحيرة مالحة ومتسعة وضحلة. وشاطئا القناة بهذا القسم منخفضان، وليس هناك ما يعترض خط النظر ما بين القنطرة والاسماعيلية، وتجري القناة نحو ٣,٣ كم تقريباً فيما يشبه الخندق العميق. ويرتفع شاطئا القناة ايضاً فيما بين الاسماعيلية الواقعة على الطرف الشمالي لبحيرة التمساح، وبين الطرف الشمالي للبحيرة المالحة الكبرى (٢٥,٢) كم. ومن ثم إلى السويس (٦٧,٢) كم. وقد يبلغ ارتفاعهما عن سطح الماء في بعض الامكنة من (٧,٦) أمتاروحتى (٩) متر تقريباً. والشاطىء الشرقي في القسم الاول اكثر ارتفاعاً من الغربي. والفارق بين ارتفاعهما فيما عدا ذلك بسيط، واعتبرت القناة لذلك حاجزاً طبيعياً كبيراً يتراوح عرضه ما بين ٦٥ و١٠٠ متر، وعمقه (١٠,٣٠) متر.

لقد صغرت القناة في الصحراء، بعيداً عن الأرض الزراعية بالدلتا بما يقارب الخمسين كيلومتراً. وتعتمد مدن القناة ـ بور سعيد والاسماعيلية والسويس ـ كل الاعتماد على المياه العذبة التي تصلها بالترعة الحلوة والمتفرعة من النيل عند القاهرة، وتجري منها إلى الاسماعيلية، ومن هناك تجري شمالاً لبور سعيد، وجنوباً للسويس، ويسير الخط الحديدي موازياً للترعة الحلوة تقريباً. وتوضح هذه الحقيقة أهمية الاسماعيلية كغرض لاي مهاجم لمصر من الشرق. فمتى امتلك بوابات المياه وفتحاتها هناك، يمكنه

قطع المياه عن بور سعيد والسويس، ويجعل من الصعب على عدوه البقاء بمواقعه في شماله أو جنوبه. وبالمقابل، فان نجاح العدو عند أحد طرفي القناة لا يكسبه الا قليلاً. فمورد مياهه العذبة يصبح في قبضة المدافعين، ويفصله هو ذاته عن الدلتا الآهلة أميالاً عديدة من المياه المالحة أو الرمال القاحلة.

ب ـ شبه جزيرة سيناء: تشكل شبه جزيرة سيناء على ما هو معروف، مثلثاً رأسه في الجنوب وقاعدته في الشمال، على البحر الأبيض المتوسط. ويبلغ طول قطر المثلث من الشمال إلى الجنوب ما يقارب ٣٨٨ كم (٢٤٠ ميلاً) أما طول القاعدة من الشرق الى الغرب، فيصل إلى ١٩٤ كم تقريباً (١٢٠ ميلاً) وتعتبر شبه جزيرة سيناء احدى مناطق العالم القاحلة وغير المأهولة، ويمكن تقسيمها إلى مناطق ثلاث:

المنطقة الشمالية وتشمل السهل الساحلي وعرضه ما بين ٨ وحتى ٢٤ كيلومتراً (٥ ـ ١٥ ميل) وتحدده الكثبان الرملية غير الصالحة لسير العجلات، والتي يصعب السير عليها للمشاة والقوات الراكبة معاً.

المنطقة الوسطى: وهي عبارة عن هضبة حجرية جدباء يبلغ ارتفاعها الف متر تقريباً (٣ آلاف قدم) وهي خالية من الطرق المرصوفة خصيصاً للعجلات، ولكن السير عليها أثبت وأكثر سهولة مما هو عليه في المنطقة الشمالية.

المنطقة الجنوبية: وهي عبارة عن كتلة صخرية، ذات جبال شديدة الانحدار يبلغ ارتفاع بعضها حتى ٣٠٥٠م تقريباً (١٠ ـ آلاف قدم) ويندر وجود المياه فيها على الدوام إلا عقب أمطار الشتاء عندما تمتلىء الخزانات القديمة التي تعود إلى ايام الحضارات السابقة. ولا يوجد في شبه الجزيرة هذه أي مجرى تجري فيه المياه باستمرار، ولكن الوديان (مثل وادي العريش الذي سمي في الانجيل نهر مصر) و(مثل وادي أم خشب ـ في المنطقة الوسطى) تصبح مجاري واسعة تجري فيها السيول زمناً قصيراً عقب سقوط الامطار. والمياه اقل توافراً في المنطقة الجنوبية، وهي متوافرة ولو أنها مالحة قرب الشاطىء ـ كما يمكن العثور على المياه الحلوة بحفر الآبار ـ

وحيث تـوجد الكثـير من الواحـات ذات النخيل. وأهم الأمـاكن الآهلة بالسكان في سيناء هي العريش الواقعة على مصب وادي العريش، ونخل في الجنوب، ويوجد فيما عداهما قليل من العرب الرحل. وصيفها شديـد الحـرارة، بينما تكـثر التيارات الهـوائية الشـديدة البـرودة شتاء، وكـذلك العواصف الرملية.

كان عدد كبير من العسكريين يأخذون بوجهة نظر نابليون بونابرت القائلة بأن حدود الممالك يجب ان تنتهي اما بأنهار كبيرة أو بسلاسل جبلية أو بصحاري، والأخيرة هي أشد الموانع التي تعيق حركة الجيوش، وتليها الجبال، وأخيراً الانهار الكبيرة. وقد اعتبـرت صحراء سينـاء من وجهة النظر هذه مجالاً وقائياً كافياً للدفاع عن مصـر ضد كـل هجوم يـأتي عن طريق فلسطين. ومع ذلك، فقد اجتازتها جيوش جرارة مرات لا حصـر لها. وقد جعلها حفر قنـاة السويس أصغـر مما كـانت عليه بنحـو من ٨٠ كيلومتراً (٥٠ ميلاً). وقد أعادت هيئـة أركان الحـرب النظر في مـوضوع حدود مصر الشرقية في سنة ١٩٠٦، وقد انتهت الى أن الصحـراء لم تعد مـانعاً يصعب عـلى الجيوش الحـديثة التغلب عليـه، وقدرت أن الميـاه لا تسمح إلا لقوة لا تزيد على (٥) آلاف رجل و(٢) ألف جمـل بالسـير إلى القناة. وقد ظهر أن هذا التقدير أقـل من الحقيقة. ومـع ذلك فقـد ظهر بوضوح أن اجتياز سيناء كان مشروعاً يصعب تحقيقه ما لم يتم التحضير له بعناية، وما لم ينظم تنظيماً جيداً.

ج ـ فلسطين: لم تكن حدود فلسطين في الحرب العالمية الاولى مماثلة لما هي عليه اليوم، وانما كـانت تمتد مـا بين دان وبئـر السبع وبـين البحر الأبيض المتـوسط والخط الحديـدي الحجازي ـ أي الاقـاليم التي شملهـا الانتداب البريطاني من فلسطين والمملكة الاردنية الهاشمية. والمسافة بين دان ـ بانياس ـ وبئـر السبع هي في حـدود ٢٤٠ كيلومتراً (١٥٠ ميـلاً). وبين يافا على البحر ومعان على الخط الحديـدي الحجازي هي في حـدود ١٢٠ كيلومتـراً (٧٥ ميلاً). وتتبـاين مناطق فلسـطين تبـايـنـاً واضحـاً في مرتفعاتها ومنخفضاتها، ومن أهم هيئاتها الطبيعية البارزة تلكما السلستان

من الجبال المنفصلتان بأغرب انهدام على سطح الكرة الأرضية، ثم الوادي الخصيب الممتد من غرب الجبال إلى البحر. ويتدرج انحدار جبل موءاب (وهو السلسلة الشرقية ويبلغ ارتفاعها ٩١٥ ـ ١٠٦٥ متراً أو ٣٠٠٠ ـ ٣٥٠٠ قدم) نحو الصحراء الشرقية. أما سفحه الغربي المجاور لوادي الاردن فهو شديد الانحدار. أما السلسلة الغربية فهي شديدة الانحدار غرباً عند الاردن بينما تنحدر سفوحها تدريجياً نحو الشرق حتى تصل السهل الساحلي. ويقع وادي الاردن بين السلسلتين. وهو أكثر انخفاضاً من مستوى البحر، فينخفض عند بحيرة الحولة بمقدار مترين تقريباً (٧ ـ أقدام) بينما يبلغ ذلك الانخفاض ٢٠٨ أمتار (٦٨٠ قدماً) عند بحيرة طبرية التي تقع جنوب بحيرة الحولة بمسافة ١٦ كيلومتراً فقط (١٠ ـ أميال). ويزيد ذلك الانخفاض إلى ٣٩٦ متراً (١٣٠٠ قدم) عند البحر الميت، وهو جنوب بحيرة طبرية بمسافة ١٠٥ كم (٦٥ ميلاً). وتقسم الأرض مرة أخرى بمنخفضين يجريان من الشرق إلى الغرب، وأحد هذين المنخفضين كبير وواضح، والثاني أقل وضوحاً ولو أنه يفصل بين مرتفعين تختلف طبيعة أرضهما اختلافاً بيناً. فالمنخفض الأول يشكل السهل الممتد شرقاً مع وادي اليرموك. والثاني هو الذي يمكن تحديده بخط يجري من البحر للأردن متبعاً نهر العوجه (قرب يافا) وأودية دير بالوط والنمر والسامية ونهر آخر يسمى العوجة أيضاً ويصب في الاردن ـ شمال أريحا بمسافة ١٣ كيلومتراً تقريباً (٨ أميال). ويمكن من الناحية العسكرية تقسيم فلسطين على النحو التالي:

● **السهول**: وهي الطريق الطبيعي والتاريخي للجيوش الجرارة التي مرت من فوق أرض فلسطين أو خاضت الصراع فوق ثراها. ويوجد بهذه السهول عند الشاطىء كثبان رملية يتراوح عرضها ما بين مئات الامتار وبضعة الكيلومترات. ويبلغ ارتفاعها ٥٠ متراً تقريباً (١٥٠ قدماً) فوق مستوى سطح البحر. وتلي هذه الكثبان أرض سهلية تمتد من ١٦ الى ٢٥ كيلومتراً (١٠ ـ ١٥ ميلاً) حتى سفوح جبال الضفة الغربية. وهذه السهول خفيفة التعاريج، وتقطعها وديان صغيرة كثيرة، وتزدهر بها الزراعة من نيسان ـ ابريل حتى حزيران ـ يونيو ولا يوجد ما يعيق التحركات العسكرية

ما بين غزة والجليل سوى مجرى صغير هو العوجة الذي يجري شمال غزة، وسوى لسان التل الخارج عن السلسلة الاصلية وينتهي عند جبل الكرمل قرب حيفا. وبصورة عامة، فالمياه قليلة لا تسد حاجة جيش كبير، اما الحالة الصحية في سهل فلسطين فهي جيدة، ولو أنه كان لا بد من اتخاذ التدابير الوقائية ضد الملاريا. والصيف حار الا أن حرارته محتملة، ولو أن رياح الخماسين تسبب الضيق الشديد والظمأ الذي لا يطاق.

أهم ظواهر الطقس انقسامه إلى فصلين مميزين: فصل الجفاف وفصل الأمطار. ويستمر فصل الأمطار بانتظام من شهر تشرين الثاني - نوفمبر وحتى أيار - مايو وتسقط أمطار قليلة في نهاية تشرين الاول - اكتوبر وآذار ونيسان (مارس وابريل). أما المدة من نيسان - ابريل حتى تشرين الاول - اكتوبر فهي فترة جفاف تام. وتنقلب مساحات واسعة من السهول في فصل المطر إلى بحر من الطين، وتصبح الطرق غير صالحة للسير في اكثر الاحيان.

● **تلال الضفة الغربية**: وهي عبارة عن هضبة ضيقة متوسط ارتفاعها ٧٣٢ متراً تقريباً. (٢٤٠٠ قدم) في حين ترتفع بعض القمم حتى ٤١١٤ متراً (١٣٥٠٠ قدم) ويخرج منها كثير من ألسنة التلال عمودية عليها ومتجهة شرقاً وغرباً. ولذا يمكن تشبيهها بالسلسلة الشوكية للسمكة. ويجعل اتجاه السنة التلال هذه والتي تقع بينها وديان عميقة تقدم القوات بجوار الهضبة نحو الشمال أو الجنوب من العمليات الشاقة، لا سيما إذا اصطدم التقدم بأية مقاومة. والقسم الشمالي لسلسلة الجبال هذه، مكشوف واكثر خصباً من غيره، ويستمر الشتاء القارس أياماً عديدة، ورغم ذلك فان المناخ هنا اكثر جودة من أية منطقة اخرى. وتسقط على القدس امطار غزيرة في شهور فصل الأمطار الخمسة، وتتسرب مياه الأمطار للخارج بسبب عدم وجود خزانات للمياه، ولذا فقد كان امداد القوات الكبيرة بالمياه صيفاً - اذا كانت في الجبال - من أشد الامور تعقيداً واكثرها صعوبة. ولم يكن في الجبال من الطرقات الصالحة للعربات سنة ١٩١٤، إلا طريقان أحدهما يسير من الشمال للجنوب ماراً

بـالناصـرة ونابلس والقـدس والخليل ثم بئـر السبع. والثـاني من الشرق للغرب ماراً بـأريحا والقـدس ويافـا. ونظراً لأن طـرق المواصـلات كانت محدودة، ونظراً لأن طبيعة الأرض تساعـد القوات عـلى الدفـاع اكثر ممـا تساعدها على الهجوم، فقد كان من المتوقع أن تسير الاعمـال القتاليـة في الجبال بصورة بطيئة، كما كان متوقعاً أيضاً أن تقع المعارك الرئيسيـة فوق أرض السهول.

● **وادي الاردن**: لقـد شكـل وادي الاردن والبحـر الميت عقبـة حقيقية لتحرك الجيوش، عبر التاريخ، بين سلسلتي الجبال المشرفتين على النهر (جبال موءاب شرقاً ـ وجبال الضفة الغربية غرباً) هذا على الرغم من وجود عدد من المخاضات بـالنهر، وعـلى الرغم من سـرعة تيـاره البطيء ووجود المستنقعات على شاطئيه، وعدم تجاوز عرضه ٢٢ ـ ٢٥ متراً (٧٠ ـ ٨٠ قدماً). لذلك لا يعتبر النهر في حد ذاته مانعاً حقيقيـاً، غير أن شـدة انحـدار الجبلين عند الـوادي، وانعدام المـواصلات، ومـظهره الخـارجي المرعب وحراراته الشديـدة ـ في الاغوار ـ كـل ذلك صـرف الجيوش عن التفكير في اقتحامه.

● **شرقي الاردن**: وقد تميـز بسير الخط الحـديدي الحجـازي فوق هضابه، وهو الخط الحديدي الذي يتفرع عنه ـ من درعا ـ الخط الحديدي الموصل إلى فلسطين. وهذا ما أعطى شرقي الاردن أهمية عسكرية كبيـرة طوال مدة الحملات التي قام بها البريطانيون. ولكن الخط الحديدي بقي مهدداً باستمرار باغارات قوات الثورة العربية القادمة من الصحراء، والتي كـان من الصعب على الاتـراك مقاومتهـا أو مجابهتهـا، مما دفـع الاتـراك لتخصيص قوات كبيرة لحماية الخط الحديدي.

● **سـوريا**: هي المسـاحة الجغـرافية الـواقعة بـين البحـر الأبيض المتوسط والصحراء، وما بين حلب في الشمال والجليل في الجنوب. وتمتد سلسلتـا الجبال اللتان سبق وصفهما إلى سـوريا ـ وعـلى ذلك تمتـد جبال الضفـة الغربيـة، مـع زيـادة في الارتفـاع بحـذاء السـاحـل حتى جبـال طوروس، ويسمى قسمها الجنوبي جبال لبنان. والسهل بين الجبال والبحر

في سوريا ضيق جداً. أما امتداد جبال موءاب في سوريا فيسمى جبال حرمون، ولبنان الصغير. ويقع بين سلسلتي الجبال سهل خصيب يحمل اسم سهل البقاع الذي يعتبر من الوجهة الجيولوجية بداية الانهدام الذي يجري فيه نهر الاردن. وينحدر جبل حرمون من جهته الجنوبية ليشكل هضبة حوران الشهيرة بانتاج الحبوب. ويقع شرقها جبل العرب الذي تستوطنه طائفة الدروز. وتنحدر السلسلة الشرقية حول حمص لتشكل هضبة واسعة تمتد شمالاً ـ شرقاً حتى تصل الفرات. والأرض بين حمص وحلب مسطحة مستوية، وسوريا اكثر خصباً من فلسطين، وترويها مجموعة من الانهار. ولذلك تقل كثيراً صعوبة تأمين المياه والمواد التموينية للجيوش الكبيرة، وجوها مشابه لجو فلسطين.

يظهر من العرض السابق أن العقبات التي كانت تعترض تحرك القوات في ايام الحرب العالمية الاولى هي التباين الكبير في مرتفعات الارض ومنخفضاتها، والاختلاف الكبير في المناخ، والصعوبات الجدية في تأمين المياه، وما يحتمل أن تسببه الامطار من صعوبات في التأثير على التحركات. وزاد من هذه الصعوبات عدم توافر خرائط دقيقة، وكانت المواصلات البرية والبحرية والخطوط الحديدية هي العامل الحاسم في التأثير على مسيرة الاعمال القتالية.

كانت الطرق المدكوكة بفلسطين وسوريا قليلة، ولكن الدروب كانت تصلح في فصل الجفاف لتحرك العربات، ومنها عربات الحملة الميكانيكية ـ الآلية ـ الثقيلة، أما فصل الأمطار فكان يعرقل التحركات وخاصة تحركات الحملة الآلية ـ الميكانيكية.

وكان من الصعب أيضاً استخدام الموانىء، مثل ميناء يافا وحيفا، وذلك بسبب طبيعة السواحل الرملية، وحركة الامواج، والتي كانت تعيق تموين الجيش إلى بضعة ايام.

أما بالنسبة للخطوط الحديدية التي كانت موجودة في سوريا وفلسطين عند نشوب الحرب فيظهرها الجدول التالي:

الخطوط الحديدية	الاتساع	الطول بالكيلومتر ـ والميل.
١ ـ المسلمية (شمال حلب مباشرة ـ متفرع عن خط حديد بغداد) حلب، حمص، رياق.	عادي	٣٣٢كم = ٢٠٠ ميل.
٢ ـ حمص ـ طرابلس.	عادي	٦٥ كم = ٤٠ ميل
٣ ـ بيروت ـ رياق ـ دمشق ـ مزيريب	١,٠٥٠	٢٤١كم = ١٥٠ ميل.
٤ ـ دمشق ـ درعا ـ عمان ـ معان ـ المدينة المنورة	١,٠٥٠	١٣٠٨كم = ٨٥٠ ميل
٥ ـ درعا ـ مزيريب ـ وادي اليرموك ـ عفولة	١,٠٦٦	١٦٢ كم = ١٠٠ ميل
٦ ـ عفولة ـ سيله (فرع من الخط الحجازي إلى نابلس)	١,٠٦٦	٤٥ كم = ٢٥ ميل.
٧ ـ يافا ـ القدس	١ ـ م	٧٢ كم = ٤٥ ميل

وتعود قصة انشاء الخط الحديدي الحجازي إلى بداية القرن العشرين عندما فكرت الدولة العثمانية بتأمين وسيلة نقل تسهل سفر الحجاج المسلمين إلى الديار المقدسة، وتوفير الأمن والراحة لهم. فتقرر تمديد خط حديدي يربط دمشق بالمدينة المنورة كمرحلة اولى، ثم بمكة المكرمة في المرحلة الثانية، ويجري تمديده إلى اليمن في المرحلة الثالثة. وبدأ العمل لتمديد هذا الخط في العام ١٩٠١ بعرض (١,٥٠)م بالأموال التي تبرع بها المسلمون من كل اقطار العالم الاسلامي، وبالأموال التي تبرعت بها الدولة العثمانية واحتفل بافتتاح الخط الحديدي الذي يصل دمشق بالمدينة المنورة بتاريخ ٣١ آب ـ اغسطس سنة ١٩٠٨ وذلك بتسيير أول قطار عليه. وكان يتألف هذا الخط وقتذاك من الأقسام التالية:

- **قسم دمشق المدينة المنورة ويبلغ طوله ١٣٠٨ كم.**
- **قسم درعا ـ حيفا ويبلغ طوله ١٦٢ كم.**
- **قسم بلد الشيخ (قبيل حيفا) ـ عكا ويبلغ طوله ١٧ كم.**

● **قسم قم غرز ـ بصرى ويبلغ طوله ٣٣ كم.**

وقد أصدر السلطان العثماني ارادة سنية باعطاء هذا الخط صفة (الوقف الاسلامي). وكانت قد صدرت ارادة سنية عن الباب العالي ـ في الوقت ذاته، بمنح شركة فرنسية امتياز تمديد خطوط حديدية في بلاد الشام، حملت اسم (شركة خط حديد الشام ـ حماه وتمديداتها) وقامت هذه الشركة بتمديد خط حديدي من دمشق إلى رياق فبيروت ـ بعرض (١,٠٥٠)م وبطول ١٥٠ كيلومتراً تقريباً. كما جرى تمديد خط حديدي بعرض (١,٤٣٥)م. من رياق إلى حمص ـ حماه ـ حلب ـ فالاراضي التركية ومن حمص إلى طرابلس الشام. بالمقاييس التالية:

● **قسم دمشق ـ رياق ـ بيروت ١٥٠ كم عرض ١٠٥٠ مم.**
● **قسم رياق ـ حمص ـ حلب ٣٣٣ كم عرض ١٤٣٥ مم.**
● **قسم حمص ـ العكاري ـ طرابلس ٩٧ كم عرض ١٤٣٥ مم.**
● **قسم حلب ـ اسطنبول ١٥٤٣ كم عرض ١٤٣٥مم.**

وكان وضع الخطوط الحديدية عند بداية الحرب العالمية الاولى كالتالي:

يبتدىء خط حديد بغداد من حيدر باشا (تجاه الآستانة على الشاطىء الآسيوي للبوسفور) وكانت هذه هي القاعدة الأصلية للقوات التركية للشام والعراق. وكان الخط الحديدي المفرد بالاتساع العادي من حيدر باشا لمواصلة المسلمية، شمال حلب، يغذي مسرحي القتال. وكان الخط سنة ١٩١٤ غير تام عند موضعين. ولم تكن عملية بناء النفق قد تمت في جبال طوروس (عند بوظانتي خان ـ شمال أضنه) ولا في جبال أمانوس (شمال غرب حلب) ولذا تطلب الأمر نقل كل شيء ـ رجال واعتدة ـ بالبر عبر تلك الجبال. وكانت حالة الطرق في الشتاء وخاصة فوق جبال أمانوس تسبب تعطيلاً مستمراً. وأخيراً حفر النفق باتساع يسمح بسير خط حديدي ضيق. ولكن نفق طوروس لم يتم استعماله للخط الحديدي بالاتساع العادي الا قبل الهدنة بوقت قصير في تشرين الثاني ـ نوفمبر لسنة ١٩١٨. من ذلك، يظهر أن عملية النقل كانت تتعرض للشحن والتفريغ

أربع مرات ما بين حيدر باشا وحلب، وقد خصصت وسائط كبيرة ـ حيوانات ومعدات آلية ميكانيكية ـ للنقل عبر الجبلين.

أما الجزء الثاني من حلب إلى رياق، فكان مستقيماً بلا متاعب، سوى النقص المستديم في الوقود والعربات. وكان اختلاف اتساع الخط الحديدي عند رياق يتطلب افراغ المواد المنقولة واعادة شحنها للمرة الخامسة. وكان بين رياق والقدس ودرعا (حيث كانت تحمل إلى هنا المواد التموينية للقوات التركية في الحجاز). وكان الخط الحديدي بين درعا والعفولة يسير فوق عدة جسور ونفق كبير بوادي اليرموك، وعند اعلان الحرب خطا الاتراك خطوات سريعة لتمديد الخط حتى حدود فلسطين، ماراً بطول كرم وعلى امتداد السهل الساحلي إلى اللد بعيداً عن البحر قدر المستطاع لتجنب أي هجمات أو إغارات تقوم به جماعات يتم انزالها براً. ومن اللد، استخدم الطريق الحديدي ما بين يافا والقدس (مع تغيير بسيط في اتساعه) إلى محطة المواصلة، ومن هذه الى بئر السبع. وقد وصلها الخط الحديدي في تشرين الاول ـ اكتوبر سنة ١٩١٥. وقد تم الاستغناء عن خط حديد بيروت (بين دمشق ومزيريب) وفي سنة ١٩١٥ ـ ١٩١٦، عندما حاول الاتراك الوصول للقناة، مدوا الخط من بئر السبع إلى العوجة على حدود سيناء. وفي سنة ١٩١٧ مدوا فرعاً من محطة المواصلة جنوباً إلى غزة.

كانت نقطة الضعف لخط المواصلات هي طوله الكبير (٢٠٥١ كيلومتراً = ١٢٧٥ ميلاً ـ من حيدر باشا إلى غزة وبئر السبع) وكانت نقطة الضعف الثانية هي الافراغ والشحن خمس مرات. غير أن نقطة الضعف الاكثر خطورة هي النقص في الشاحنات والعربات والوقود وعدم وجود وحدات كافية للصيانة. ولذا لم تكن حركة اصلاح القطارات والعربات قادرة على تلبية الاحتياجات الضرورية. وجدير بالذكر أن عدد القاطرات لم يكن يزيد على ٣٠ ـ ٥٠ قاطرة صالحة للاستعمال، ولم يكن هناك غير (١٨٠) عربة للركاب. وكان كل قطار يجر خلفه ١٣ ـ ١٥ عربة فقط. وكان على كل قطار أن يجر أربعة خزانات مياه اضافية من أجل امداد

المحطات ونقاط الحراسة. وكان الخطر الاعظم الذي كان يهدد سير هذا الخط هو قلة الوقود. وكانت القاطرات تعمل بالحطب الذي يؤتى به من الشمال. أو بقطع أشجار السمط الصحراوية. ولم تكن كافة هذه التدابير كافية، إذ كان يصعب في كثير من الاحيان الحصول على الخشب. وترتب على ذلك أن الامدادات التي كانت ترسل من الآستانة، يتأخر وصولها إلى الميدان لمدة شهر على الأقل أو ستة أسابيع. وعندما كانت الامدادات بالقوى والوسائط تزيد على قدرة احتمال الخط الحديدي، فانه كان يتم اجراء النقل براً من رياق وحتى جنوب فلسطين ـ أي لمسافة ٤٠٠ كيلومتر (٢٥٠ ميلاً).

الفصل الثاني

١ ـ الفيلد مارشال اللنبي .
٢ ـ تطورات الموقف قبل قيادة اللنبي .
أ ـ الحملة التركية الاولى على القناة .
ب ـ الحملة التركية الثانية على القناة .
ج ـ التقدم البريطاني إلى العريش ورفح .
د ـ موقعة غزة الاولى .
هـ ـ موقعة غزة الثانية .

١ ـ الفيلد مارشال اللنبي .

بدأت معركة (آراس) [1] يوم الاثنين ـ عيد الفصح ـ (٩ نيسان ـ ابريل ١٩١٧) بهدف خداع الالمان وتضليلهم عن الهجوم الفرنسي الذي يوشك أن يبدأ على (الايسن) [2] وكان الجيش البريطاني الثالث يحتل مكانه في وسط ترتيب خط المعركة بقيادة الليفتنانت جنرال (الفريق) السير ادموند هنري هينمان اللنبي [*] ضابط الفرسان ـ الخيالة ـ والذي كان قد ناهز السادسة والخمسين من عمره. وقد عرف في الاوساط العسكرية

---

(١) آراس: (ARRAS) المدينة الرئيسية في منطقة بادوكاليه، وهي العاصمة القديمة للارتواز ARTOIS ـ تقع على نهر سكارب (SCARPE) وهي على بعد ١٧٥ كم إلى الشمال من باريس، تعرضت في الحرب العالمية الاولى للتدمير بنيران المدفعية الالمانية، غير أن الالمان فشلوا دائماً في الوصول اليها.

(٢) الايسن: (AISNE) نهر فرنسي ينبع من الارغون ويصب في نهر الواز قريباً من كومبيين طوله ٢٨٠ كم والملاحة صالحة فيه لمسافة ١١٧ كم. وقد شهدت ضفاف الايسن ثلاثة معارك كبرى في الحرب العالمية الاولى (من ١٣ إلى ٢٠ ايلول ـ سبتمبر ١٩١٤) و(من نيسان ـ ابريل حتى تموز ـ يوليو ١٩١٧) و(من ٢٧ أيار ـ مايو حتى حزيران ـ يونيو ١٩١٨) وهناك اقليم فرنسي يحمل اسم اقليم الايسن.

(*) ادموند اللنبي: LIEUTENANDT - GENERAL. SIR EDMUND HENRY HYNMAN ALLENBY.

البـريطانيـة، وعلى نـطاق واسع، بلقب (الثـور) بسبب هامتـه الضخمة وبسبب مزاجه المتقلب. وكانت هناك قضية على الأقل يتفق الجميع عليها وهي فشل اللنبي في التكيف مع هذه القاعدة أو تلك، مثل اهماله لوضع الخوذة الفولاذية على رأسه في الخنادق.

لقد أخذ اللنبي عن والدته منذ كان طفلاً أن الانضباط والاخلاص في الـولاء هما حقيقـة واحدة لا يمكن فصلهـا. ولهذا فقـد كـان نمـوذجـاً بالاخلاص في ولائه لقائده (السير دوغلاس هيغ)[1]، عـلى الرغم من أن هذا لم يكن يبادله اخلاصاً باخلاص، وولاء بولاء، بل انه لم يحاول اظهار الاهتمام به أو العناية بأمره. ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن هيغ كان يعتقد بعدم توافر الكفاءة القيادية لمرؤوسه اللنبي، حتى انه تعمـد اظهار ضيقه باللنبي في اجتماع ضم قادة الجيش البريطاني. وفي أحيان اخرى، كـان هيغ يـوقف النقاش ويـطلب إلى الضباط الآخـرين اعطاء رأيهم في موضوع المناقشة بينما يكون اللنبي لا يزال مستمراً في طرح رأيه. وعندما اجتمع عدد من القادة لمشاهدة عرض للدبابات، كان اللنبي هو الـوحيد الذي لم يحظ بتحية هيغ له، وتهنئته بصورة شخصية.

لم تكن هذه الامثولات لمواقف هيغ بعيدة عن انظار هيئة أركانـه، ولهذا فانه ما من طلب أو اقتراح رفع من الجيش الثالث إلى القيادة العامة، الا وتم قبوله بتحفظ، والا وقد تم فحصه بعـين الريبـة والشك. ومثـال ذلك: رفض القيادة العـامة للمخـطط الذي تبنـاه اللنبي لاتباع اسلوب جديد في القصف، وذلك بناء على اقتراح قائد مدفعيته بهدف مباغتة العدو قبل البدء بهجوم جديد.

لقد كان اللنبي مخلصاً لمرؤوسيه، وفياً لهم، قدر اخلاصه لرؤسائه ووفائه لهم. ولما كان يعمل للحصول على نوع من الاستقلال في العمل،

---

(١) دوغـلاس هـيـغ: (FIELD MARÉCHAL HAIG DOUGLAS, COMTE DE BEMERSYDE. قائد بريطاني (١٨٦١ ـ ١٩٢٨) أصبح قائداً عاماً للقوات البريطانية في الحرب العالمية الاولى (١٩١٥ ـ ١٩١٨) وقد نشرت مذكراتـه سنة ١٩٥٢ والتي تبـرز بصورة دقيقـة دور القوات البريطانية في الحرب.

وتحمل المسؤولية وحده، فانه كان يفترض، ولو أنه لم يكن على حق دائماً في افتراضه، بأن مرؤوسيه والضباط في هيئة أركانه والعاملين معه، يرغبون بدورهم أيضاً الحصول على اكبر قدر ممكن من الاستقلال في العمل. ونتيجة لذلك، فقد كان يحرص كل الحرص على اختيار اولئك الذين يثق بهم ليمنحهم أوسع الصلاحيات والسلطات. وكان يجمعهم ما بين فترة وأخرى ليتأكد من أن فعالياتهم تنطلق بتنسيق تام فيما بينهم. وكان كل ضابط ينطلق للعمل في اطار المخطط العام لسياسته، وهو على يقين من أنه سيحظى بدعمه الكامل، وأنه سيستمتع بحمايته فيما اذا وقع عن غير قصد بخطأ من الاخطاء. وبهذه الروح طلب اللنبي إلى قائد مدفعيته اعداد رمايات التمهيد التي تسبق الانقضاض بحيث يمكن لهذه الرمايات تحقيق هدف مزدوج: خداع العدو وتدمير مواقعه الدفاعية في وقت واحد. وتمكن قائد مدفعية الجيش الثالث وضع مخطط للرمي لا يحقق هذا الهدف فحسب، وانما يزيد من عملية القصف خلال المرحلة الثانية من الهجوم. وكان اللنبي على استعداد لقبول اعتراضات القيادة على مخطط الرمي. ولكن عندما تعرض هذا المخطط لمأزق الرفض، عمل هيغ على ترفيع قائد مدفعية الجيش الثالث ونقله إلى مكان آخر، وأرسل مكانه ضابط متزمت، وحذر، ويلتزم بتعليمات القيادة وينفذ مخططاتها بدقة.

حدث بعد ذلك أن سحب الالمان قواتهم باختيارهم إلى خط (هندنبورغ). وكان البريطانيون قد أمضوا الاسابيع السابقة بكاملها في الاعداد لهجوم الربيع على الخط السابق. فبات لزاماً عليهم اعادة النظر في مخططات الجيش الثالث. وقذف اللنبي بكل قدرته في الاعداد للمعركة واستنفر كل موارد خياله، وكان لديه وفرة من القدرة والخيال، لا سيما عندما كانت تتعرض مواهبه وامكاناته للتحدي. وتركز هدفه على فكرة واحدة هي مباغتة العدو. وبينما كان اللنبي في حميا الحماسة بانتظار اللحظة الحاسمة للهجوم، تلقى رسالة من هيغ يوم الاحد من عيد الفصح - أي قبل ٢٤ ساعة فقط من الانقضاض الأول. وعبر هيغ في رسالته عن وجهة نظره التي تعتبر مخطط اللنبي لا زال ناقصاً وبه بعض العيوب. وكان ذلك يعني أنه بات لزاماً على اللنبي احتمال كل النتائج،

والاضطلاع بكامل المسؤولية فيما لو تعرضت عملياته للفشل. وعلى الرغم من ذلك، فانه ما من ضابط من ضباط اللنبي يجرؤ على انتقاد القائد الاعلى هيغ على موقفه هذا بحضور اللنبي. ليس ذلك فحسب، بل انه منع توجيه أي نقد لهيئة اركان القائد الاعلى في الجيوش الثاني والرابع والخامس والتي كانت قياداتها مجاورة لقيادته.

لم تكن هموم من هذا النوع هي كل ما كان يعانيه اللنبي في قيادته للجيش الثالث، بل كانت هناك أيضاً هموم خاصة ترهقه. فقد كان ابنه الوحيد ميخائيل ضابطاً برتبة ملازم أول في بطارية مدفعية الفرسان الملكية، والتي كانت مشتبكة في الهجوم. وبالرغم من ذلك، فانه لم يظهر ولو شارة واحدة تنم عن قلقه أو همومه، وكان كل ما يفعله هو السير على مهل الى مكتب الطوارىء في كل مساء للاستعلام بلهجة عادية فيما اذا ورد اسم ابنه في قائمة القتلى أو الجرحى.

بدأ الهجوم في يوم ٩ نيسان ـ ابريل ١٩١٧، وكان هجوماً ناجحاً، وتمكنت الفرق المتقدمة ـ من جيش اللنبي ـ من اجتياح التنظيمات الدفاعية وخطوط الخنادق، واستطاعت القوات المهاجمة ان تحصل على اعداد كبرى من الاسرى ومدافع الميدان. غير أن نصيب المرحلة الثانية من الهجوم لم يكن مماثلاً لما تم تحقيقه من نجاح في المرحلة الاولى. وكان استثمار ظروف الاضطراب والفوضى مما هيمن على خطوط القتال في اعقاب الهجوم الاول، يتطلب من الفيالق الثلاثة ومن قادة الفرق العشرة العمل بحزم من اجل المحافظة على (زخم) الهجوم، والابقاء على المعدل الوسطي لسرعة تقدمه. غير أن الظروف المناخية السيئة، والطبيعة المرعبة للأرض، القت بثقلها ضد قوات الهجوم، فأسهمت جزئياً بتعثر الهجوم وترنحه، كما أسهم في ابطاء سرعة تقدم الهجوم ـ جزئياً أيضاً ـ فشل بعض قادة التشكيلات في العمل بحزم وفي الوقت المناسب فوصل الهجوم إلى ما يشبه التوقف في يوم ١٠ نيسان ـ ابريل ١٩١٧. وحاول اللنبي ممارسة دور شخصي في التأثير على مجرى العمليات، فتولى قيادة الفرسان يوم ١١ نيسان ـ ابريل. ثم كتب إلى زوجته. «لم نكد ننطلق في الهجوم حتى توقفنا

بتأثير الاسلاك الشائكة ونيران المدافع الرشاشة، وسطح أرض المعركة المشوه بالحفر العميقة والاخاديد، لقد كان الهجوم عملاً متسرعاً». وحاول اللنبي اثارة الحماسة لدى، قادة فرقه، غير أن المخطط العام للهجوم كان يحد من حرية عمله. وبدأت اصوات التذمر والشكوى تتصاعد من وسط قادة الفرق بسبب الهجمات العقيمة والمتكررة والفاشلة باستمرار. وفي النهاية صدر الأمر بايقاف كافة الهجمات للجيوش البريطانية الأربعة.

لم تمض إلا فترة قصيرة حتى علم اللنبي بأنه سينتقل إلى مسرح آخر من مسارح العمليات. وظن لأول وهلة ان القضية ليست قضية نقل بقدر ما هي قضية ابعاد عن مسرح العمليات، عمل لها هيغ للتخلص منه، ولو أن هذا الابعاد قد غلف بعبارات رقيقة وباسلوب دمث، وهكذا غادر اللنبي فرنسا يوم ٦ حزيران - يونيو ١٩١٧، والمرارة تملأ فمه. غير أنه ما كاد يصل إلى انكلترا في اليوم التالي - يوم ٧ حزيران - يونيو - حتى طلب اليه التوجه لمقابلة رئيس هيئة اركان جيوش الامبراطورية - السير ويليم روبرتسون - ثم مقابلة الوزير الاول - رئيس مجلس الوزراء - لويد جورج - وعرف من مقابلاته الاولى أنه لم ينقل نتيجة تقرير مجحف كتبه هيغ ضده، وأنه لن يذهب بعد كل ما بذله من جهد إلى زوايا النسيان، بل انه سيبدأ الآن، وعلى التو، في تنفيذ العمل الذي يطمح كل قائد بريطاني للاضطلاع به. ولقد اختاره رئيس الوزراء - لويد جورج - بالذات ليكون القائد الاعلى للجيش البريطاني في مصر، بمهمة استئناف الهجوم ضد العثمانيين في الشرق.

لقد كان لويد جورج يبحث عن النصر، ولقد أراد أن يكون هذا النصر كبيراً، وعندما اجتمع باللنبي: «عبر له عن ثقته الكبرى بكفاءته وقدراته. وأعلمه أنه يريد منه التقدم بهجوم سريع على فلسطين. وأن تكون القدس هي هدية عيد الميلاد للشعب البريطاني».

وأخذت هيئة اركان اللنبي في الاعداد بسرعة لمتطلبات المهمة الجديدة. وعندما غادر اللنبي مدينة لندن يوم ٢١ حزيران - يونيو كان متاعه يضم صندوقاً من الكتب - اهمها كتاب التوراة، وكتاب (الجغرافيا

التاريخية للأراضي المقدسة)(*).

وصل اللنبي إلى مصر، وتولى قيادته يوم ٢٨ حزيران - يونيو ١٩١٧. فتوجه على الفور إلى فلسطين التي كانت قيادة القوات فيها تابعة (للفريق السير فيليب شيتوود)(*)(*) وعندما رجع من جولته الثانية في شهر تموز - يوليو، كتب إلى انكلترا - في يوم ٢٧ تموز - يوليو - ما يلي: «كنت أمضي الوقت راكبا السيارات أو الخيول، وأنا أقوم باستطلاع التنظيمات الدفاعية، وموارد المياه». وما إن رجع اللنبي من جولته إلى القاهرة حتى تلقى برقية من زوجته كان ينتظرها وهي تحمل اليه نبأ مفاده بأن ابنهما قد لقي مصرعه. وأجاب برسالة تبعتها رسائل تؤكد كلها مدى تأثره العميق بهذا النبأ. وعلى الرغم من هذا التأثر فانه ما من أحد من المحيطين باللنبي شعر بتغير في سلوكه أو ردود فعله. لقد كانت لديه قدرة كبيرة على اخفاء مشاعره، واستمر في جولاته العادية متنقلاً من مكتب إلى مكتب ومن مركز إلى مركز حتى بات يعرف كل ضابط من ضباطه مهما كانت رتبته. وكان من بين هؤلاء الذين قابلهم (الرائد ريتشارد مينرتزيجن)(*)(*)(*) الذي كان قد وصل حديثاً من وزارة الحرب للاضطلاع باعمال الجاسوسية - الاستطلاع - في فلسطين، وكتب ما يلي: «... دخلت على اللنبي، وتحدثت اليه طويلاً بامور الاستخبارات، وأقسم انه كان يختلف تماماً عن سلفه - موري - لقد كانت تعبيرات وجهه قوية، صارمة، وكانت طريقته في العمل قاسية إلى درجة مثيرة. غير أنني افضل هذه الطريقة عن طرائق المجاملة في الحياة العسكرية. وقد نجحت حيوية اللنبي ونشاطه بحيث انه لم يكن باستطاعة أشد المتشائمين الا أن يثق به. وها هي قوات الحملة المصرية وقد استيقظت من سباتها، واشعر بالسعادة لاقتراب انتقال القيادة إلى فلسطين حيث ستكون قريبة من

(*) الجغرافيا التاريخية للأراضي المقدسة (HISTORICAL GEOGRAPHY OF THE HOLY LAND - BY SIR GEORGE ADAM SMITH).

(**) فيليب شيتوود (LIEUTENANT - GENERAL SIR PHILIP - CHETWODE)

(***) مينرتزيجن: (MAJOR RICHARD MEINERTZHAGEN)

القوات، بدلاً من التمرغ في ترف القاهرة. وسيضع هذا الانتقال حداً لما يطلق عليه اسم القوات الشرقية، ومواقفها الاستقلالية الجائرة عن قيادتها في القاهرة. كما سيضع نهاية لسياسة شيتوود السلبية. واقراراً بالواقع، فان شيتوود هو جندي رائع، غير أنه في حاجة لمن يوجهه، ولو انه شديد العصبية يعتمد في كل عمل من اعماله على الخداع والتضليل، وينسب للاتراك كل انواع التقدير والاعجاب باساليبهم الاستراتيجية وطرائقهم التكتيكية، وفيما عدا ذلك فانه جندي خصب الخيال ذو افكار سليمة، تنقصه القدرة على المبادأة والشجاعة لاخراج مخططاته من عالم النظرية إلى عالم التطبيق والتنفيذ. وهذا هو بدقة ما كان متوافراً للجنرال اللنبي...».

٢ ـ تطورات الموقف قبل قيادة اللنبي.

يظهر مما سبق أن وصول اللنبي قد جاء في اطار مخطط رسمته الدوائر الاستعمارية البريطانية للاستيلاء على فلسطين بالدرجة الاولى، ولتدمير الروابط العربية ـ الاسلامية ثانياً، وتصفية الدولة العثمانية ثالثاً باعتبارها معقل الرابطة الوثقى للعالم الاسلامي. وكان (لويد جورج) هو أحد العقول ـ او الادمغة ـ الموجهة لهذا المخطط، كما كان اللنبي هو الذراع المنفذ للمخطط المذكور. وعلى هذا، فان قيام الثورة العربية الكبرى لم يضمن للدوائر الاستعمارية ـ البريطانية بالدرجة الاولى ـ الدعم المادي الذي كانت أحوج ما تكون إليه في مأزقها تجاه جبهة مصر، وانما ضمن الغطاء المعنوي لحركة القوات البريطانية. غير أن الاهداف كانت متباينة جداً، فاذا كان الشريف حسين يريد اقامة دولة عربية ـ اسلامية تعيد للعرب دورهم القائد والرائد في العالم الاسلامي، واذا كان قادة العرب من عسكريين وسياسيين قد انطلقوا في حمل شعلة الثورة العربية والاسلامية ـ وهم يمثلون كل اقطار العالم العربي الاسلامي من عرب (عراقيين وسوريين وفلسطينيين واردنيين ولبنانيين) بحسب ما صارت تسمياتهم بعد ذلك، بالاضافة إلى عرب المغرب العربي ـ الاسلامي

(وخاصة المصريين) بهدف اعلاء شأن العرب المسلمين، والانتقال بهم إلى عالم جديد تتفتح فيه طموحات المستقبل وآماله - إذا كان هدف الشريف حسين والقادة العرب هو تحقيق هذا الهدف النبيل - فقد كان هدف الدوائر الاستعمارية هو استخدام هذا المد الثوري لتحقيق اهدافهم الخاصة. ويظهر ذلك بوضوح أن قضية تبادل الدعم لم يكن الا (لعبة متبادلة) إذا ما جاز التعبير، وكان من المتوقع بالتالي أن يفوز في هذه اللعبة الطرف الاقوى - كما هي العادة في كل تحالف غير متكافىء. وقد أدرك اللنبي ذلك وعمل له بوضوح منذ تجاوز غزة في طريقه إلى (القدس الشريف). كما عمل له بوضوح اكبر عندما بدأت القوات العربية في التقدم إلى دمشق ومنها إلى بقية بلاد الشام - على نحو ما سيرد عرضه. وعلى كل حال، فعندما وصل اللنبي إلى مصر وفلسطين، كانت هناك مجموعة من التحولات البطيئة التي استمرت طوال ثلاثة أعوام تقريباً (١٩١٤ - ١٩١٧) بدأت بابعاد الخطر عن قناة السويس، وانتهت بنقل الصراع المسلح على حدود بلاد الشام (جنوب فلسطين). وتخلل ذلك مجموعة من الوقائع والمعارك، قد يكون من المناسب التوقف عند ابراز اكثر معالمها أهمية.

أ - الحملة التركية الاولى على القناة.

كان أول ما فكرت به القيادة التركية - الالمانية يوم أعلنت تركيا الحرب في الخامس من تشرين الثاني - نوفمبر - سنة **١٩١٤** هو التقدم إلى مصر، وتهديد قناة السويس، وبدأ الاعداد للحملة. وكانت هناك ثلاثة محاور للتقدم:

١ - محور الطريق الساحلي من العريش إلى القنطرة - مروراً ببئر العبد والقطية.
٢ - محور الطريق الاوسط - من بئر السبع إلى الحسنة ووادي ام خشيب - حتى الاسماعيلية.
٣ - محور الطريق الجنوبي - من القسيمة إلى نخل حتى السويس.

كان الطريق الساحلي هو أسهل الطرق الثلاثة لأن كمية المياه

مضمونة به اكثر من سواه، ولكن الطريق الأوسط كان أفضل للتحرك بسبب طبيعة أرضه القاسية، وبسبب وقوع التحرك بعيداً عن تهديد البحرية البريطانية. وكانت الخزانات الحجرية، والبرك، على هذا الطريق ممتلئة بالمياه عقب الأمطار الغزيرة غير العادية التي هطلت في شتاء سنة ١٩١٤ ـ ١٩١٥. وكان الطريق الجنوبي هو أصعب الطرق الثلاثة، وليس له من ميزة خاصة. وعلى هذا، فقد اختار جمال باشا تركيز جهده الاساسي على الطريق الاوسط، مع ارسال قوات صغيرة على الطريقين الأخيرين، حتى يكون الجنبين آمنين، ولخداع الانكليز عن محور الهجوم الاساسي. وكان من الضروري إذا كان الغرض غزو مصر، سرعة امتلاك الترعة الحلوة عند الاسماعيلية، أو قربها، والسيطرة عليها، وكان الطريق الاوسط هو الطريق الذي يوصل للغرض مباشرة. وسارت القوة الأساسية من بئر السبع في منتصف كانون الثاني ـ يناير سنة ١٩١٥، على شكل رتلين، بفاصل يوم واحد بينهما، بسبب الحرص على تأمين موارد المياه، واجتازت القوات صحراء سيناء في عشرة أيام، سائرة ليلاً لتجنب حرارة النهار، وبهدف الاختفاء عن مراقبة الانكليز. غير أن هؤلاء لم يكونوا يجهلون تقدم الاتراك، فقد كانت طائراتهم تتابع التحركات يوماً بعد يوم. وهاجم الاتراك في يومي ٢٦ و٢٧ كانون الثاني ـ يناير أقصى المراكز البريطانية عند طرفي الخط في القنطرة والكوبري ـ احد عشر كيلومتراً تقريباً شمال السويس، أو ٧ أميال ـ ولم تنخدع القيادة الانكليزية بهذين الهجومين لخلوهما من الضغط الجدي، ولكونهما هجومين خداعيين. وسرعان ما ظهر أن الجهد الاساسي للقوات التركية قد تركز على القطاع الاوسط بين (سارابيوم) على بعد ٧ كيلومترات جنوب بحيرة التمساح وبين (الفردان) على بعد أحد عشر كيلومتراً تقريباً شمال الاسماعيلية. وتمكنت القيادة البريطانية من الحصول على معلومات ـ في اليوم الاول من شباط ـ فبراير ـ تفيد بأن قوة تركية من ١٢ ـ ١٥ ألف جندي قد احتشدت أمام تلك الجبهة، فاحتلت قطع البحرية البريطانية والفرنسية مواقعها بالقناة، وارسلت قوات دعم إلى خلف الاسماعيلية. وكان بالجبهة ١٢ نقطة دفاعية على امتداد الشاطىء الشرقي (عند الفردان والمعدية ـ امام

الاسماعيلية - وطوسون ودفرسوار - شمال البحيرة المرة الكبرى مباشرة) وكان بكل نقطة سريتان من المشاة الهندية، أما باقي القوة المدافعة فكانت غرب القناة.

قام الاتراك بشن هجومهم الاساسي في الساعة الثالثة من صباح يوم ٣ شباط - فبراير ١٩١٥. وأمكن لهم الافادة من ظلمة الليل وتعاريج الأرض لنقل جسور خفيفة وزوارق إلى الشاطىء الشرقي، جنوب طوسون مباشرة، وأن ينزلوها إلى ماء القناة. وعندما بدأت القوات التركية بركوب الزوارق والتحرك لعبور القناة، صدرت شارة الانذار، وفتح البريطانيون نيراناً قوية من مراكز الدفاع بالشاطىء الغربي الذي لم يصله منها الا ثلاثة جسور خفيفة، أسر كل من بها أو قتل. وبذا فشلت المحاولة فشلاً تاماً. ورغم فشل الاتراك في هجومهم الليلي، فانهم تقدموا ثانية في ضوء يوم ٣ شباط - فبراير على الواجهة بين طوسون وسرابيوم، وحاولوا العبور عنوة، وقاموا في الوقت ذاته بهجوم خادع على الفردان والقنطرة، ولكنه لم يفلح. وبعد الظهر بقليل، بدأ الاتراك في الانسحاب.

لم تحاول القوات البريطانية ازعاج القوات التركية أثناء انسحابها، فيما عدا هجوم مضاد قامت به سريتان في الدفرسوار - من هنود الجركا - للالتفاف على الجناح الايسر للقوات التركية. ولم يعبر لواء فرسان الخدمة الامبراطورية في اليوم التالي - يوم ٤ شباط - فبراير. وكان عبوره للقناة عند نقطة المعدية بقصد الاستطلاع لا المطاردة. لأن الانكليز كانوا يتوقعون أن يعاود الاتراك هجومهم. وقد يكون من الغريب ألا يزج الاتراك بالفرقة العاشرة في هذا الهجوم، على الرغم مما عرف عن هذه الفرقة من التدريب الجيد والروح المعنوية العالية، ولعل عدم اشتراكها في العملية، ثم الفشل الذي انتهت اليه هذه العملية، هو الذي أدى الى تدهور الروح المعنوية لهذه الفرقة. وعلى كل حال، فقد أصيب جمال باشا باحباط كبير أثناء متابعته للعملية، بسبب حدوث ما كان يتوقعه من قيام ثورة في مصر - لم يعمل هو لاشعالها او تنظيمها شيئاً - فما كان منه الا أن أصدر أمره

بالانسحاب إلى بئر السبع، وكان الانسحاب عاماً على جميع الطرق يوم ٥ شباط ـ فبراير وفتحت القناة للملاحة بعد ظهر ذلك اليوم، كالمعتاد.

بلغت خسائر الاتراك ٢٣٨ قتيلاً ـ دفنهم الانكليز ـ و٣٦٦ جريحاً و٧١٦ أسيراً. ولم تتجاوز خسائر البريطانيين ١٥٠ مقاتلاً.

لقد بذل الاتراك جهوداً جبارة لنقل قوة كبيرة، ومعها مدافعها الثقيلة، وجسورها لمسافة تزيد على ١٦٠ كيلومتراً (١٠٠ ميل) عبر الصحراء. وعلى الرغم مما أصابهم من فشل فقد بقي لديهم أمل كبير في ارغام بريطانيا على الاحتفاظ بقوات كبيرة في مصر، بمجرد التهديد باقفال القناة، ولهذا فانهم عندما انسحبوا الى بئر السبع، بقي (كرس فون كرسنشتاين) بالصحراء، ومعه قوة من ثلاث كتائب وكتيبتي مدفعية جبلية، وسرية هجانة، للقيام بعمليات صغرى، وشن اغارات على القناة. وأمكن له تنفيذ مهمته بكفاءة عالية، فوضع القوات البريطانية في القناة تحت التهديد الدائم.

أظهرت عملية الهجوم التركي ضعف التنظيم الدفاعي البريطاني غرب القناة، وأخذت الانتقادات في الارتفاع بالقول: «**هل دافعت حامية مصر عن القناة أم أن القناة هي التي دافعت عن حامية مصر؟**». وكان لا بد من علاج هذا الموقف الخاطىء.

قام اللورد كتشنر بزيارة لمصر في شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر **١٩١٥**، وقرر خطأ مشروع الدفاع في غرب القناة، فأرسل الجنرال (هورن) خصيصاً لدراسة الموقف، وعمل هذا على اختيار خط دفاعي متقدم يبعد عن القناة شرقاً بما يقارب **١٢** كيلومتراً، حتى تصبح القناة بعيدة عن مرمى المدفعية بعيدة المدى. كما تم اختيار خط دفاعي آخر يقع في منتصف المسافة للقناة. كما تم تنظيم خط دفاعي ثالث على الشاطىء الشرقي للقناة. وتطلب تنظيم هذه الخطوط الدفاعية حشد كميات ضخمة من الوسائط والاعتدة والعمال. ورافق ذلك مد خط حديدي، ليصبح مزدوجاً، ما بين الزقازيق والاسماعيلية. كما تم تمديد خط حديدي ضيق لداخل الصحراء في ثماني أو تسع نقاط. بالاضافة إلى تمهيد الطرق

ورصفها، وتمديد قنوات المياه. وزاد طول الخطوط الحديدية التي تم تمديدها، وقنوات المياه التي تم تمديدها ايضاً خلال اسابيع قليلة اكثر من ١٦٠ كيلومتراً. كما حفرت مئات الكيلومترات من الخنادق التي دعمت بالمساتر والاسلاك الشائكة. وقد اضطلع العمال المصريون بمعظم هذه الاعمال.

كان احتلال الخطوط الدفاعية الجديدة يتطلب قوات كبيرة تزيد على ما كان متوافراً في مصر. كما كانت هناك قضية اساسية تتطلب الحسم، وهي قضية تعدد القيادات. ففي بداية سنة ١٩١٦، وجدت على أرض مصر ثلاث قيادات: فقد وصل الجنرال سير ارشيبالد موري في كانون الثاني ـ يناير لتسلم قيادة حملة (تجريدة) البحر الابيض المتوسط والتي كانت قد جلت عن غاليبولي حديثاً ونقلت إلى منطقة القناة. وكانت هناك قيادة السير جون ماكسويل المسؤولة عن العمليات في الدلتا والصحراء الغربية (ضد السنوسيين) والسودان، مع ادارة الاحكام العرفية بمصر كلها ومنطقة القناة. وكانت القيادة الثالثة والمستقلة ايضاً تقيم في الاسكندرية، وواجبها كما حددته وزارة الحرب البريطانية عندما انشأت هذه القيادة في نهاية سنة ١٩١٥ هو العمل لتنظيم قاعدة تكون احتياطاً لميادين غاليبولي وسالونيك ومصر. ولما كان من غير الطبيعي بقاء هذه القيادات المستقلة بعضها عن بعض، فقد تم توحيدها في بداية شهر آذار ـ مارس ١٩١٦ تحت قيادة ارشيبالد موري. **وتم في الوقت ذاته تغيير اسم الحملة (التجريدة) التي كانت تحمل اسم (حملة البحر الابيض المتوسط) فأصبح اسمها (الحملة المصرية) وسيبقى اسم الحملة بهذا الشكل حتى نهاية الحرب.** انصرف السير أرشيبالد موري لمعالجة قضية الدفاع عن مصر، وما لبث أن عرض على رئيس هيئة أركان حرب الامبراطورية في منتصف شباط ـ فبراير ١٩١٦ مشروعه الدفاعي والذي أشار فيه إلى أن الدفاع السلبي عن القناة فيه إسراف كبير للقوى والوسائط. وأن القاعدة الاستراتيجية الحقيقية للدفاع عن مصر انما تقع بين العريش والقسيمة. وأن وجود قوة خفيفة الحركة بالعريش أو قربها، سيغلق الطريق الشمالي في صحراء سيناء، ويهدد جنب أي قوة تتقدم على الطريق الأوسط أو الجنوبي. وقد تسبق أي

تقدم عبر حدود مصر إلى سيناء بالهجوم على أي قوات تتجمع بفلسطين الجنوبية وتفرق تجمعها. وأول خطوة هي احتلال منطقة القطية. واقترح أن يخطو هذه الخطوة في الحال. وكان مد الخط الحديدي إلى تلك المنطقة مسألة حيوية الأهمية للمشروع. وقد قدر الجنرال موري إجمالي القوة اللازمة للدفاع عن حدود مصر الشرقية، اذا احتلت العريش بخمس فرق وأربعة ألوية راكبة. وقد وافقت وزارة الحرب البريطانية على اقتراح احتلال القطية أما التقدم التالي للعريش فلم تبت فيه. وتقع القطية التي تبعد عن القناة نحواً من أربعين كيلومتراً، في الطرف الغربي لسلسلة الواحات التي تمتد لمسافة ٢٥ كيلومتراً حتى (بئر العبد)(*) حيث يتوافر في هذه المنطقة كميات جيدة من المياه التي تصلح للشرب رغم ملوحتها القليلة. وهي المنطقة الوحيدة القريبة من القناة والتي يمكن فيها حشد قوات كبيرة لمدة طويلة. وبدأ مد الخط الحديدي بالاتساع العادي من القنطرة إلى القطية مع بداية شهر آذار ـ مارس. وفي الوقت ذاته بدأ تنظيم حملة الجمال اللازمة لفرقة واحدة ولواء راكب ـ وهي القوة المعينة لاحتلال القطية. وأرسلت القوات الراكبة إلى الواحات مع بداية شهر نيسان ـ ابريل للقيام بعمليات الاستطلاع الأولية. واتخذت الاجراءات الوقائية ضد تحرك القوات التركية في وسط شبه جزيرة سيناء، عن طريق تدمير موارد المياه. وقد نجحت الاغارات التي قامت بها الطائرات والقوات الراكبة في تدمير الكثير من خزانات المياه على الطريق الأوسط الذي سار عليه الاتراك في هجومهم الأول.

ب ـ الحملة التركية الثانية على القناة.

كان لدى الاتراك مشروع آخر لتجريد حملة ثانية يتم ارسالها للقناة في ربيع سنة ١٩١٦. غير أنه تم تأجيل هذا المشروع بسبب تأخر وصول الامدادات. وفي هذه الفترة، نقلت بريطانيا قوات كبيرة من مصر إلى

(*) جدير بالذكر ان نابليون بونابرت قد جعل من بئر العبد قاعدة لتقدمه عبر الصحراء الى فلسطين في سنة ١٧٩٩.

الجبهة الغربية، فأوعزت ألمانيا إلى القيادة التركية العليا تعليمات باتخاذ اجراءات سريعة ضد القناة بهدف ارغام بريطانيا على ايقاف سحب أي قوات أخرى. وعلى هذا تحرك (كرس فون كرسنشتين) الجريء دائماً في منتصف شهر نيسان - ابريل على الطريق الساحلي، ومعه كتيبتين وسرية من اللواء ٣٢ ولواء من العرب غير النظاميين راكبين جمالاً وكتيبة ونصف من المدفعية الجبلية وبلغت (٣٥٠٠) مقاتل تقريباً و٦ مدافع و٤ مدافع رشاشة.

كان اللواء الخامس الراكب (يومنري الوريكشير، وهوسارز الجلوسترشير، ويومنري الورسترشير) وقتئذ في (منطقة القطية) لحماية إنشاء السكة الحديدية التي كانت قد اقتربت من رمانة ولاستطلاع مصادر المياه بالواحات وتنظيمها. وفي مساء ٢٢ نيسان - ابريل كانت كتيبتان من لواء الورسترشير قد وصلتا إلى (اوغراطينا) على بعد ٧ كيلومترات شرق (القطية) لحماية سرية الميدان من سلاح المهندسين التي كانت تعمل في تنظيم الآبار، وكتيبة من لواء جلوسترشير عند (القطية) بالاضافة إلى كتيبتين كانتا عند (الرمانة). وكان لواء الوريكشير (كتيبتين + كتيبة من لواء ورسترشير) متجمعة عند (بئر مغيبرة) على بعد ١٦ كيلومتراً تقريباً جنوب - شرق القطية. وفي الساعة ٤٣٠ من صباح يوم ٢٣ نيسان - ابريل انقضت القوات التركية بقيادة كرس - بعد سير ليلي طويل - على القوة البريطانية في (اغراطينا) مستفيدة من ضباب الفجر الذي اعاق البريطانيين عن الاستطلاع، الأمر الذي أدى إلى مباغتة (قوات يومنري) مباغتة تامة واجتياحها بعد مقاومة ضارية استمرت ثلاث ساعات. ثم سارت القوة التركية إلى (القطية) وهاجمت كتيبة جلوسترشير في الساعة الثامنة صباحاً، وقد انضمت اليها كتيبة ورسترشير التي كانت في بئر حميصة فتمكنتا من الصمود حتى الساعة ١٥٠٠ عندما تغلب عليهما الاتراك واجتاحوا مواقعهما. ولما علمت قوة الوريكشير أثناء ذلك بخلو (بئر مغيبرة) بعد تركها الاتراك لمهاجمة دويدار، سارت الوريكشير إلى القطية لدعم قوتها. وسارت قوة جلوسترشير من (رمانة) لتنفيذ الواجب ذاته. غير أن مجهودهما لم يحقق أي نتيجة بسبب عدم التنسيق. ولما تأكدت القيادة البريطانية من


بورسعيد
البحر الأبيض المتوسط
خليج الطينة
المحمدية
بحيرة البردويل
محطة رمانة
بلوسيوم
فرقة الاتراك
القطية
حوض الحنه
منطقة الحميصه والحاتات
بئر مغيره
كثبان رمل
تل ٧٠
القنطرة
محطة جلبانة
اللواء الراكب
لواء نيوزيلند
حوض البدا
لواء الفرسان ٣
محطة
رتل
موقعة رمانة
الساعة ١٦٠٠ يوم ٤ آب
اغسطس ١٩١٦
٥ أميال
الهجوم التركي الأساسي
" " التثنيتي
الدروب الاساسية



جنود الجيش البريطاني في معارك فلسطين

سقوط القطية سحبت باقي اللواء على اتجاه القناة. واستأنف الاتراك هجومهم في يوم ٢٤ نيسان ـ ابريل ضد دويدار من الساعة الخامسة صباحاً حتى الساعة ١٣٠٠، غير أن قوة المشاة الانكليزية صدت الهجوم الذي لم يسفر عن أية نتيجة. وفي يوم ٢٥ نيسان ـ ابريل استعاد اللواء الثاني من الفرسان الاسترالية الخفيفة (الذي كان متجمعاً عند الصالحية على بعد ٢٩ كيلومتراً غرب القنطرة استعداداً للتقدم إلى القطية) رمانة والقطية، وانسحب الاتراك الى بئر العبد.

أحرزت القوة التركية بقيادة كرس فون كرسنشتين انتصاراً تكتيكياً كبيراً، غير أن ذلك لم يحقق أي نتيجة استراتيجية، إذ استمر ارسال

القوات للجبهة الغربية، كما أن (كرس) لم يحاول طوال الاشهر الثلاثة التالية لاغارته الناجحة القيام بأي اغارة جديدة، نظراً لأنه كان ينتظر وصول وحدات فنية من ألمانيا(*) وقد افادت القيادة البريطانية من هذا التوقف، فنظمت (فرقة الانزال الراكبة) بقيادة ضابط من الفرسان الاسترالية ـ وهو الميجر جنرال شوفل ـ من ألوية الفرسان الاسترالية الخفيفة الأول والثاني والثالث ولواء الرماة النيوزيلاندي الراكب. وبعد كارثة القطية قام لواءان من هذه الفرقة بحماية تمديد الخط الحديدي وبمراقبة منطقة الواحات بالدوريات.

وصل الخط الحديدي في منتصف شهر أيار ـ مايو إلى (رمانة) وتقدمت الفرقة ٥٢ لتحتل موقعاً دفاعياً هناك، حيث تقع سلسلة من التلال الرملية الممتدة من المحمدية على الشاطىء نحو الداخل بمسافة عشرة حتى أحد عشر كيلومتراً. وهذه التلال بمثابة موقع دفاعي طبيعي متين ضد أي عدو يتقدم من الشرق. وقد نظمت على هذه التلال ١٨ مركزاً دفاعياً (يتمركز في كل واحد منها ١٠٠ بندقية ومدفعي رشاش) ويحمي الطرف الغربي من بحيرة البردويل الجنب الأيسر ـ أي الشمالي ـ أما الجنب الجنوبي فيرتكز على الكثيب الشهير المسمى (كثيب جانيت) وتمتد من هذا الكثيب قبة عريضة نحو الغرب، وهي تشكل الحد الجنوبي للهضبة الرملية التي يسير عليها الخط الحديدي، والتي اطلق عليها اسم (قبة ولنغتون) وتوجد جنوبها سلسلة من الكثبان الرملية المنعزلة يبلغ ارتفاعها نحواً من ٨٠ متراً، أشهرها جبل مرديث (٧ كم تقريباً جنوب رمانة) وجبل رويستون(**) (٧ كم تقريباً جنوب غربها) وتجري بين

(*) كون من هذه الوحدات تشكيلاً سمي (الباشا نمرة ١) وكان يشمل ٥ سرايا من المدافع الرشاشة و٥ مجموعات من المدفعية المضادة للطائرات و٤ كتائب مدفعية ثقيلة وكتيبتي مدافع جبلية نمساوية ثقيلة وسريتي مدافع هاون ـ الخنادق ـ وسرب طائرات وثلاث سرايا تمديد خطوط حديدية وثلاث سرايا عربات نقل كبيرة (لجزء جبال أمانوس الخالي من الخط الحديدي).

(**) سميا باسمي قائدي اللواءين الاول والثاني من الفرسان الاسترالية الخفيفة، وكان ثانيهما ـ روبستون ـ مشهوراً بالبقاء طويلاً على سرج حصانه، حتى انه ركب في موقعة (الرمانة) ما لا يقل عن ٤٠ حصاناً، إلى أن أوقفها التعب. وكان ينطلق باقصى سرعته ـ الهيدبا ـ ما بين المواقع والالوية المجاورة المنتشرة على خط النار.

هذين الجبلين مجاري مياه مخترقة قبة ولنغتون إلى الخط الحديـدي والهضبة التي تقع خلف موقع رمانة، وقد تم تمديد خط حديدي ضيق من بورسعيد إلى المحمدية. ثم تبع ذلك ـ في اوائل حزيران ـ يونيو تمديد فرع من الخط الحديدي بالاتساع العادي من رمانة إلى المحمدية. وبذا تمت المواصلات الحديدية خلف الموقع بأجمعه.

تناقصت قوة الحملة المصرية في تلك الفترة إلى درجة كبيرة، حتى انه لم يبق في اوائل حزيران ـ يونيو ١٩١٦، من أصل ١٢ فرقة، والتي كانت في بداية السنة موجودة في مصر، إلا سبع فرق فقط، ارسلت ثلاث فرق منها ايضاً خلال هذا الشهر ـ حزيران ـ إلى فرنسا.

عندما أصبحت مواقع (رمـانة) قـوية في تنـظيمها الـدفاعي، بـدأ العمل لتمديـد الخط الحديـدي إلى (القطيـة). وهنا تحـرك (كرس فـون كرسنشتين) من جديد في أوائل تموز ـ يوليو وكـانت قوتـه تضم الفرقـة الثالثة (وهي فرقة اناضولية جيدة) و(وحدة الباشا نمرة واحد) فبلغ مجموع قوته ١٦ ألف مقاتل (١٢ ألف بندقية و٣٠ مدفعاً و٣٨ مدفعاً رشاشاً) وكانت هذه القوة تزيد كثيراً في قدرتها على القوة التي سبق لها أن هاجمت مصر. وكان هدف الاتراك الوصول الى موقع تتمكن فيه القوة من ضرب القناة بالمدافع لتعطيل حركة الملاحة فيها وتخريبها.

تحـركت القوة التـركية الاسـاسية في يـوم ٩ تموز ـ يـوليو فغـادرت الشلال (شمال غـرب بئر السبـع) وكانت تسـير ليلاً وتتـوقف نهاراً حتى وصلت بئر العبد وأغراطينا في ١٩ تموز ـ يوليو. وعلمت القيادة البريطانية بهذا التحرك، فدعمت القطاع الثالث من دفاعات القناة في الحـال ـ وهو الذي يشمل الموقع المتقدم في رمانة. فأصبح فيه يوم ٢٢ تموز ـ يوليو يضم الفرقة ٥٢ ولواء من الفرقة ٥٣ يدعمها ٣٦ مدفعاً. وفي ٢٤ تموز ـ يوليو وضعت الفرقة ٤٢ تحت قيادة قائـد القطاع الثـالث ـ وهو الميجـر جنرال لورنس ـ ووضعت ألوية هذه الفرقة منسقة بالعمق على الخط الحديدي ما بين محطة جلبانة والقنطرة. وكانت قيادة القطاع الثالث بالقنطرة التي تبعد ٤٠ كيلومتراً عن رمانة ـ تقريبـاً ـ وكان تـوزيع القـوات الراكبـة كالآتي:

اللواءان الأول والثاني من الفرسان الاسترالية الخفيفة برماته ـ وكانا تحت رئاسة فرقة الانزال الراكبة، وكان لواء نيوزيلاندة الراكب واللواء الخامس الراكب ـ يومنري ـ بالتل ٧٠ شرق القنطرة. واللواء الثالث من الفرسان الاسترالية الخفيفة بمحطة بليبونيون بالقطاع الثاني. وكان بالفردان ـ داخل القطاع الثاني أيضاً ـ رتل خفيف الحركة مكون من أربع سرايا من الهجانة الامبراطورية بقيادة الليفتنانت كولونيل سميث.

لعل من النادر أن تسير وقائع معركة من المعارك وفقاً لما كان متوقعاً لها، مثل موقعة الرمانة. فقد كان البريطانيون على يقين بأن الاتراك سيحاولون تطويق جناحهم الايمن، لأن جناحهم الأيسر كان قوياً، ومن أنهم سيتجهون إلى الخط الحديدي غرب رمانة. وهذه العملية ستؤدي بهم إلى التورط بالكثبان الرملية المرتفعة التي تلي الجنب الايمن للقوات البريطانية. وهذه الكثبان تفتقر إلى المياه، ورملها دقيق ثقيل يصعب فيه عمل التحصينات الميدانية، وتقل عليه سرعة المشاة حتى تصل الى معدل يقل عن ٢ كم في الساعة. واقترح الميجر جنرال لورانس أن تترك قوات الاتراك الاساسية حتى تتورط في هذه المنطقة، ثم يقوم بهجوم مضاد بالمشاة على وسطهم، وبقوته الراكبة حول شمالهم. وقد يترتب على هذه الخطة تدمير القوة التركية، بشرط أن يعمل الاتراك وفقاً لما كان يتوقعه البريطانيون.

أظهر الأتراك في بداية الأمر عزوفاً عن التحرك وفقاً لتوقعات البريطانيين. فقد وصلت قواتهم يوم ٢٤ تموز ـ يوليو الى مسافة تبعد ١٦ كيلومتراً تقريباً عن مواقع الرمانة. وتوقفوا، وحفروا الخنادق، واقاموا طوال عشرة أيام. ولم تتأكد القوات البريطانية من نوايا الاتراك. فقام الجنرال موري بالتحركات الضرورية لمقابلة الاحتمال الأول، وأخذ باعداد المخططات للتقدم، فيما اذا أظهر الاتراك رغبتهم في البقاء بمواقعهم منتظرين الهجوم عليهم. فجمع في اليوم الأول من آب ـ اغسطس ١٠٥٠٠ جمل لتكون حملة نقل القطاع الثالث حملة خفيفة الحركة. وتقرر أن تبدأ القوات البريطانية تقدمها يوم ١٢ آب ـ اغسطس إن لم تبدأ

القوات التركية هجومها حتى ذلك اليوم. وأثناء ذلك كان اللواءان الأول والثاني من الفرسان الاسترالية الخفيفة يـراقبان الاتـراك مراقبـة شديـدة. فكان كل لواء يقوم كل يوم باستطلاع يبدأ عند الفجـر، ويعود ليـلاً إلى رمانة. وقد أفاد (كرس) من هذا النظام الثابت في الاستطلاع، فدفع قواته مساء يوم ٣ آب ـ اغسطس في أثر لواء الفرسان الاسترالية الخفيفة الثاني ـ عند انسحابه. وكان هدفه هـو مباغتـة القوات البـريطانيـة واحتلال قبـة ولينغتون ليلاً. وكان البريطانيون قد تنبهوا إلى قرب وقوع الهجوم التركي بسبب اقتـراب الاتراك في الأيـام الأخيـرة، ولهـذا كـان لـواء الفـرسـان الاسترالية الخفيفة الأول قد احتل موقعاً بأمر من الجنرال شـوفل، للنقط الخارجية في تلك الليلة، وكان هذا المـوقع يمتـد من كثيب جانيت جنـوباً وحتى حوض الجنة. وبذا قوبل هجوم الأتراك بمقاومة عنيفة من ذلك الخط يئسوا بسببها من امكانهم الوصول إلى جنب الموقـع الانكليزي. غـير أن الاتراك أفادوا من تفوقهم العددي، فأرغموا هذا اللواء على الانسحـاب من قبة ولنغتون في فجر يوم ٤ آب ـ اغسـطس غير أنهم فشلوا في تجـاوز القبة أو حتى الثبات عليها، رغم محاولاتهم المتكررة طوال اليـوم(*) وأثناء ذلك، اضطر لواء الفرسان الاسترالية الخفيفة الثاني الذي كان على يمـين اللواء الأول لـلارتداد أيضـاً للخلف ببطء حتى الخط الحديـدي، إلى أن وصل لواء نيوزيلاندي واللواء الخامس الـراكب من التل ٧٠، فـأمكنهم ايقاف تقدم الاتراك، ليس ذلك فحسب، بل انهم صدوا جناحهم الأيسر للخلف باستمرار حتى جبل رويستون. وكان الاتراك يضربون بمدفعيتهم طوال الوقت وسط الموقع البريطاني، وتقدموا نحوه، غير أنهم لم يستمروا في هجومهم حتى نهايته. **وكـان الموقف قـد وصل في مسـاء يوم ٤ آب ـ اغسطس الى ما يلي:** قوة الاتراك الاساسية متعبة يائسة متورطة بـالكثبان الرملية الصعبة الواقعـة إلى يمين القـوات البريـطانية. ولم يكن لهجـومهم الذي قصدوا منه تثبيت البريطانيين أي تأثير على الموقع الرئيسي. في حين

(*) استعادت القوات البريطانية هذه التبة في صباح يـوم ٥ آب ـ أغسطس بقـوة كتيبتين من اللواء ٥٦ بمساعدة الفرسان الاستراليين والنيوزيلانديين. وقد أسر على هذه التبة نحواً من ١٥٠٠ أسير تركي.

احتفظ الفرسان البريطانيون بقدرتهم على القيام ببذل المزيد من الجهد على الرغم من احتمالهم لاعباء القتال. وكان لواء الفرسان الاسترالية الخفيفة الثالث ورتل سميث الخفيف الحركة ـ من القطاع الثاني ـ يقومان بحركة التفاف حول يسار الاتراك. أما الفرقة ٥٢ فلم تشتبك اشتباكاً عنيفاً، وكانت بموقع مناسب يمكنها منه أن تضرب جنب الأتراك الأيمن الذين ثبتتهم القوات الراكبة الانكليزية. وكانت الفرقة ٤٢ متقدمة من الاحتياط، ولذا فلم يكسب البريطانيون المعركة فحسب، بل ظهر بوضوح أن بامكانهم تدمير القوة التركية. ولكن ذلك لم يتحقق لأن قوة الفرسان البريطانية لم تكن قادرة على السير بسرعة كافية على الرمال الثقيلة. وتأخرت الفرقة ٤٢ في الوصول الى ميدان المعركة. ولم يعتقد قائد الفرقة ٥٢ أن الموقف قد بات واضحاً بدرجة كافية تسمح له بالقيام تلقائياً بهجومه المضاد. ولذا تمكن (كرس) في اليوم التالي من سحب معظم قواته، رغم المجهود الشاق الذي بذلته كل الوحدات البريطانية في تلك الحرارة اللاهبة. وقاتل (كرس) يومي ٦ و٧ الفرسان البريطانيين بمهارة في عملية للمؤخرة. وصد فرقة الانزال الراكبة صداً تاماً ببئر العبد يوم ٩ آب ـ اغسطس ثم انسحب للعريش تاركاً في قبضة البريطانيين ٤ آلاف أسير و٤ مدافع و٩ رشاشات. وقد بلغت خسائر الانكليز نحواً من ١١٠٠ ـ مقاتل معظمهم من فرقة الانزال الراكبة. وقد أظهر الاتراك في (موقعة رمانة) صفاتهم البارزة وفضائلهم الحربية. فقد تميز هجومهم بالتصميم والعناد، وقاتلوا بضراوة عندما صد هجومهم. وتفوقوا على البريطانيين في سرعة السير عند انسحابهم، ثم صدوا البريطانيين أثناء تقهقرهم.

* * *

كان نصر البريطانيين في (موقعة رمانة) نقطة تحول حاسمة في عمليات (الحملة المصرية). إذ باتت القناة ومصر في مأمن من أي هجوم تركي حتى نهاية الحرب. وأصبح البريطانيون هم المهاجمون. غير أن تطور الاعمال القتالية بقي مرتبطاً بالسياسة الاستراتيجية لبريطانيا. ففي اوائل ربيع سنة ١٩١٦، وعقب موقعة رمانة مباشرة، لم تر وزارة الحرب البريطانية في الموقف العام ما يتطلب تقدم قوات السير ارشيبالد موري نحو

فلسطين. لا سيما وأن الحالة في الميادين الاوروبية كانت تسير سيراً حسناً. فاقتصرت مهمة موري على ضمان سلامة مصر، ومساعدة حليف الحلفاء الجديد (الملك حسين). غير أن الموقف تغير كثيراً مع اقتراب السنة من نهايتها. فقد فشل الحلفاء في حسم الصراع على جبهة السوم، ولم يتمكنوا من اختراق الخطوط الالمانية، وتكبدوا خسائر فادحة في الارواح والوسائط. كما أن الهجوم الروسي الذي قاده بروسيلوف لم يحقق أي نجاح، واجتاح الألمان رومانيا بسرعة. واكتفى الغراندوق الروسي نيقولا بتعزيز مواقعة التي اكتسبها من تقدمه في طرابزون واذربيجان. وتغيرت ادارة الحرب ببريطانيا، **إذ انتقلت من يد المستر اسكويث الى يد المستر لويد جورج - الذي استهل دوره بارسال برقية إلى الجنرال موري يعلمه فيها أن النجاح في الشرق مرغوب فيه كل الرغبة**. ورد عليه قائد الحملة المصرية - موري - يعلمه للمرة الثانية عن حاجته إلى ٥ فرق و٤ ألوية فرسان للوصول للعريش والاحتفاظ بها. وكان لديه في ذلك الوقت ٦ ألوية فرسان و٤ فرق (غير كاملة، ويبلغ النقص فيها ٦ آلاف جندي). وبعد اتصالات متتالية، أبلغ الجنرال موري في ١٥ كانون الأول - ديسمبر ١٩١٦ بأن واجبه هو الدفاع عن مصر، ومع ذلك فعليه أن يكون مهاجماً قدر المستطاع بما هو متوافر لديه من القوات.

تحركت رئاسة السير أرشيبالد موري من الاسماعيلية الى القاهرة في تشرين الاول - اكتوبر ١٩١٦ وعهد إلى تشارلز دوبل بادارة الاعمال القتالية في سيناء، ووضع تحت قيادته كل القوات التي كانت شرق القناة، وأطلق عليها اسم (القوة الشرقية).

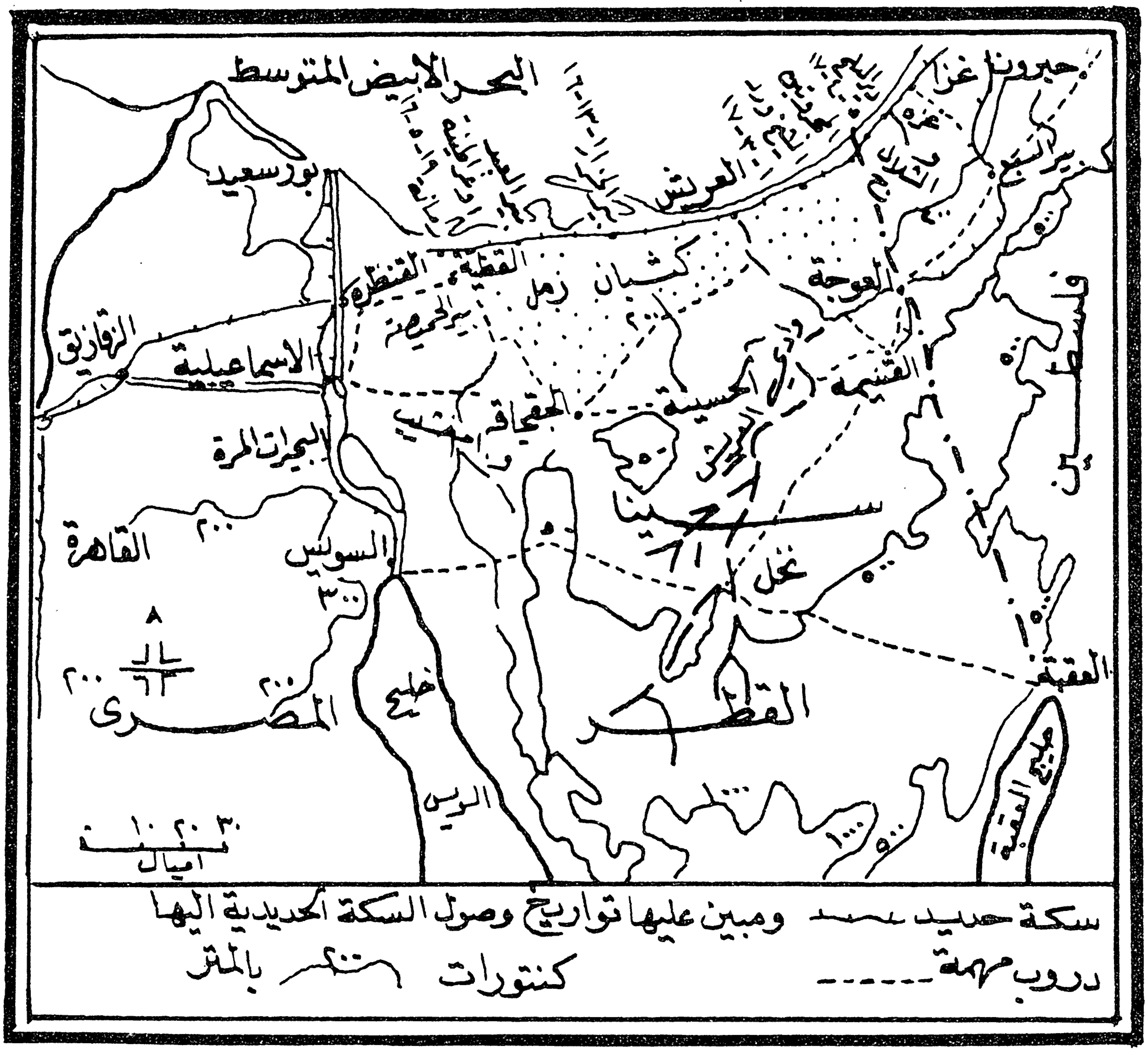
ج - التقدم البريطاني إلى العريش ورفح

بقيت عملية التقدم عبر سيناء مرتبطة بخطوط المواصلات. وقد بذل أرشيبالد موري قصارى جهده لتأمين تمديد الخط الحديدي، وتمديد قنوات المياه، حتى رمانة، وعندما انتهت (معركة رمانة) بدأ العمل فوراً لمتابعة تمديد الخط بمعدل ٢٥ كيلومتراً في الشهر تقريباً (١٥ ميلاً) فكان طول الخط من القنطرة إلى وادي غزة (أمام البلدة) نحواً من ٢٢٥ كيلومتراً

(١٤٠ ميلاً). وفي أيار ـ مايو سنة ١٩١٧، مد فرع طوله ٢٧ كيلومتراً تقريباً (١٧ ميلاً) من رفح إلى الشلال ثم منها إلى الجاملي. وكانت طاقة الخط المتوسطة ثلاثة عشر قطاراً يومياً. ولم يكن تمديد الخط الحديدي صعباً في حد ذاته، ولكن الصعوبة كانت في تأمين الامداد بالمياه. إذ لم تكن مياه الآبار التي تم حفرها بين القنطرة والعريش صالحة للقاطرات بسبب ملوحتها، ولهذا السبب ذاته لم يكن باستطاعة الاوروبيين شربها، فاقتصر استخدامها على ري ظمأ الحيوانات. واستمر اعتماد القطارات والقوات على مياه الترعة الحلوة. وكانت هذه المياه تصل إلى المواقع المتقدمة شرق القناة بقنوات قطر ٤، و٥ و٦ بوصة. وعندما بدأ التقدم للعريش، طلب الجنرال موري قنوات بقطر ١٢ بوصة، فتم ارسالها من أمريكا على دفعتين وصلتا مصر في ايلول وتشرين الأول (سبتمبر واكتوبر) وبذلك أمكن تأمين تمديد خط انابيب المياه ليصل رمانة في منتصف تشرين الثاني ـ نوفمبر وسرعان ما لحقت بالخط الحديدي، ووصل الاثنان للعريش في وقت واحد. وقد جهزت وسائطها بحيث أمكن سحب (٦٠ ألف غالون يومياً). وكان بالقنطرة الغربية آلة للتقطير من أجل تطهير المياه من جراثيم البلهارسيا الخطيرة. كما كانت هناك محطات للضخ وخزانات بالقنطرة الشرقية ورمانة وبئر العبد ومزار. وكانت المياه تضخ من المحطة إلى المحطة التالية لها. وأثناء مد القنوات ـ الأنابيب ـ كانت المياه تحمل بقطارات المياه وتوزع على القوات بعبوات تتسع العبوة منها إلى ١٢,٥ غالون، تنقلها حملة الجمال، ويحمل الجمل الواحد عبوتين.

كانت المياه شرق العريش أفضل كمية ونوعاً، ولذا أصبحت القوات أقل اعتماداً على مياه القنوات من ذي قبل، وبقي الخط الحديدي اكبر مستهلك لها. واستمر تمديد القنوات حتى نهاية تشرين الاول ـ اكتوبر ١٩١٧ أي قبل تقدم اللنبي إلى القدس(*).

(*) لقد حاول اليهود كعادتهم اعطاء العملية قصة النبوءة الدينية: فقيل ان هناك قولاً قديماً يشير إلى «انه متى وصلت مياه النيل إلى فلسطين يفقد الاتراك القدس. ويأخذها منهم نبي الله ـ وان اسم الجنرال اللنبي يقرب من ـ الله النبي ـ كما تكتب بالانكليزية» الحملات الحربية بفلسطين ـ ويغل ـ الجيش المصري ١٩٣٨ ص ٥٧.



صحراء سيناء

مضت ثلاثة أشهر على موقعة الرمانة يوم وصل الخط الحديدي إلى المواقع التي تستطيع فيها المدفعية ضرب مواقع الاتراك بالعريش. ولم تقع أثناء ذلك أي عمليات مثيرة منذ أن انسحب الاتراك من (بئر مزار) بسبب الاستطلاع الذي قامت به القوات البريطانية باغارة كبيرة في يوم ١٧ ايلول ـ سبتمبر سنة ١٩١٦. وفي أوائل كانون الاول ـ ديسمبر وضعت مقدمة القوة الشرقية المسماة (رتل الصحراء) تحت قيادة الفريق السير فيليب تشيتوود. وكانت وقتئذ مكونة من فرقة الانزال الراكبة ولواء الهجانة الامبراطوري والفرقتان ٤٢ و٥٢. وكان الخط الحديدي قد وصل في حينها إلى مسافة ٣٢ كيلومتراً تقريباً من العريش التي كان يحتلها الاتراك بقوة (١٦٠٠) جندي مشاة وقوات دعم اخرى، عند المغضبة وأبو عجيلة على

وادي العريش. وقد تأخر التقدم النهائي لرتل الصحراء حتى يوم ٢٠ كانون الأول ـ ديسمبر بسبب الترتيبات المطولة الخاصة بالمياه. **وعندئذ، أي عندما تم الاستعداد للتقدم، انسحب الاتراك من العريش فوجدتها القوات البريطانية الراكبة التي حاصرتها صباح يوم ٢١ كانون الاول ـ ديسمبر خالية من القوات التركية التي انسحبت إلى رفح والمغضبة.** فصمم تشيتوود على ضرب قوة المغضبة فوراً، فوجه فرقة الانزال الراكبة ولواء الهجانة الامبراطوري بقيادة الجنرال شوفل، وسارت هذه القوة ليلاً على وادي العريش لمسافة ٣٢ كيلومتراً تقريباً، فوصلت إلى المواقع التركية في فجر يوم ٢٣ كانون الاول ـ ديسمبر. ووجدت أن الاتراك قد نظموا مواقع محصنة على جنبي الوادي على شكل نقاط استناد مغلقة. وتم حصار المواقع عند الظهر، غير أن الهجوم على نقاط الاستناد المحصنة لم يحقق أي نتيجة. فأصدر شوفل أمره في الساعة ١٤٠٠ بالانسحاب بسبب انعدام المياه اللازمة للجنود والحيوانات. وعند ذلك نجح الفرسان في اجتياح إحدى نقاط الاستناد التركية، وتطورت العملية بسرعة فتم الاستيلاء على الموقع بكامله في الساعة ١٦٣٠ ـ أي مع حلول الظلام. واستولت القوات البريطانية على ٤ مدافع جبلية وأسرت ١٣٨٢ جندياً تركياً من اللواء الثمانين، ودفن بالميدان ٧٩ قتيلاً تركياً. وخسرت القوات الانكليزية ٢٢ قتيلاً و١٢٤ جريحاً. وعادت القوة إلى العريش في ليل ٢٣ ـ ٢٤ كانون الاول ـ ديسمبر وبذا تكون قد قطعت ثمانين كيلومتراً في ٢٤ ساعة تخللتها معركة ضارية.

عملت البحرية البريطانية فور احتلال العريش على تطهير الشاطىء من الالغام التي زرعها الاتراك، وقامت بانزال الامدادات والمواد التموينية قبل يوم ٢٣ كانون الاول ـ ديسمبر وساعدت هذه الامدادات على ارسال المشاة للعريش، وتدعيم الدفاع فيها. والعمل بالتالي على اعداد الهجوم ضد القوة التركية الباقية في رفح (على بعد ٤٠ كيلومتراً تقريباً شرق العريش) حيث كانت القوة التركية تضم الفي جندي. وصل الخط الحديدي إلى العريش في يوم ٤ كانون الثاني ـ يناير ١٩١٧، وفي مساء ٨ منه سار تشيتوود. وأمكن له قيادة قوته في المسيرة الليلية بكفاءة عالية،

فاستطاع عند الفجر الاحاطة بالموقع التركي عند (المجرونتين) جنوب غرب رفح. وكان الموقع التركي قوياً ويضم ثلاث مجموعات من التحصينات على أرض مرتفعة، تستند إلى نقطة استناد مغلقة فوق مرتفع في الوسط. وقد استمر الصراع المرير حتى الساعة ١٥٠٠، حيث وردت معلومات عن تحرك القوات التركية من الشلال وخان يونس، وأخذت الذخائر في النفاد من بين ايدي القوات البريطانية. فأصدر تشيتوود أمره بالانسحاب. وحدث هنا ما سبق حدوثه في المغضبة، فقد تمكن اللواء النيوزيلاندي الراكب من اقتحام نقطة الاستناد الوسطى بالحراب ـ قبل أن تصله الأوامر بالانسحاب ـ وبعد ذلك بقليل اقتحمت الهجانة إحدى التحصينات، وسرعان ما تساقطت بقية المقاومات، وتم النصر عند حلول الظلام. وأسرت جميع الحامية التركية وهي كتيبتان من اللواء ٣١ وكتيبة مدفعية جبلية وبلغ عدد القتلى الاتراك ٢٠٠ قتيلاً والأسرى ١٦٣٥ أسيراً. وخسر البريطانيون مقابل ذلك ٧١ قتيلاً و٤١٥ جريحاً.

د ـ موقعة غزة الاولى

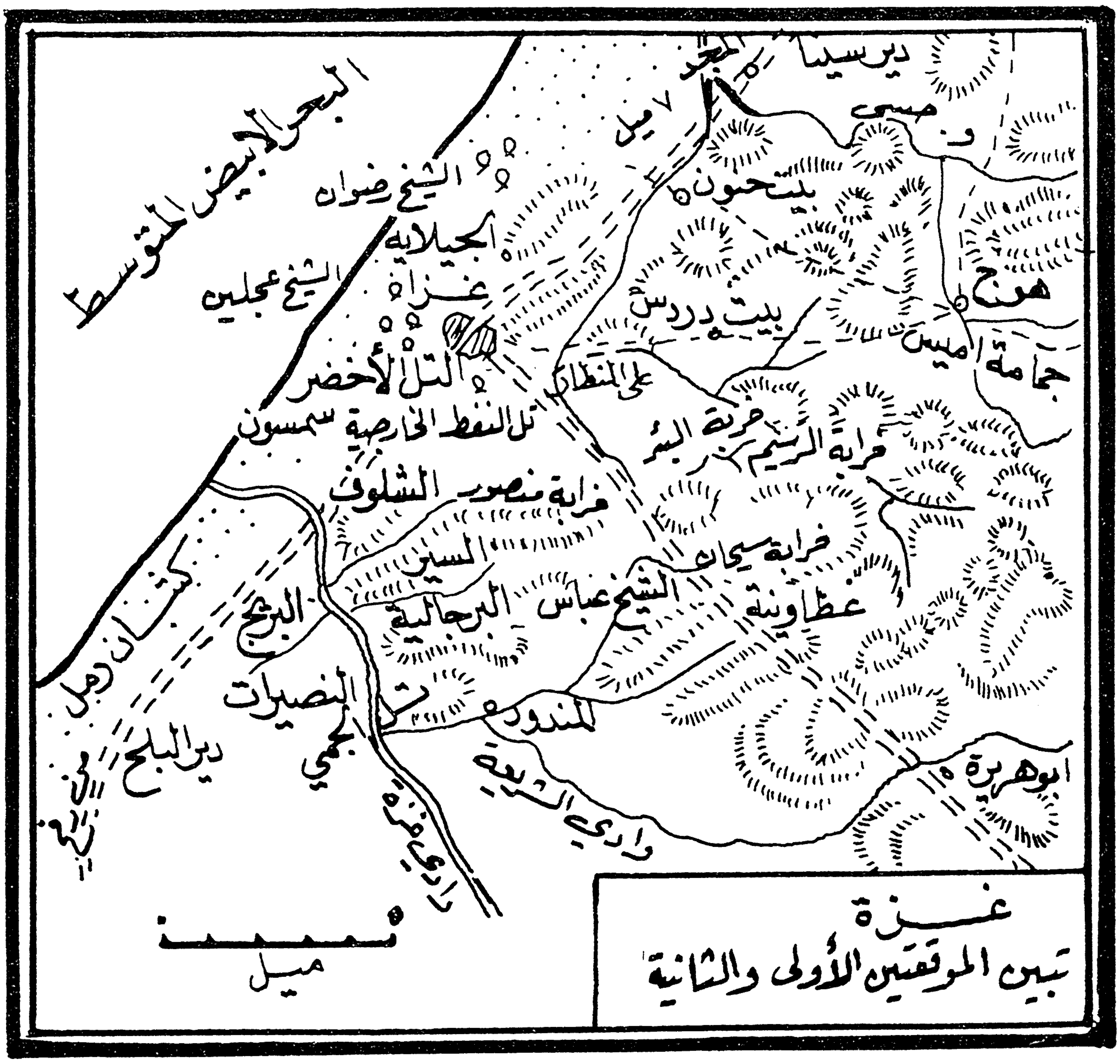
بعد أن خسر الاتراك مواقعم في المغضبة ورفح، احتل (كرس فون كرسنشتاين) بباقي قوته موقعاً قوياً في وادي الشيخ نوران غرب الشلال مباشرة، على وادي غزة. وكان موقعه هذا يحمي الخط الحديدي التركي ببئر السبع، ويحمي بطريقة غير مباشرة مدينة غزة. وفي شهر شباط ـ فبراير ١٩١٧ وصلته قوات دعم مكونة من الفرقتين ١٦ و١٧ والفرقة الراكبة الثالثة (لواءين ضعيفين). وعلى الرغم من هذا الدعم فقد أدرك كرس أن قوته غير كافية للدفاع عن الخط المتقدم أمام الشلال وغزة. فانسحب فجأة في ٥ آذار ـ مارس الى خط غزة ـ بئر السبع، حيث كان الخط الحديدي البريطاني قد اقترب من رفح، وحيث كانت قيادة رتل الصحراء قد وضعت خطتها للهجوم على موقع (الولي الشيخ نوران). ووضع كرس قوة بكل من بئر السبع وغزة، واحتفظ بمعظم قوته كاحتياط عند تل الشريعة والجمامة (قرب هوج). وعندما بلغته تحركات البريطانيين بعد منتصف آذار ـ مارس دعم حامية غزة بلواء من المشاة، وبضع بطاريات من

المدفعية، فأصبحت مكونة من ٧ كتائب مشاة و٥ كتائب مدفعية (٢ كتيبة نمساوية و٢ كتيبة تركية وكتيبة ألمانية) بالاضافة إلى بضع سرايا رشاشات، والمجموع ٣٥٠٠ بندقية و٢٠ مدفعاً. كما امرت الفرقة ٥٣ التركية بالتحرك من يافا لمجابهة هجوم البريطانيين عند وقوعه. وكان بسلاح الطيران الذي مع كرس طائرات حديثة قوية، تتفوق على الطائرات الانكليزية الأبطأ. وكانت غاراتها المستمرة بالقنابل تسبب مضايقة كبيرة وتلحق بعض الخسائر لا سيما ضد الخيالة ـ الفرسان.

مقابل ذلك، تجمعت القوات البريطانية للهجوم على غزة في مساء يوم ٢٥ آذار ـ مارس ١٩١٧ وكان رتل الصحراء عند دير البلح، والفرقة ٥٤ حول النصيرات والفرقة ٥٢ عند خان يونس ولواء الهجانة عند عبسان الكبير جنوب شرق خان يونس مباشرة(*) ولم يظهر ما يدل على أن ذلك التجمع قد استرعى انتباه الاتراك. وقد صدرت الأوامر للقوات الراكبة أن تنطلق في تحركها لتعبر وادي غزة في الساعة الخامسة من صباح يوم ٢٦ آذار ـ مارس. وعلى هذا، غادرت القوات مناطق تجمعها في الساعة ٢٣٠ فجراً، وفي الصباح، انتشر ضباب كثيف استمر حتى الساعة السابعة، وافادت منه القوات البريطانية في تحركها. فوصلت كتيبة الانزال المتقدمة إلى (بيت درديس) في الساعة التاسعة صباحاً، وأتمت النطاق من الشمال باحتلالها الجبالية في السعة ١٠٣٠، وأسرت أثناء ذلك قائد الفرقة التركية ٥٣ ومعه أركان حربه، وكان متحركاً بسيارته من الشمال قاصداً غزة. ووصلت فرقة الفرسان الامبراطورية إلى مواقعها عند قرية الرسيم في الساعة ١٠٠٠. كما وصل في الوقت ذاته لواء الهجانة إلى مواقعه. وبقيت القوة الوحيدة التي أعاقها الضباب الكثيف عن التحرك في الوقت المناسب هي قوة الفرقة ٥٣ التي أضاعت مدة ساعتين في انتظار انقشاع الضباب. وعلى الرغم من ذلك فقد تمكنت ألوية هذه الفرقة من الوصول إلى مناطق

(*) كانت قوة البريطانيين الراكبة مكونة من ١١ ألف بندقية و٣٢ مدفعاً للميدان و٦ مدافع جبلية، وتحميها فرقة مشاة تحمل ٨ آلاف بندقية و١٢ مدفعاً. ومقابل ذلك كانت القوة التركية ـ بما فيها حامية غزة ـ مجهزة بما يقارب (١٦) ألف بندقية، و٩٠٠ سيف و٧٤ مدفعاً و٦٥ مدفع رشاش.

تجمعها الاولى قبل الساعة ٨٣٠، ولم يعد يبعدها عن هدفها وهو (المنطار) الا مسافة ٥,٥ ـ ٦,٥ كم (٥ ـ ٦ آلاف ياردة) ولكن هجومها لم يبدأ الا قرب الظهر ـ بسبب اجراءات المعركة ـ حيث انطلق اللواء ١٥٨ من المنصورة قاصداً (المنطار) سائراً فوق سهل مكشوف. وبدأ اللواء ١٦٠ تقدمه فوق تبة السير وهو أقل انكشافاً، وتحركت الكتائب بثبات وشجاعة تحت نيران الاتراك حتى وصلت على بعد مئات الامتار من التل (ربوة على المنطار) وهنا اعترضها أول حواجز نبات الصبارة (التين الشوكي) وأصبح تقدمها بطيئاً، فدفع اللواء الاحتياطي ١٥٩ على يمين اللواء ١٥٨. صمم تشيتوود على احتلال البلدة بأسرع ما يمكن، عن طريق الانقضاض عليها بالقوات الراكبة من الشمال. فأمر الجنرال شوفل في الساعة ١٣٠٠ بقيادة الانزال والقيام باقتحام غزة، أما الفرقة الامبراطورية فكان عليها أن تنتشر شمالاً وتحل محل الانزال في النطاق المضروب، ويقوم لواء الهجانة مقام الفرقة الامبراطورية في تنفيذ الواجبات التي كانت تضطلع بها. وانطلقت قوة الانزال في الساعة ١٦٠٠ بالاقتحام. وسارت بثبات رغم ضيق الأرض ونبات الصبارة (التين الشوكي) حتى وصلت ضواحي المدينة من الشمال. وفي ذلك الوقت دفع الجنرال دالاس اللواء ١٦١ من الفرقة ٥٤ للمرور بين اللواء ١٥٨ واللواء ١٦٠، واحتلال ربوة تسمى التل الأخضر تقع جنوب (على المنطار) الذي كان الاتراك يوجهون منه ناراً جانبية قوية تعطل تقدم القوات البريطانية الى التبة المذكورة. ونجحت هذه المحاولة، فقد احتل التل الأخضر في الساعة ١٧٣٠، كما استولت القوات البريطانية على الموقع التركي في تبة (على المنطار) بأجمعه وذلك عند غروب الشمس.
ووصل في ذلك الوقت لواء الفرسان الاسترالية الخفيفة الثاني ولواء نيوزيلانده الراكب إلى ضواحي المدينة في الشمال بعد أن فتحا طريقاً في الحقول والحواجز، ووصلا إلى على المنطار مع المشاة، ولكن ذلك النصر الذي لم يتم إلا بعد قتال عنيف جاء متأخراً ساعة كاملة، ذلك أن دوبل وتشيتوود كانا قد بحثا الموقف بعد الظهر، وقررا ايقاف القتال إن لم تسقط غزة قبل حلول الظلام. وقد وصلا لهذا القرار بتأثير عاملين: أولهما نقص المياه، وثانيهما إزدياد ضغط قوات الدعم التركية التي كانت سائرة نحو

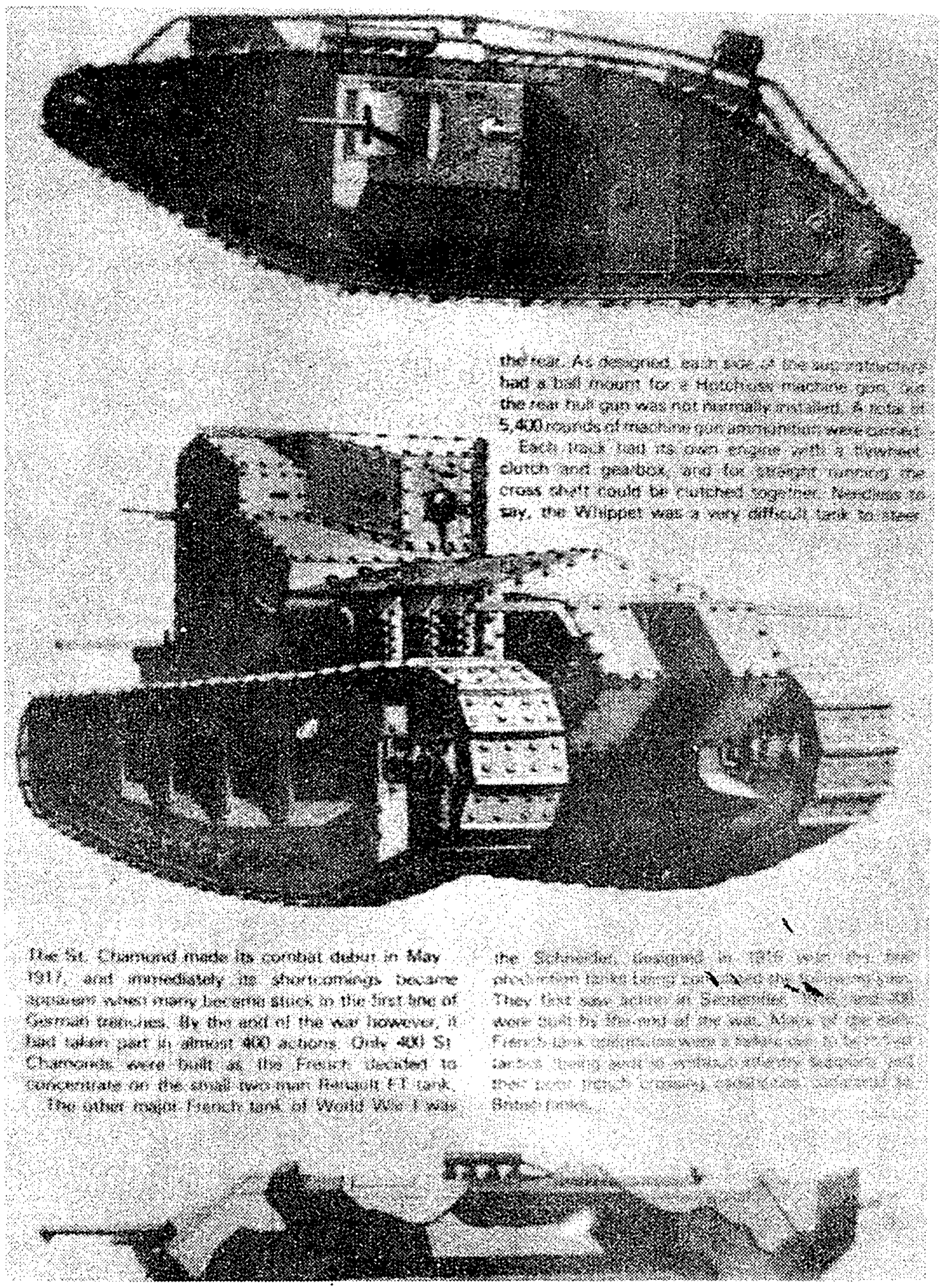


غزة. فقد شوهدت قوة (٣٠٠) جندي من المشاة الاتراك وهم يسيرون في الساعة ١٦٠٠ قرب ديرسنيد. كما شوهدت قوة ثانية قدرت بنحو ٣ آلاف مقاتل وكتيبتي فرسان وهي تسير في الساعة ١٧٠٠ على اتجاه الجنوب الغربي فيما بين هوج وغزة. بالاضافة الى قوة ثالثة قدرت بنحو ٧ آلاف تتقدمها مجموعة من الفرسان قادمة من أبو هريرة وسائرة على طريق بئر السبع ـ غزة. وأبلغت القوات البريطانية قيادتها بتزايد الضغط عليها، وعدم وجود مسافة كبيرة خلفها تسمح لها بالانسحاب بحرية. وكان لا بد من الاحتفاظ بممر مفتوح يتسع لانسحاب الفرسان الذين وصلوا الى شمال غزة. وفي الساعة ١٧٣٠ صدر الامر الى الفرقة ٥٤ بالعودة من تبة الشيخ عباس الى تبة المنصورة حتى تكون قريبة من الفرقة ٥٣ ـ وبعد الساعة ١٨٠٠، أصدر الجنرال دوبل ـ بعد أن عاد فاستشار الجنرال تشيتوود ـ

أمره بانسحاب القوات الراكبة. وقد حدث ذلك في الوقت الذي كانت فيه حامية غزة التركية على وشك الاستسلام لو استمر ضغط القوات البريطانية عليها. وقد حاولت القوات البريطانية في اليوم التالي العودة للهجوم غير ان القوات التركية احبطت المحاولة، وارغمت البريطانيين على الانسحاب بعد أن فقدوا ٥٢٣ قتيلاً و٢٩٣٢ جريحاً و٥١٢ مفقوداً. وفقد الاتراك بالمقابل مدفعين و٩٠٠أسيراً و٣٠٠ قتيلاً و١٠٨٥ جريحاً و١٠٦١ مفقوداً.

هـ ـ موقعة غزة الثانية.

حدث قبل موقعة غزة الاولى باسبوعين حادثان كان لهما أبعد الأثر في الميدانين الآخرين اللذين كانت تركيا تقاتل بهما وهما القوقاز والعراق. فقد اندلعت نار الثورة الروسية في ٩ آذار ـ مارس ١٩١٧، وتوج الجنرال مود عملياته الناجحة على نهر الدجلة باستيلائه على بغداد في ١١ آذار ـ مارس. وفي ٣٠ آذار ـ مارس أرسل مجلس الوزراء البريطاني برقية الى الجنرال موري (**اعطيت له القدس فيها هدفاً مباشراً لجيشه**). وقبل موري هذه المهمة، على الرغم من شكه في امكان تنفيذ هذه المهمة بما هو متوافر له من الامكانات. وكان الخط الحديدي قد وصل في أوائل نيسان ـ ابريل ١٩١٧ الى دير البلح (على بعد ١٣ ـ ١٤,٥ كم من غزة). وقد حدد اتجاهها من مدى العمليات التي يمكن القيام بها في الحال. فقد أصبح من الضروري أن تكون بقرب الشاطىء، وأن تبدأ باقتحام جديد على غزة، وهو اقتحام بات من المتوقع أن يكون أصعب من سابقه، نظراً لانعدام المباغتة، ونظراً لقيام الاتراك بدعم حامية غزة، وزيادة قوة تحصيناتها. وسد الثغرة بين غزة وبئر السبع بمجموعة من النقاط المحصنة تغطي كل الجبهة حتى الشريعة، لمنع أي تسلل. **وبذا فسيكون الهجوم البريطاني هجوماً جبهياً ضد مواقع محصنة يتطلب اختراقها كثافة كبيرة من نيران المدفعية**. وباتت حامية غزة تضم الفرقة الثالثة بكاملها، وعادت الفرقة ١٦ الى تل الشريعة، وأصبحت المجموعة التي بينهما مكونة من الفرقة التركية ٥٣ واللواء ٧٩، واحتلت بئر السبع حامية مكونة من كتيبتين وكتيبة مدفعية وبقيت فرقة الفرسان الثالثة بالاحتياط في (هوج) وبذا كان



نموذج الدبابة الاولى (في متحف الحرب) اشتركت في معركة غزة الثانية.

مع كرس في الخط الأمامي ما يزيد على ١٨ ـ ألف بندقية و٩٠٠ سيف و٨٦ مدفع رشاش و١٠١ مدفع ميدان ـ ومقابل ذلك كان لدى القوات البريطانية ١٧٠ مدفعاً منها ١٦ مدفعاً من العيار المتوسط والثقيل. كما كانت هناك ثلاث بوارج ـ احداها فرنسية ـ مستعدة لدعم القوات البريطانية بالنيران، **كما استخدم في هذا المسرح لأول مرة سلاحان جديدان هما الدبابات والغازات.**

وضعت القيادة البريطانية مخططها للهجوم، على أن ينفذ في مرحلتين. وقد بدأ تنفيذ المرحلة الاولى في وقت مبكر من صباح يوم ١٧ نيسان ـ ابريل ١٩١٧، فعبرت الفرقتان ٥٤ و٥٢ وادي غزة ووصلتا مواقعهما المعينة (الشيخ عباس ـ المنصورة ـ تل الكرد على تبة السير) وكانت

المقاومة التركية بسيطة فلم تتكبد القوات البريطانية الا خسائر قليلة، ولو أن نيران المدفعية دمرت دبابة. ومضى يوم ١٨ نيسان ـ ابريل في دعم المواقع، والاعداد للمرحلة الثانية التي تقرر أن تبدأ في يوم ١٩ نيسان ـ ابريل حيث بدأت المدفعية برمايات التمهيد منذ الساعة ٥٣٠ ودعمتها نيران البحرية. وفي الساعة ٧١٥ تقدمت الفرقة ٥٣ للهجوم بحذاء الشاطىء وبعد ذلك بربع ساعة تقدمت الفرقتان ٥٤ و٥٢، وعلى يمين المشاة قامت الفرقة الامبراطورية الراكبة بهجوم وهي مترجلة على تحصينات عطاونية. **واستمرت قوات الهجوم في اندفاعتها بكل بأس وشجاعة، غير أنه ما من هجوم نجح في الاستيلاء على أي موقع من المواقع التركية. ولم تؤثر قنابل الغازات الا تأثيراً بسيطاً. وتعطلت الدبابات القليلة العدد من نيران المدفعية أو دمرت. ولم تكن نيران المدفعية البريطانية كافية لاسكات المدافع التركية والمدافع الرشاشة على تلك الجبهة الواسعة.**

تمكن جزء من اللواء ١٦١ على يمين الفرقة ٥٤ ومعه لواء الهجانة من الوصول بمساعدة دبابة إلى (نقطة الدبابة الحصينة ـ كما اسميت فيما بعد، والتي كانت تقع شرق تل على المنطار بنحو ٣٥٠٠ م). وبقيت القوة هناك لبعض القوت. وتمكن لواء الهجانة في اليمين من اختراق الموقع والوصول الى خربة سيحان. أما شمال الفرقة ٥٤، فقد وصل إلى الخط التركي، ولم يتمكن من التقدم بعد ذلك بسبب النيران التركية الجانبية الشديدة من (على المنطار). وتركز هجوم الفرقة ٥٢ طوال اليوم حول تل النقاط الخارجية عند منتصف المسافة الى تل (على المنطار). وتمكنت دبابة من الوصول اليه ولكنها سرعان ما أصيبت بنيران المدفعية واحترقت قبل أن تستفيد المشاة من دعمها. وكان جزء من اللواء ١٥٥ قد تمكن من الوصول في الساعة ١٠٠٠ الى التل، غير أنه وقع في مأزق، إذ لم يتمكن من التقدم طوال اليوم بسبب نيران المدافع الرشاشة التي كانت مختفية في بساتين الصبارة (التين الشوكي) الكثيفة. واضطر الأمر لسحبه في المساء، لتجنب وجود بروز خطر في خط تشكيل القتال. واقتحمت الفرقة ٥٣ تبة سمسون في الساعة ١٣٣٠ بعد محاولات عديدة وفاشلة، ولكنها عجزت عن التوغل

في الدفاعات التركية لما هو اكثر من ذلك.

ظهر للقيادة البريطانية في فترة بعد الظهر، أنه من المحال تحقيق أي نجاح ما لم يتم تأمين قوات دعم جديدة. وأن الاستمرار في المعركة لن يؤدي الا إلى المزيد من الخسائر. وكانت كل قطع المدفعية مشتبكة، وأصبح الاستهلاك الكبير للذخائر مثيراً للقلق. ولذلك أوقفت العملية في المساء على أمل استئنافها في فجر يوم ٢٠ نيسان - ابريل ١٩١٧ بعد التمهيد بنيران المدفعية من جديد. ولكن التقارير التي وصلت للجنرال دوبل ليلاً حملته على تكوين قناعة بعدم جدوى استئناف الهجوم. ولهذا أصدر أمراً مبكراً في الفجر بايقاف الهجوم والعمل على تحصين الأرض المكتسبة. وقام الاتراك بهجمات مضادة محلية عنيفة طوال يوم ١٩ كما وضع (كرس) خطة للقيام بهجوم عام على امتداد الجبهة يوم ٢٠، غير أن جمال باشا لم يوافق للمرة الثانية على هذه العملية.

بلغت خسائر البريطانيين ٦٥٠٠ مقاتل نصفها تقريباً من الفرقة ٥٤، وكانت خسائر الفرقة ٥٢ كبيرة ايضاً، ولم تبلغ خسائر الأتراك اكثر من الفي جندي وأسروا ٦ ضباط و٢٦٦ جندياً. استقر الاتراك بعد نصرهم الثاني في مواقعهم، واعادوا تنظيم مواقعهم الدفاعية التي باتت تمتد مع خط غزة - بئر السبع - الشريعة. وكانت (بئر السبع) تشكل مركزاً منفصلاً. وبدأ العمل لتمديد فرع للخط الحديدي من الطينة حتى غزة وهوج. وخطط موقع ثانٍ على وادي حسى شمال غزة. واصلحت موارد المياه. وانضمت الى قوة كرس فون كرسنشتاين في نيسان وأيار (ابريل ومايو) الفرقتان التركيتان ٧ و٥٤ وكتيبة اخرى من المدفعية النمساوية. واحتلت الفرقة التركية ٥٤ وسط الخط الدفاعي بدلاً عن الفرقة ٥٣ التي تحركت إلى غزة لتشكل مع الفرقة الثالثة الفيلق ٢٢. وبقيت الفرقة ٧ بالاحتياط. وفي ذلك الوقت قدر السير ارشيبالد موري القوات التركية بما يقارب ٣٣ ألف بندقية و٢٢٠٠ سيف و١٣٠ مدفع ماكينة و١٢٠ مدفعاً. وكان هذا التقدير قريباً من الواقع.

«يبقى اللنبي واحداً من القادة العظماء
الذين يفخر بهم تاريخ بريطانيا»
قادة الحرب - ص ١٥٨

الفصل الثالث

١ - الفيلد مارشال اللنبي في الميدان.
٢ - الهجوم على بئر السبع.
٣ - الاستيلاء على غزة.
٤ - المطاردة في فلسطين.
٥ - الطريق الى القدس.
٦ - احتلال شرق الاردن.
٧ - التقدم إلى دمشق.
٨ - نهاية الحرب - في حلب الشهباء.

١ ـ الفيلد مارشال اللنبي في الميدان

كانت تركيا في بداية سنة ١٩١٧ في حالة سيئة، فقد استنزفت الحروب ضد روسيا ورومانيا طوال العام السابق كثيراً من قدراتها وامكاناتها. كما أن جبهة القوقاز حولت الجيوش التركية إلى جيوش جائعة مهترئة ضعيفة. وهزمت قواتها بالعراق هزيمة ساحقة. أما قواتها بفلسطين فكانت تتراجع أمام التقدم البريطاني. كما أن حملتهم لاستعادة مكة والقضاء على الثورة العربية قد منيت بالفشل بسبب الحركة الالتفافية التي قام بها فيصل إلى الوجه. وكان ضياع مكة وبغداد، وتعرض المدينة المنورة للحصار والقدس الشريف للتهديد من الامور التي يصعب على دار الخلافة احتمالها. فقد كان فقدانها للاماكن المقدسة أشد وطأة عليها من خسارتها للحرب. وهكذا فقد جاء اندلاع الثورة في روسيا ليحرر تركيا من اعباء حرب القوقاز. وأخذت تركيا على الفور بحشد قواتها في حلب تحت قيادة الالمان وتوجيههم لاستعادة بغداد. فقد استقر رأي القيادة الإلمانية العليا على ضرورة إظهار البأس والمقدرة لاستعادة ثقة حليفتها المزعزعة. لا سيما وأن الحروب التي خاضتها الجيوش التركية على الجبهة الاوروبية ـ ضد

روسيا وفي رومانيا خاصة ـ كانت لمصلحة المانيا، وفي غير مصلحة تركيا. وعلى هذا، أوفدت القيادة الالمانية العليا القائد (فون فولكنهاين) لدراسة الموقف، فوصل هذا إلى الآستانة في ٧ أيار ـ مايو ثم قابل خليل ـ قائد الجيش السادس بالعراق، وجمال بسوريا، وتبع ذلك اجراء اتصالات بين الآستانة وبرلين، فتقرر دعم الجيش التركي في حلب بقوة خاصة من القوات الالمانية (أسميت وحدة الباشا رقم ٢ ـ أو فيلق آسيا). كما تقرر اصلاح خطوط المواصلات بين حلب وبغداد وتطويرها. وقد أطلق على الهجوم الذي سيتم اعداده اسم (يلدرم ـ او البرق) وذلك بهدف المحافظة على السرية، غير أن استخبارات الحلفاء كانت على اطلاع بكافة التطورات، وكانت تتابع الموقف أولاً بأول. وكانت نواة جيش يلدرم تعتمد على الفيلقين التركيين الثالث والخامس اللذين كانا في روسيا ورومانيا، ودمجا في تنظيم الجيش السابع الذي تولى قيادته مصطفى كمال ـ رئيس الجمهورية التركية فيما بعد. وسرعان ما وجد مصطفى كمال أنه غير قادر على احتمال السيطرة الالمانية فتم استبداله بالقائد فوزي باشا. وكان من أهم الوحدات التي اشتركت في هذه الحملة هي: ثلاث كتائب مشاة (٧٠١ و٧٠٢ و٧٠٣) وثلاث سرايا فرسان وثلاث كتائب مدافع رشاشة (بكل ٦ مدافع) و٣ وحدات مدافع هاون وكتيبة مدافع هاوتزر جبلي وكتيبة مدافع مضادة للطائرات و٤ أسراب طائرات بالاضافة الى وحدات المهندسين والمخابرات والوحدات الطبية وأرتال الامداد بالذخيرة والمواد التموينية (واجمالي القوة ٦٥٠٠ جندي).

يظهر أن الألمان تجاهلوا كعادتهم شعور حلفائهم الاتراك، قدر تجاهلهم للظروف المحلية، ولم يحاولوا الافادة من تجارب بعثة (ليمان فون ساندرس) التي مضى على اقامتها في تركيا زهاء ثلاث سنوات ونصف. وكانت رئاسة جيش يلدرم تضم ٦٥ المانياً و٩ أتراك، وكانت رتب الأخيرين صغيرة وعملوا في تأمين الاتصالات. ولهذا فلم يكن من الغريب ان يهيمن الاضطراب على حركة القوات وتنقلاتها، إذ سارت عملية تجمع الجيش السابع عند حلب بصورة بطيئة، وتأخر وصول الوحدات الألمانية تأخراً كبيراً، فوصل فيلق آسيا الى حيدر باشا في اوائل ايلول ـ سبتمبر ١٩١٧ وظل

هناك حتى تشرين الثاني ـ نوفمبر. ونشأت عن ذلك شكوك بشأن نجاح مشروع استرجاع بغداد، لا سيما بعد أن توافرت المعلومات عن تطورات الموقف الخطيرة على جبهة فلسطين. وحدث خلاف بين القادة أنور وجمال وفولكنهاين بشأن افضلية العمل على الجبهات. ورجحت وجهة نظر فولكنهاين الذي أعطى الافضلية لجبهة فلسطين. ووقع على عاتق أنور باشا عملاً دقيقاً هو تسليم العمليات بفلسطين الى جيش يلدرم من غير أن يؤذي شعور جمال باشا، فوجد حلاً وسطاً هو أن تكون جميع القوات جنوب القدس وغرب البحر الميت تابعة لجيش يلدرم مع احتفاظ جمال باشا بالقيادة في سوريا والحجاز. وابتدأ نقل الجيش السابع من حلب إلى جبهة فلسطين. حيث نظمت القوات التركية التي كانت بفلسطين وقتئذ الجيش الثامن (بقيادة كرس فون كرسنشتاين). وترك للجيش السابع الدفاع عن بئر السبع وكان تجمع القوات التركية عندما بدأ اللنبي هجومه على النحو التالي:

- **الجيش الثامن ويضم الفيلق ٢٢ المكون من الفرقتين ٣ و٥٣ ومقره غزة. والفيلق ٢٠ والمكون من الفرق ١٦ و٢٦ و٥٤ ومقره الشريعة. واحتفظت قيادة الجيش بقوة الفرقتين ٧ و١٩ في الاحتياط.**
- **الجيش السابع ويضم الفيلق ٣ وليس لديه الا الفرقة ٢٤ ومقرها قاووقه. بالاضافة الى الفرقة ٢٧ وفرقة الفرسان الثالثة ومقرهما بئر السبع.**

وكانت الفرقة ٢٠ من الفيلق ١٥ في طريقها من حلب إلى الرملة حيث وصلت في ٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩١٧، وكانت قوة الفرق تتراوح بين ٤ ـ و ـ ٥ آلاف بندقية. وكان اجمالي القوات التركية على الجبهة في نهاية شهر تشرين الاول ـ اكتوبر يتكون من ٤٠ ـ ٤٥ ألف بندقية و١٥٠٠ سيف و٣٠٠ مدفع.

عندما عهد لويد جورج الى اللنبي بقيادة القوات البريطانية لاجتياح فلسطين والاستيلاء على القدس، أصدر أوامره الى الفرقة ٦٠ والمدفعية الاضافية بالاستعداد للتحرك من سالونيك الى مصر. كما وصلت قوات من الهند وعدن اعيد تنظيمها مع القوات الاخرى الموجودة بمصر في اطار

الفرقة ٧٥. وأضيفت الى قوة الحملة المصرية قوات فرنسية وايطالية أرسلت لأهداف سياسية. ذلك أن الفرنسيين الذين كانت لهم مطامعهم الخاصة بسوريا وفلسطين، لم يقبلوا أن تحتل هذه البلاد قوات بريطانية فقط. وقد تم الاتفاق على مستقبل بلاد الشام بعد القضاء على الدولة العثمانية الاسلامية في معاهدة (سايكس بيكو). ولما كان الايطاليون يطالبون أيضاً بامتيازات دينية في كنائس القدس وبيت لحم، فقد أرسلوا فصيلة (البرسا جليري) للاشتراك بقوات الحملة. وعندما وصل اللنبي الى فلسطين، لم يتمكن من انكار الجهود التي بذلها القادة الذين سبقوه. وهي الجهود التي وضعت الاساس للتطور اللاحق، وجاء في رسالة له:

«... أود أن اعرب عن امتناني للفريق تشارلز موري، الذي وضع - بربطه مصر بفلسطين بمد الطرق عبر الصحراء - أساس التقدم التالي الذي قامت به الحملة المصرية. فقد حصدت ثمار تفكيره الاستراتيجي وبعد نظره، والذي أدى الى الوصول بمياه النيل الى حدود فلسطين، كما أدى إلى وضع خطة العمليات العسكرية الرائعة التي تم بها طرد الاتراك من مواقعهم الحصينة بالصحراء أمام الحدود المصرية، بالاضافة الى تمديد الخط الحديدي بالاتساع العادي حتى أبواب غزة، فقد تحملت التنظيمات التي أوجدها في مصر وسيناء كل التجارب. وكانت حجر الأساس لنجاحي».

ما إن انتهى اللنبي من جولته على الجبهة حتى طلب الى وزارة الحرب البريطانية في برقية له بتاريخ ١٢ تموز - يوليو أن تتوافر له ٧ فرق مشاة و٣ فرق راكبة، وذلك يتطلب الدعم بما يلي:

- فرقتين كاملتين ومدفعية ميدان لاكمال ١٦ مدفعاً في كل فرقة من عيار ١٨ رطلاً و١٢ مدفعاً هاوتزر عيار ٤,٥ بوصة. واكمال مدفعية رئاسة الفيلق بمعدل ٤ مدافع عيار ٦٠ رطلاً و٨ مدافع هاوتزر متوسط (٦ - أو ٨ بوصة) و٤ مدافع مضادة للطائرات لكل فرقة. وكذلك إرسال خمسة أسراب طائرات وسريتي مهندسين لرئاسة الجيش. وتأمين ما هو ضروري من وحدات الاشارة والوحدات الطبية. **واعيد تنظيم القوات**

في ثلاثة فيالق كالتالي:

أ ـ فيلق الصحراء الراكب بقيادة الجنرال شوفل، ويشمل فرق الانزال والاستراليه واليومنري الراكبة.

ب ـ الفيلق **٢٠** بقيادة الجنرال تشيتوود ويشمل الفرق **١٠** و**٥٣** و**٧٤**.

ج ـ الفيلق **٢١** بقيادة الجنرال بالفين ويشمل الفرق **٥٢** و**٥٤** و**٧٥**.

د ـ القوات التابعة للقيادة العامة وتتكون من: لواء الهجانة الامبراطوري واللواء الراكب السابع ولواء فرسان الخدمة الامبراطورية واللواء الهندي العشرين.

وتلخصت خطة عمل هذه القوات بما يلي:

تجمع قوة ضاربة من أربع فرق وفرقتي فرسان أمام شمال الأتراك وبئر السبع، مع المحافظة على سر العملية قدر المستطاع. والاستيلاء على بئر السبع بسرعة وامتلاك موارد المياه هناك، ثم اقتحام دفاعات الجنب التركي الأيسر بأقصى سرعة ممكنة، ويطوى الموقع التركي في اتجاه غزة. ويتم الاحتفاظ بقوة الفرسان جاهزة للاندفاع نحو موارد المياه بوادي حسن لمنع انسحاب الاتراك من غزة أو مضايقتهم أثناءه. وتقوم القوات البريطانية أثناء ذلك كله بخداع الاتراك لجذب انتباههم نحو غزة بكل وسيلة ممكنة، بما في ذلك ضربها بنيران المدفعية ضرباً شديداً، وتوجيه هجوم تثبيتي ـ جبهي بقوة وتصميم.

كان من أول قرارات الجنرال اللنبي نقل مقر قيادته من القاهرة إلى معسكر (ام الكلاب) قرب رفح. وكان لهذا الاجراء، ووجود اللنبي بالجبهة بصورة مستمرة تأثير كبير على الروح المعنوية للجيش. إذ أن شخصيته المشجعة، ووصول القوات والامدادات الجديدة، برهان ثابت على بذل مجهود كاف لاحراز النصر، وازالة ما سببه الفشل السابق من جمود في نفسية الجيش.

كان أمام القوات البريطانية الكثير من العمل. فمن تنظيم وحدات جديدة وتسليحها، إلى دمج الوحدات التي كانت تصل تباعاً من الخارج

بالتشكيلات الجديدة وتعويدها على التكيف مع المناخ في المنطقة. إلى تنظيم مستودعات للذخائر والمواد التموينية بأنواعها. وكانت معظم أجزاء خطوط المواصلات في حاجة إلى اعادة التنظيم حتى تكفي القوة بعد زيادتها. أما في الجبهة، فكان كل جزء من تفاصيل الخطة يحتاج إلى بحث واتقان. مع تدريب القوات حتى تقوم بدورها في هذه الخطة.

أصبحت (القنطرة) ميناء يصلح لتوقف بواخر المحيط وتفريغ حمولتها، واقيمت في الصحراء قاعدة ضخمة تضم مئات الاميال من الطرق المدكوكة والمعسكرات الواسعة والمباني ورحبات الاصلاح وزمر العمال واكداس المؤن والمخازن الكبيرة بأنواعها. وسار ازدواج الخط الحديدي إلى دير البلح بسرعة، وتمديد خط إلى الجاملي من فرع خط حديد الشلال. واتخذت الاستعدادات لسرعة مد الخط الحديدي لتتابع تقدم القوات. ودربت لهذه الغاية جماعات خاصة من العمال. وتمت زيادة تمديد قنوات المياه وتطويرها. وحفرت آبار جديدة وأنشئت مخازن للمياه. وأصبحت الشلال هي القاعدة الاساسية للمياه، بسبب وفرة الينابيع فيها، وتم بناء خزان يتسع لكمية ٥٠٠ ألف غالون من المياه.

أثناء ذلك كانت تفاصيل الخطة آخذة في النضج والتكامل. وانحصرت الصعوبة في خداع الاتراك عن اتجاه الهجوم الاساسي. إذ لم يكن من السهل إخفاء الاستعدادات الادارية الضخمة والتي تمكن قوة كبيرة من العمل عند بئر السبع (أي على بعد ٢٥ ـ ٤٠ كم من رأس الخط الحديدي). وكان تفوق الاتراك واضحاً في القوة الجوية طوال فصل الصيف. كما أن الجنب المكشوف للقوات البريطانية ساعد الجواسيس الاتراك على الاقتراب من المنطقة الخلفية للخطوط البريطانية، ورصد مواقع القوات ومراكز المستودعات. وكان معظم هؤلاء الجواسيس من العرب الوطنيين. ولكن على الرغم من ذلك، فقد امكن للقيادة البريطانية وضع خطة خداعية متكاملة تم تنفيذها بمهارة. وافترضت القيادة البريطانية بأنه إذا كان من الصعب اخفاء الاستعدادات أمام بئر السبع الا أنه ليس من الصعب إخفاء حجمها ومداها. وعلى هذا، فقد تقرر ابقاء معظم

القوات أمام غـزة حتى اللحظة الاخيـرة ثم تحريكهـا بسرعـة ضمن اطار محكم من تدابير الحيطة. وقد أجل تمديد الخط الحديدي وقنوات المياه عبر وادي غزة إلى (الأرض الحرة) حتى المراحل الاخيرة. ولم يخصص لتكديس المخازن إلا القليل من الأرض ومن الوقت. وأظهرت المخابرات البريطانية كفاءة عالية في حملها الاتراك على الاعتقاد بأن نشاط البريطانيين أمـام بئر السبع، وشمال المواقع التركية ما هو الا مناورة خادعة هدفها دفع الاتراك لسحب قواتهم الاحتياطية من غزة. واستخـدمت وسائـل عديـدة لتثبيت هذا الاعتقاد، منها ترك (مذكرات مفقودة) لأحد ضباط هيئة الاركان حتى تقـع في يد الاتـراك، وفيها يـذكر الضـابط صعوبـة الحصول عـلى الميـاه والحمـلات اللازمـة لقوة كبيـرة في الأرض المجاورة لبئـر السبـع، ومنهـا الاستمرار في ارسال فرقة الفرسان مرة في كل نصف شهر ـ طوال أشهـر الصيف ـ للاستطلاع قرب بئر السبع ـ وجدير بالـذكر أنـه كان لاعمـال الاستطلاع هذه فائدة مزدوجة: أولها ـ التأكيد للاتراك بان الجهد البريطاني في تلك المنطقة سيقتصر على التظاهر، مما يضمن تحقيق المباغتة عند القيام بالهجوم الحقيقي. وقد أكدت المخابرات البريطانية للاتراك هذا الاعتقاد عنـدما أرسلت إشـارات لاسلكية رمـزية ـ شيفرة ـ بقصد أن يلتقـطهـا الاتراك ويتمكنوا من حل رموزها وفهمها. وثانيها: هو استخدام أعمـال الاستطلاع نصف الشهرية لتدريب الضبـاط وهيئة الاركـان على دراسـة الأرض الصعبة بين غزة وبئر السبع. ووضع المخططات اللازمـة لتأمـين الاقتراب من مواقع الاتراك الدفاعية ومهاجمتها. هذا وقـد أفادت قيـادة اللنبي من سيـادة بريـطانيا البحـرية أيضـاً لخداع الاتـراك الذين كـانـوا بـطبيعتهم يشعرون بـالقلق على جناحهم الايمن المجاور للبحـر. فقامت المخابرات البريطانية بنشر شائعات أكدت للاتـراك مخاوفهم من احتمـال قيام البريطانيين بانزال قوات برمائية الى الخلف من غزة. وفي الوقت ذاته، عملت القطع البريطانية على سبر المياه قرب الشـاطىء بطريقـة مكشوفـة وواضحة. وجمع أسطول من القوارب الصغيرة أمام البلاج ليظن أنه جمع لنقل القوات التي سيتم انزالها بـراً. وأخيراً فقـد تم وضع جـدول تنفيذ الاعمال القتالية بطريقة تزيد من خداع الاتراك. إذ حدد يوم الهجوم (ي)

موعداً للهجوم على بئر السبع . في حين تبدأ عمليات قصف تحصينات غزة بالمدفعية ومدفعية الاسطول قبل يوم الهجوم على بئر السبع بسبعة أيام (ي ـ ٧) على أن يزيد معدل القصف يومياً ليبلغ ذروته في يوم الهجوم . وعندما يتم اقناع الاتراك بتوجيه كل جهدهم نحو غزة ، يتم نقل قوات الهجوم البريطانية بسرعة وبطريقة سرية للجانب المقابل لبئر السبع . وبعد الاستيلاء عليها يتم تطوير الهجوم على شمال الاتراك . وعلى الرغم من ذلك كله ، فانه بالامكان القول أنه لولا وصول أسراب جديدة وطائرات بريطانية حديثة حرمت الاتراك من تفوقهم الجوي الذي انفردوا به حتى ذلك الوقت ، لتناقصت أهمية كافة الاجراءات التي اتخذت لخداع الاتراك . إذ نجحت الطائرات البريطانية (بريستول) في اقناع الطيارين الألمان بتفوقها في السرعة والعمل . ولهذا لم يحاول هؤلاء الطيران الا على ارتفاع عال ، ثم اختفوا نهائياً من الجو عندما بدأت الاعمال القتالية .

شغلت المراحل الاخيرة لتوزيع القوات البريطانية للهجوم على بئر السبع ، الاسبوع الأخير من تشرين الاول ـ اكتوبر حيث حدد يوم **٣١** تشرين الاول ـ اكتوبر موعداً للهجوم (يوم ـ ي) . وتمكنت الفيالق والفرق من اجراء تحركاتها في الفترة من **٢٥** حتى **٢٩** تشرين الاول . وقد تم اختيار يوم الهجوم (ي) موافقاً لاكتمال ضوء القمر ، بحيث يمكن للقوات الاستعانة بضوئه للتحرك الليلي مع ايقاف هذا التحرك نهاراً . وأثناء ذلك بقيت جميع المعسكرات غير المأهولة عند غزة قائمة . وكانت تضاء ليلاً كما كانت القوات تتقن التمويه في النهار . ولهذا لم يلاحظ الطيارون الاتراك والالمان أي تغيير غي أوضاع القوات البريطانية . وقد عرف البريطانيون فيما بعد ـ من خلال تقرير وقع في أيديهم ـ أن الاتراك كانوا يعتقدون حتى يوم **٢٩** تشرين الاول ـ اكتوبر بأنه لا زالت هناك ست فرق بريطانية تقف أمام غزة ، وأن القوة التي قد تهاجم بئر السبع لا تزيد على فرقتين : فرقة مشاة وفرقة خيالة . في حين كان الموقف على النقيض تماماً .

* * *

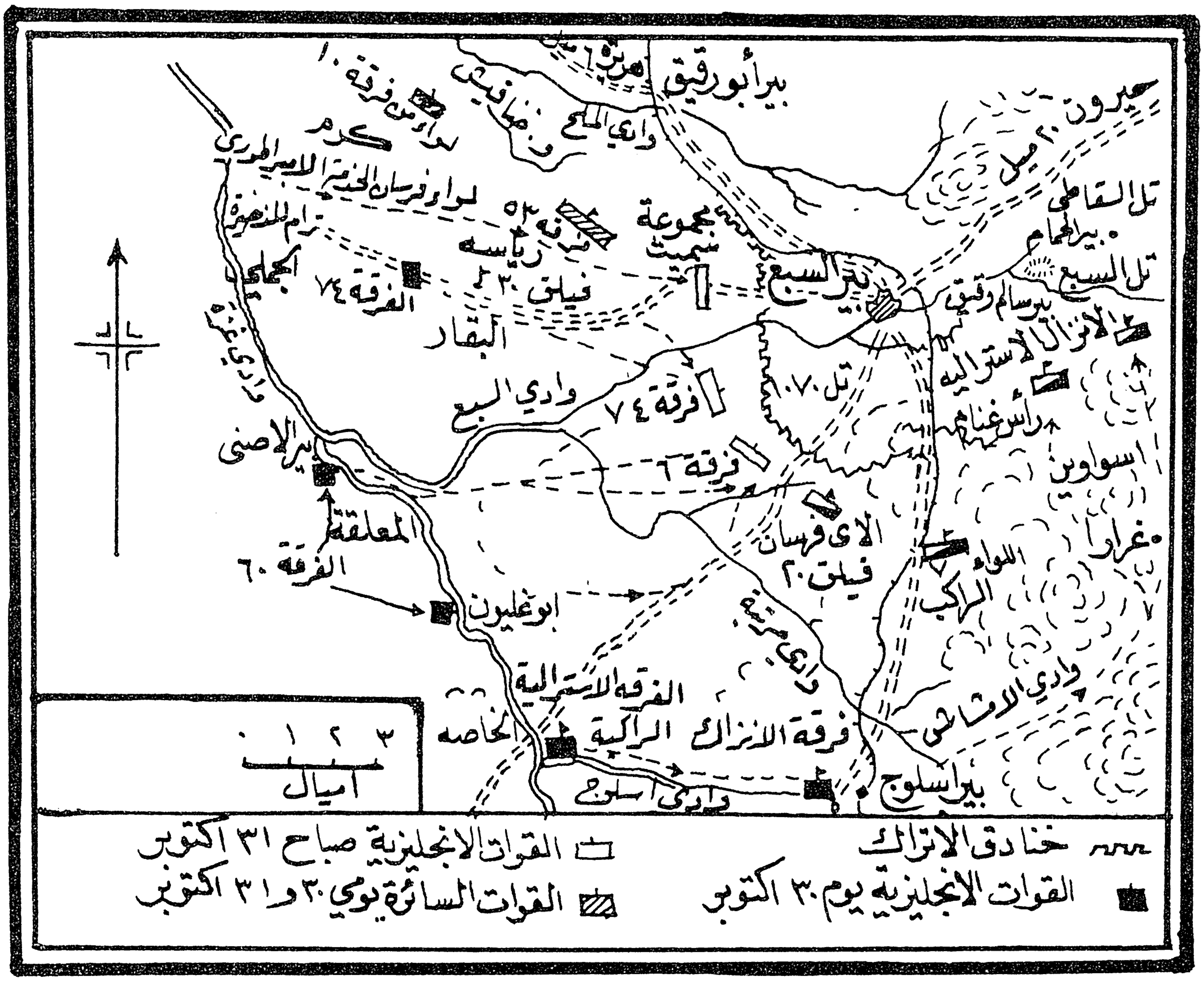
أرسلت قوة من عرب الحجاز ، مدعمة بمفارز انكليزية مسلحة

بالمدافع الرشاشة، للقيام بحركة التفاف واسعة للوصول إلى طريق حبرون ـ بئر السبع بهدف اعاقة أي تقدم لقوات دعم تركية من حبرون إلى بئر السبع، ولمنع أي قوات تحاول الهرب من بئر السبع إلى حبرون. وقد قامت هذه القوة بدور كبير رغم حجمها الصغير ـ ورغم وسائط تنقلها البدائية ـ الجمال ـ وقد تولى قيادتها ضابط من المهندسين ـ اسمه نيوكومب.

٢ ـ الهجوم على بئر السبع

سارت قوة الهجوم البريطاني التي ضمت ٤٠ ألف مقاتل في ليل ٣٠ ـ ٣١ تشرين الاول ـ اكتوبر ١٩١٧ لتتخذ مواقعها للهجوم على بئر السبع. وكان المناخ حاراً رطباً والهواء راكداً، وغيمت سحابة كثيفة من التراب على الارتال أثناء تحركها. وكان على المشاة المهاجمة أن تتخذ مواقع انطلاقها على بعد ٢ ـ ٢,٥ كم من المواقع الدفاعية للاتراك، وذلك قبل الساعة ٤٠٠ صباحاً. وكان عليها أن تسير نحواً من عشرة كيلومترات فوق أرض وعرة. وقد ساعدت الترتيبات المتخذة على تحرك المشاة والمدافع وغيرها دونما صعوبة تذكر بحيث ان القوات اتخذت مواقعها قبل الساعة ٣٠٠.

كانت جبهة الهجوم للفرقتين ٦٠ و٧٤ تزيد قليلاً على خمسة كيلومترات، قسمت بالتساوي على الفرقتين. ودفعت كل فرقة لواءين للامام، وكان أمام الفرقة ٦٠ مراكز دفاعية متقدمة تقع على مرتفع يسمى التل ١٠٧٠ (أصبح على الخرائط الحديثة يحمل اسم التل ١٠٦٩) يبعد مسافة نصف كيلو متر عن الموقع الاساسي للاتراك. وكانت هذه المواقع تعترض تقدم الفرقة ٦٠، كما أنها تمنع مدفعية الفرقة ٧٤ من التقدم حتى المسافة المناسبة للرمي المباشر على موانع الاسلاك وتمزيقها. وعلى هذا فقد كان اقتحام اللواء ١٨١ من الفرقة ٦٠ للتل ١٠٧٠ هو المرحلة الاولى من الهجوم. وقد بدأت المدفعية التمهيد للهجوم بنيران كثيفة في الساعة ٥٥٥، غير أن ركود الهواء ساعد على تشكيل سحابة كثيفة من الغبار غطت التل حتى بات من المحال رصد الاهداف ومراقبة تأثير الرمي. فتم



موقعة بئر السبع ٣١ اكتوبر سنة ١٩١٧

ايقاف النيران لمدة ثلاثة ارباع الساعة حتى يهبط الغبار. وأعيد فتح النيران في الساعة ٧٤٥. وقام اللواء في الساعة ٨٣٠ باقتحام التل واحتلاله بخسائر قليلة. وأثناء ذلك كانت بقية كتائب المشاة تتقدم نحو خط الدفاع التركي. ثم تقدمت البطاريات بمجرد سقوط التل ١٠٧٠ تحت ستار نيران المدفعية الشديدة وبدأت عملها بتدمير موانع الاسلاك، واستمر رمي المدفعية على الموانع من الساعة ١٠٣٠ حتى الساعة ١٢١٥ حيث قامت قوات الفرقتين ٦٠ و٧٤ باقتحام المواقع. وفي الساعة ١٣٣٠ كانت القوات قد احتلت الموقع بأجمعه بين طريق الخاصة ووادي السبع وعملت على تعزيزه. ثم قام لواء الهجانة ومعه كتيبتين من الفرقة ٥٣ بالهجوم على التحصينات الواقعة شمال الوادي، كما قام لواء احتياط من الفرقة ٧٤

بـالالتفاف عـلى شمال التحصينـات وفي السـاعـة ١٩٠٠، نجـح اللواء باحتلال التحصينات بعد مقاومة بسيطة من قليل من الرماة. **ولم تتجاوز خسائر الفيلق ٢٠ في عمليات هذا اليوم ١٢٠٠ جندي، وتم أسر ٥٠٠ جندي تركي والاستيلاء على ٦ مدافع ميدان.**

كانت فرقة الانزال الراكبة قد تحركت من عصلوج في الساعة ١٨٠٠ من مساء يوم ٣٠ تشرين الاول ـ اكتوبر وسارت شمالاً بشرق على درب حجري وعر يسير في مجرى وادي الامشاش، وقامت الفرقة الامبراطورية الراكبة من الخالصة إلى عصلوج تابعة فرقة الأنزاك وبعد أن سارتا مسافة ٢٥ كيلومتراً تقريباً، انقسم الرتل، فسار اللواء القائد من فـرقة الأنزاك (اللواء الاسترالي الخفيف الثاني) الذي سيكون يمين الهجوم إلى بئر عرارا ثم إلى بئر السقاطي على طريق حبرون ـ ماراً ببئـر الحمام. وقـامت بقية فرقة الأنزاك والفرقة الامبراطورية بحركة التفاف الى اليسار. وسارتا شمالاً إلى خاشم زانا ـ عشـرة كيلومترات شـرق بئر السبـع ـ مارة بـاسواوين. وهناك تنتهي الجبال وتنحدر إلى السهل المكشوف وإلى وادي السبع المتسع الأجوف الذي يجري للبلدة التي كانت منظورة وواضحة. وعنـد السـاعـة ٨٠٠ من اليوم التالي (٣١ تشرين الاول ـ اكتوبـر) وصلت فرقـة الأنزاك الراكبة ومعها اللواء الثاني من الفرسان الاسترالية الخفيفة على اليمين ولواء نيوزيلانده على اليسار، إلى الخط بئر حمـام ـ بئر سـالم أبو رقيق. وكـانت الاهداف التالية لهذين اللواءين هي تل السقطى وتل السبع على التوالي. أما اللواء الثالث من الفرقة (اللواء الأول من الفرسان الاسترالية الخفيفة) فكان يسير وراء اللواء النيوزيلاندي. وسارت الفرقة الاسترالية إلى خلف خاشم زانا كاحتياط للفيلق. وأثناء ذلك تحرك اللواء السابـع الراكب من الأصني وفتح أمام رأس غنام ـ جنوب بئر السبع. وكان صوت قتال المشاة مسموعاً عند مركز رئاسة الجنرال شوفل الذي كان موجوداً عـلى تل كبـير قرب خاشم زانا. وكان بالمستطاع أيضاً رؤ ية انفجار القنابل الانكليزيـة على خط المرتفعات الذي تقع عليها الدفاعات التركيـة ومنه أيضـاً كانت حركات الحامية التركية والفرسان الانكليزية منظورة بكل سهولة.

تقدمت فرقة الانزاك الراكبة في الساعة ٩٠٠ تقريباً للقيام بالمرحلة التالية من عمليات فيلق الصحراء الراكب وهي احتلال المواقع الدفاعية التركية شرق بئر السبع وشمال شرقها. وكانت هذه المواقع القوية تقع على تل السبع ـ الى شمال الوادي وعلى بعد ٣ كم تقريباً شرق البلدة. وكان طول هذا التل ٤٠٠ م تقريباً وعرضه ٢٠٠ م تقريباً ـ وسطحه حجري مسطح. وجنبه المجاور للوادي يشكل جرفاً حاداً، كما كانت الاجناب الاخرى شديدة الانحدار، وقد حفرت به خنادق للمشاة والمدافع الرشاشة. وكان ببعض اجزائه خطان منها، فكانت نيرانها تكتسح مجرى الوادي والسهل المكشوف. وبذا كان اقتحامه بالفرسان عملاً مرعباً، وكانت النيران ترغمهم على الترجل.

تقدم لواء اليمين ـ الثاني من الفرسان الاسترالية الخفيفة ـ من بئر الحمام، قاصداً تل السقاطي على طريق حبرون سائراً بأقصى سرعته. غير أن وقع تحت نيران القنابل المتفجرة ـ الشرابنل ـ بمجرد وصوله الى السهل، والتي أطلقتها المدفعية التركية من شمال الطريق. ثم وقع أيضاً تحت نيران المدافع الرشاشة والمشاة. فزاد اللواء من سرعته وبذلك أمكن له تجاوز منطقة الخطر بأقل خسائر. واضطر إلى الترجل قبل وصوله الطريق. وقام باخفاء الخيول في المساتر، ثم تابع تقدمه وأصبح التقدم بطيئاً. واخيراً نجح اللواء في احتلال تل السقاطي والآبار القريبة منه وطريق حبرون في الساعة ١٣٠٠ وذلك بعد قتال عنيف. وبقي هناك حتى آخر النهار لحماية الجنب الأيمن للفيلق.

بقي تل السبع أثناء ذلك سداً منيعاً أمام تقدم اللواء النيوزيلاندي. وتقدم هذا اللواء بعد الساعة ٩٠٠ شمال وادي السبع بهدف تطويق التل من الشرق والشمال. وكان لواء كانتربري على اليمين ولواء أوكلند على الشمال. وكانت تحمي تقدمهما بطارية سومرست على مدى ٣ آلاف متر تقريباً. وتقدمت القوة الراكبة حتى وصلت على بعد مسافة ٥٠٠ م تقريباً من التل. وهنا أصبحت نيران المدافع الرشاشة قوية، فترجلت القوة، واخذت في التقدم خطوة بعد خطوة. وفي الساعة ١١٠٠ دعم الجنرال

شوفل هذه القوة باللواء الثالث من الفرسان الاسترالية الخفيفة ـ من لواء الاحتياط ـ ومعه كتيبة مدافع انفرنس، ثم دعمها بعد ذلك ايضاً باللواء الثاني من الفرسان الاسترالية الخفيفة. وسارت قوة اللواءين بسرعة بحذاء شاطىء الوادي الجنوبي، ثم اقتحمت السهل المكشوف حتى وصلت الى مسافة ١٥٠٠ م تقريباً من هدفها، وترجل الجنود، وتقدموا على جانب التل الجنوبي، وتقدمت مدافع كتيبتي سومرست وأنفرنس بمهارة وشجاعة. واخذت في التعامل مع المدافع الرشاشة التركية (من مسافة ١٥٠٠ ـ ٢٥٠٠ م). وتابعت قوات اللواءين تقدمها البطيء والمرهق ـ اللواء الاسترالي من الجنوب والنيوزيلاندي من الشرق ـ وتمكن اللواء النيوزيلاندي من اقتحام الموقع التركي في الساعة ١٤٤٠ ـ بفضل دعم اللواء الاسترالي له. وفي الساعة ١٥٠٠ سقط تل السبع في قبضة البريطانيين.

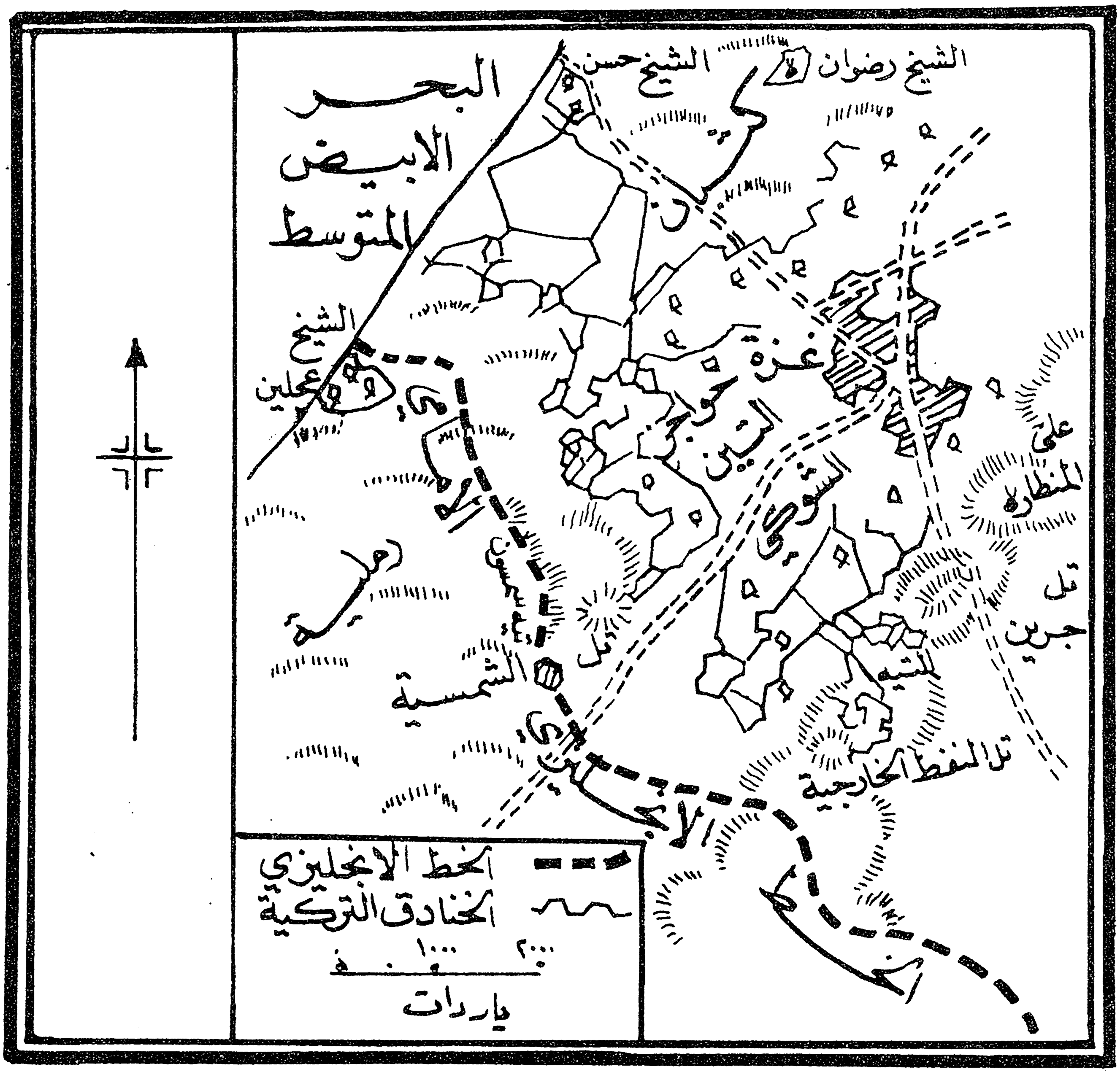
أرسل اللواء الثالث من الفرسان الاسترالية الخفيفة، وعلى يساره اللواء الأول في الساعة ١٥٣٠ للاستيلاء على أهداف في شمال بئر السبع مباشرة لعزل البلدة واتمام احتلالها. غير انه اتضح للجنرال شوفل أن النجاح التدرجي البطيء لا يساعده على تنفيذ أوامر اللنبي بالاستيلاء على بئر السبع قبل حلول الظلام. فأصدر أوامره الى أحد اللواءين الاحتياطيين ـ وهو اللواء الرابع من الفرسان الاسترالية الخفيفة بقيادة اللواء غرانت ـ بالهجوم وهو راكب على المدينة. وكذلك صدر الامر إلى اللواء الخامس الراكب بالسير وراء اللواء السابق ودعمه. وأمر كذلك اللواء السابع الراكب الذي كان موجوداً جنوب المدينة بأن يتقدم للمشاركة باقتحام المدينة. وكان اللواءان الأول والثالث يتابعان تقدمهما تنفيذاً للأوامر السابقة. فبلغ مجموع القوات المكلفة باقتحام البلدة فرقتان كاملتان. وحدثت اشتباكات عنيفة وقتال بالحراب غير أنه أمكن احتلال بئر السبع بعد حلول الظلام. وخسر الاتراك ٩ مدافع، و١٥٠٠ أسير في حين كانت خسائر لواء الاقتحام لا تزيد على ٣٢ قتيلاً و٣٢ جريحاً.

بوغت الاتراك مباغتة مذهلة في بئر السبع. وكانت المباغتة ناجمة عن

قوة الهجوم واتجاهه غير المتوقع. وقد أدت هذه المباغتة الى: أولاً ـ امتناع الاتراك في (هريرة) عن التدخل في القتال عند بئر السبع. وعدم التعرض لحرس الجنب الايسر الانكليزي. ثانياً ـ عدم ابداء مقاومة جادة، وعدم الافادة من التحصينات والمواقع المنيعة وحتى الاسلحة ـ إذ نسي الاتراك في ذهول المباغتة تعديل موجهات الاسلحة ـ البواريد ـ والتي كانت محكمة على مسافة ٨٠٠ م. ثالثاً: كانت آبار بئر السبع مجهزة للتدمير، وقد نسي الاتراك في غمرة ذهول المعركة اشعال فتيل العبوات المتفجرة، فبقيت معظم الآبار سليمة. وهذا ما بعث الأمل قوياً في نفس اللنبي بالحصول على الكميات اللازمة من المياه. ولذا صمم في صباح اليوم التالي للموقعة على أن يقع الهجوم على شمال الاتراك يوم ٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر أو في الصباح المبكر من يوم ٤. وحدد ليلة ١ ـ ٢ منه لهجوم الفيلق ٢١ على غزة بناء على ذلك. **ولقد كان الاستيلاء على بئر السبع وآبارها سليمة، وتدمير الفرقة التركية الراكبة ٢٧ بمثابة بداية ناجحة تركت آثاراً معنوية تزيد كثيراً على اهمية النصر المادي. وبات من المتوقع للقيادة البريطانية أن تطور أعمالها القتالية، بأقصى ما تستطيعه من السرعة.**

٣ ـ الاستيلاء على غزة

حددت قيادة اللنبي جبهة الهجوم بالتلال الرملية المجاورة للشاطىء، وبمنطقة أشجار الصبارة (التين الشوكي) المنيعة والتي تعترض الدخول إلى غزة من الجنوب. ويتراوح ارتفاع هذه التلال من ٣٠ حتى ٤٢٥ متراً. ورمالها ثقيلة غير متماسكة، تجعل تحرك المشاة بطيئاً جداً، وهذا ما دعا إلى تنفيذ الهجوم تحت ستار الظلام. وكانت المواقع الدفاعية التركية قوية وذات عمق كبير وأسلاك جيدة، وكانت الخنادق محمية بأكياس الرمل والخشب. وقد امتدت جبهة الهجوم إلى اكثر من ٥٥٠٠ م من تل الشمسية للبحر. ويتراوح العمق المطلوب اختراقه ما بين ١١٠٠ م في اليمين عند تل الشمسية، وما يزيد على ٣٣٠٠ م في أقصى اليسار حيث كان الهدف هو احتلال (الشيخ حسن) الذي يرى من عنده مرسى مدينة غزة. وكان الخط البريطاني يبعد عن التركي ٥٥٠ م عند تل الشمسية



الهجوم على غزة يومي ١ و٣ تشرين الثاني - نوفمبر

و١١٠٠ م في اليسار.

بدأت المدفعية بقصف غزة منذ يوم ٢٧ تشرين الاول ـ اكتوبر. وقد اشتركت في هذا القصف الذي كان يتزايد يوماً بعد يوم ٢٢٠ قطعة مدفعية ـ من عيارات مختلفة ـ كما اشتركت فيه مدفعية الاسطول (طراد وأربع بوارج وقطع اخرى) وقامت الفرقة ٥٤ ومعها اللواء ١٥٦ من الفرقة ٥٢ بالهجوم على النحو التالي:

المرحلة الاولى: وبدأت في الساعة ١١٠٠ من اليوم الاول من

تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩١٧، وشملت اجتياح تل الشمسية الذي كـان يبرز عنده الخط التركي مهدداً جنب المتقدمين إلى الخنادق التركية الواقعة في الغـرب. وقامت الكتيبـة السابعـة باجتيـاح التل في السـاعة ١١٣٠. وتركت فترة أربع ساعات بين المرحلتين ليستقر الاتراك بعد الهجوم عـلى تل الشمسية، وليعتقدوا بأنها عملية منفصلة. وكان في هذا التوقف بعض المجازفة، غير أن ضمان سلامة تل الشمسية كان ضرورياً لأي تقدم آخر يعمل غربه. ورؤي أن فترة الأربع ساعات هي فترة كافية لحمل الاتراك على الاعتقاد بأنه لن يقع هجوم آخر في تلك الليلة. وقد صح ما تـوقعته القيادة البريطانية. فقد استمرت المدفعية التركية في نشاطها عدة ساعات بعد سقوط تل الشمسية، وأخيراً سكنت قبيل الساعة ٣٠٠ وهي الساعة المحددة لبدء المرحلة التالية.

المرحلة الثانية: وبدأت في السـاعة ٣٠٠ من فجـر يوم ٢ تشـرين الثاني ـ نوفمـر حيث انطلق الهجـوم الرئيسي تحت ستـار نيران المـدفعية الكثيفة التي استمرت لمـدة عشـر دقـائق. وقدمت ٦ دبـابات دعـماً قويـاً للهجوم على الرغم من عدم صلاحية الأرض لتقـدم الدبـابات. فـأمكن الاستيلاء على الهدف (الشيخ حسن) في الساعة ٦٣٠. ثم وصلت القوات إلى اهـدافها النهـائية المحـددة لها، الا في الـوسط حيث استمـرت بعض الخنادق الخلفية التركية في مقاومتها لاقتحام اللواء ١٦٣، وكان الاتراك قد جهزوا في بعض أجزاء هذه الجبهة الغاماً أرضية تنفجر بالتماس، فأهلكت الموجة المتقدمية لكتائب الاقتحام. **بلغت خسائر الفيلق ٢١ ما يزيد على (٢٥٠) قتيلاً و(٣٥٠) مفقوداً وألفي جريح. ومقابل ذلك وقع في أسـر البريطانيين (٥٥٠) جندياً تركياً و٣ مدافع و٣٦ رشاشاً. ودفن بالميـدان ألف جندي تركي.**

يمكن بعد ذلك الانتقال إلى عمليات الجنـاح الأيمن، والتعرض لمـا قام به الفيلق ٢٠ وفيلق الصحراء الراكبة من أعمال قتالية مهدت لاحتلال غزة والاستيلاء عليها.

كان على الجنـرال تشيتوود أن يتقـدم بفرق فيلقـه العشرين (وهي

الفرق ١٠ و٥٣ و٧٤) بالاسلوب الذي اتبع للاستيلاء على بئر السبع. فكان على الفرقة ٥٣ القيام بهجوم جبهي على تحصينات (قاووقه) المنيعة، بينما ترك أمر الاستيلاء على أقصى يسار المواقع التركية للفرقتين ٦٠ و٧٤ (الثانية على يسار الاولى). وكان عليهما مهاجمة جنب هذه المواقع ومؤخرتها متحركتين إلى تل الشريعة. وتبقى الفرقة ١٠ بالاحتياط. وصدر الأمر الى فيلق الصحراء الراكب بالتقدم على تل النجيل - في الشمال البحري. وكان على لواء الهجانة أن يحمي جنب الفيلق ٢٠، وأن يصل بينه وبين الفرسان. وكانت مسيرة الاعمال القتالية مرتبطة بعاملين: اولهما ردود الفعل التركية. وثانيهما توافر المياه في منطقة بئر السبع.

كان أول رد فعل للاتراك هو اقدام هيئة أركان حرب (جيش يلدرم) على اصدار امرها بمجرد علمها بنتيجة القتال عند بئر السبع، الى الجيش السابع باستعادتها على أن يقوم الجيش الثامن بدعمه اذا ما تطلب الموقف ذلك. ولم يكن لدى هيئة الاركان في جيش يلدرم أو في الجيش السابع، فكرة واضحة عن حقيقة الموقف، لأنهما وصلا حديثاً إلى الجبهة. أما (كرس فون كرسنشتاين) قائد الجيش الثامن فقد أفاد من خبرته لمعرفة ما يريد وخصمه اللنبي. وكان يعرف الخطر الذي يتهدد الجناح الأيسر التركي. فأسرع بزج الفرقة ١٩ - من احتياطيه - بهدف مساعدة الجيش السابع في اليسار على مواجهة التهديد. غير أن القيادة التركية بقيت بعيدة كل البعد عن فهم قوة الضربة التي ستقع واتجاهها، وساعد على تضليلها نشاط دوريات كتائب الانزال التي وصلت إلى الظاهرية على طريق حبرون، ونشاط قوة الاغارة العربية بقيادة العقيد نيوكومب في شمال الظاهرية. ولهذا ظنت القيادة التركية أن الانكليز ينوون القيام بحركة التفاف واسعة شمال بئر السبع، أو تنفيذ اغارة تقوم بها قوة الفرسان على طريق حبرون - في اتجاه القدس.

لم تكن قوة الاغارة العربية بقيادة نيوكومب تزيد على مائة مقاتل، وقد أمكن لها الوصول إلى بضعة أميال فقط إلى الجنوب من حبرون. وقد أزعجت الأتراك إلى درجة أنهم أرسلوا ضدها اكثر من ست كتائب،

فاضطرت القوة للاستسلام في يوم ٢ تشرين الثاني ـ نوفمبر بعد مقاومة ضارية، وبعد أن نجحت في التأثير على اتجاه الضربة التركية المضادة.

كان القائدان تشيتوود وشوفل يعملان في يوم ٢ تشرين الثاني ـ نوفمبر على اكمال استعداد القوات للهجوم على الشريعة. وفي هذا الوقت ذاته، كانت قوة تركية تحتشد بسرعة لرد حرس الجناح البريطاني الأيمن إلى بئر السبع. وقد ضمت هذه القوة فرقة الفرسان الثالثة والفرقة ١٩ وجزء من الفرقة ٢٤ وبقايا الفرقة ٢٧. وقد تركز القتال حول مرتفع بئر السبع بنحو ١٥ كم (اسمه تل خويلفه) ويستطيع الواقف فوقه رؤية كافة الأراضي المجاورة، والتحكم في أحسن موارد المياه القريبة منه. وقد عرف قائد فيلق الصحراء الراكب أهمية هذا التل من الناحيتين المذكورتين، فأمر اللواء السابع الراكب بالتقدم مبكراً في صباح يوم ٢ تشرين الثاني ـ نوفمبر لاحتلاله. غير أن تقدم هذا اللواء اصطدم بمقاومة الاتراك الضارية، ففشل في الوصول الى هدفه. ولهذا صدرت الأوامر الى الفرقة ٥٣ ولواء الفرسان الاسترالية الخفيفة الأول (في ليل ٢ ـ ٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر) بالتقدم لاحتلال التل في صباح ٣ منه والقضاء على مقاومة الاتراك. ولكن القوات التركية كانت قد تلقت بدورها دعماً ساعدها على الصمود. ولهذا فقد بقي القتال سجالاً طوال اليوم.

كانت تقارير المخابرات لدى القيادة البريطانية تشير إلى احتمال توافر كميات كافية من المياه في شمال بئر السبع وشرقها، غير أنه ظهر بعدئذ خطأ تقدير المخابرات. فبات لزاماً تبديل القوات بالتناوب حتى تعود إلى (بئر السبع) و(كرم). وأدى ذلك الى التأخير في تقدم القوات. وتم الاتفاق في يوم ٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر على أن يتم تأجيل الهجوم الأساسي على (هريره والشريعة) حتى يوم ٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر واضطر اللنبي إلى قبول هذا التأجيل مكرهاً، لأنه يعطي الاتراك فرصة تجنب الضربة، والانسحاب الى خط دفاعي جديد يقع الى الخلف من الخط السابق.

استمر القتال حول (تل خويلفه) يومي ٤ و٥ تشرين الثاني ـ

نوفمبر دونما نتيجة تذكر. فقد فشلت المحاولات التركية المتتالية لطرد القوات البريطانية الراكبة من رأس النقب، وهو مرتفع شرق تل خويلفه. كما فشلت الفرقة ٥٣ بالاستيلاء على التل والثبات عنده. وكان القتال ضارياً ومفككاً امتلك فيه المدافعون الاتراك ميزة الافادة من تحصيناتهم. واضيفت الى متاعب القوات البريطانية القائمة بالهجوم الانهاك المستمر وصعوبة ارسال الامدادات بالذخائر والمياه والمواد التموينية من بئر السبع إلى خطوط الاشتباك على درب حجري يبلغ طوله عشرين كيلومتراً تقريباً.

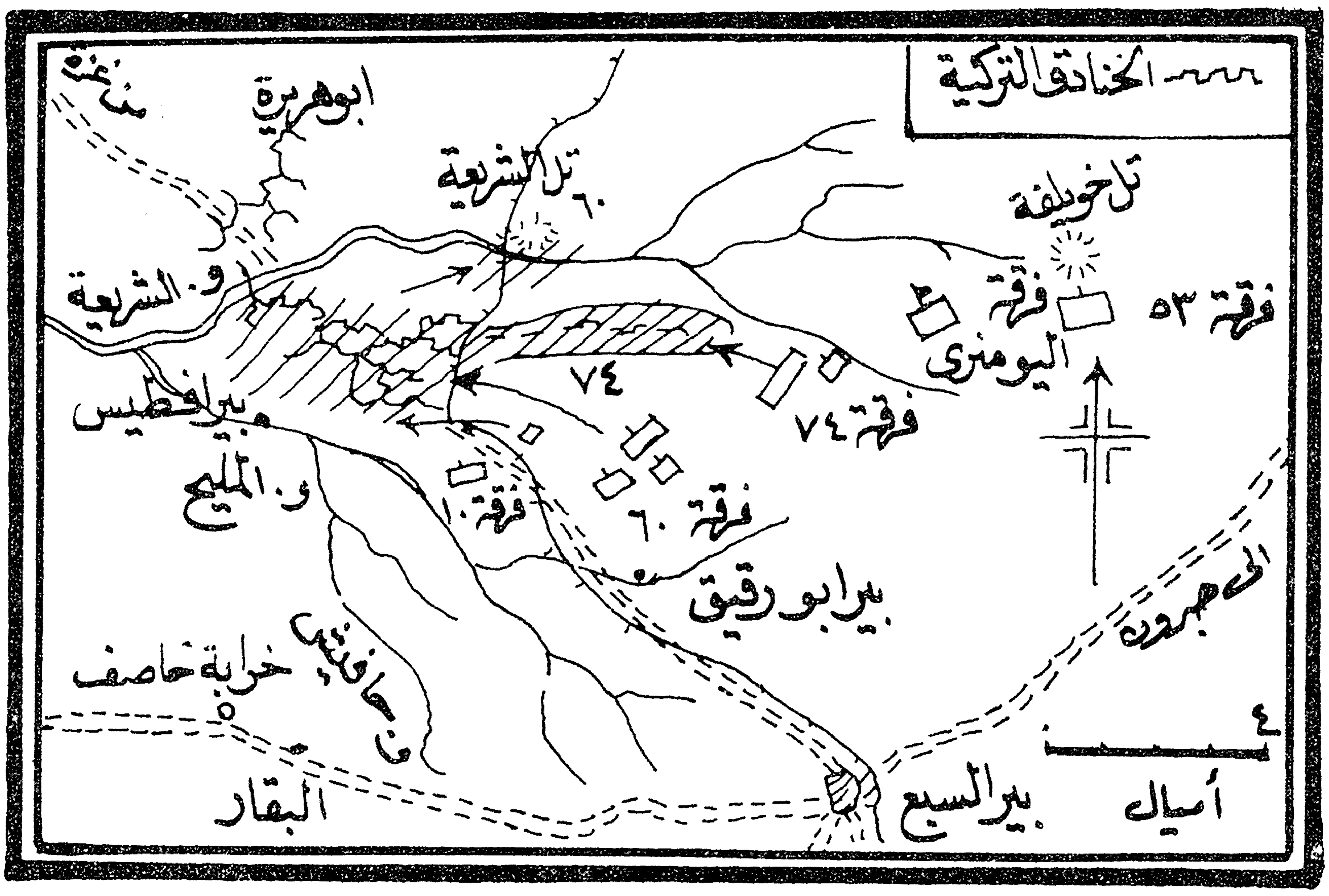
كانت مجموعة التحصينات التي يتكون منها الجناح الأيسر للقوات التركية تبدأ من الشريعة، عند نقطة استناد (هريرة) الحصينة، وتستمر على الاتجاه الجنوبي الشرقي لمسافة ٦,٥ كم تقريباً، مارة بمجموعة خنادق رشدي وقاووقه حتى الخط الحديدي جنوب الشريعة. وقد ازدادت هذه التحصينات قوة ومنعة بصورة تدريجية طوال ستة أشهر. وكانت ذات عمق كبير ومجهزة بموانع الاسلاك وتتحكم بمجال واسع للرمي في السهل المكشوف أمامها. وكان أقصى الجناح يرتكز في بداية الأمر على الخط الحديدي مباشرة من الغرب. ولكنه جرى تمديد هذا الخط فيما بعد لمسافة ٥,٥ كم تقريباً. وكانت التحصينات في هذه المسافة تشكل خطاً واحداً من الخنادق التي حفرت شرق الخط الحديدي، والتي انتخبت مواقعها بعناية. ولم تكن محمية بموانع الأسلاك.

كانت القوة البريطانية الضاربة مكونة من (الفيلق العشرين وفيلق الصحراء الراكب) وقد أتمت هذه القوة في ليل ٥ ـ ٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر اوضاعها للهجوم الحاسم. وانتشرت كما يلي: تحركت فرقة اليومنري الراكبة (بقيادة الجنرال بارو) ـ بعد أن حلت محلها بالشلال الفرقة الاسترالية ـ الى سفح التلال، يسار خط الفرقة ٥٣، وهناك غيرت الفرقة ٥٤ التي باتت قادرة على التجمع للهجوم. وشكلت في مساء ٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر قوة منفصلة بقيادة الجنرال بارو للدفاع عن الجناح الأيمن، وكانت تضم فرقة اليومنري الراكبة والفرقة ٥٣ ولواء الهجانة ولواء

نيوزيلانده التابع لفرقة الانزاك. وكان باقي هذه الفرقة عند بئر السبع(*). وتقدمت الفرقة ٦٠ الى ما بين الفرقتين ٧٤ و١٠. وقامت الفرقة الاسترالية على يسار الفرقة العاشرة بمراقبة الثغرة الواسعة بين الفيلقين ٢٠ و٢١ والتي يبلغ طولها ٢٣ كيلومتراً تقريباً.

كان الاتجاه العام لهجوم الفيلق العشرين، يسير من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي حتى يكون على جنب الخنادق التركية قدر المستطاع. وبحيث يمكن له تدمير الخط الدفاعي من الشرق الى الغرب. وكان على الفرقة ٧٤ باليمين أن تبدأ المعركة بالهجوم جانبياً على خط التحصينات التركية الواقعة الى الشرق من الخط الحديدي. وأثناء ذلك تقترب مشاة الفرقة ٦٠ ومعها لواء من الفرقة ١٠ من مجموعة خنادق قاووقه قدر المستطاع حتى تتمكن الفرقة من الاقتراب من خنادق الاتراك لمرمى قطع الاسلاك. وكان على الفرقة ٧٤ عند وصولها للخط الحديدي أن تحمي يمين الفرقة ٦٠، وأن تساعدها بنيران كل ما يمكن الاستغناء عنه من مدفعيتها، وأن تمتلك الشريعة ومواردها المائية. وكان على الفرقة ٦٠ ومعها لواء من الفرقة ١٠ القيام باقتحام تحصينات قاووقه، بمجرد أن يقرر القادة بأن التمهيد المدفعي قد حقق أهدافه بالقضاء على المقاومة التركية. ثم تقوم الفرقة ٦٠ بحركة استدارة نحو الشمال لمساعدة الفرقة ٧٤ في احتلال الشريعة والدفاع عنها. وكان لزاماً احتلال الأرض المرتفعة شمال الشريعة قبل حلول الظلام من اليوم ذاته مهما كان الثمن. وكان على الفرقة أن تعمل في يوم ٧ تشرين الثاني ـ نوفمبر (الفرقة ٦٠ ذاتها) تحت قيادة فيلق الصحراء في تقدمه على (هوج) بينما تقوم الفرقة العاشرة ـ التي كان منها لواءان في يوم ٦ منه باحتياط الفيلق ـ الاستيلاء على مجموعة تحصينات رشدي ونقطة استناد هريرة، واكمال تدمير الجناح الايسر للقوات التركية. وكان على فيلق الصحراء عندما يرى أن مقاومة الأتراك

(*) لم تكن هناك قيادة موحدة للعمليات حول (تل الخويلفة) حتى يوم ٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر وكانت الفرقة ٥٣ تابعة للفيلق ٢٠، والقوات الراكبة تابعة لفيلق الصحراء عدا لواء الهجانة الذي كان يلحق احياناً بالفرقة ٥٣ وأحياناً أخرى بفيلق الصحراء، وفي أحيان أيضاً كان قسم منه يلحق بالفرقة وآخر يلحق بالفيلق.



هجوم الفيلق ٢٠ في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٧

قد تحطمت، أن يتقدم بكل سرعة قاصداً (هوج وجمامة) وهما من أهم مناطق المياه خلف الخط التركي.

بدأت الفرقة ٧٤ تقدمها الساعة ٥٠٠ من صباح يوم ٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر بثلاثة ألوية بهيئة متدرجة من الشمال. وكان على اللواء الخلفي أن يحمي بنوع خاص الجانب الأيمن. وقد تحملت الفرقة صدمة القتال طوال ساعات اليوم، وكان عملها شاقاً. وبلغت المسافة من نقطة انطلاق الهجوم حتى الخط الحديدي زهاء ثمانية كيلومترات، على أرض مكشوفة خالية كل الخلو من أي ساتر. وكانت المواقع الدفاعية التركية منتخبة بمهارة ومدافع عنها بكل عناد. ولم يكن بالمستطاع ضمان الاستمرار في الحصول على دعم المدفعية للمشاة التي تقدمت بسرعة، والتي ما كانت تعتمد في معظم الاحيان الا على نيران المدافع الرشاشة. ولم يكن بالمستطاع أيضاً تحديد مواقع الاتراك وتحصيناتهم بدقة، نظراً لعدم ظهور ما تم تنظيمه حديثاً على خرائط الخنادق التي رسمت من الصور التي التقطتها الطائرات. ورغم ذلك فقد تمكن اللواء القائد من قطع أربعة أو

خمسة كيلومترات قبل الساعة ٨٣٠ وحوالى الساعة ١٣٣٠ تم احتلال الاهداف بكاملها. وقد أظهرت هذه الفرقة (٧٤) التي تشكلت من اليومنري المترجلة بسرعتها في هجومها أنها تمكنت من المحافظة على روح الفروسية وقوة الفرسان وخفة حركتهم.

تقدمت أثناء ذلك الفرقتان ٦٠ و١٠ إلى مواقع قاووقه الاساسية، ثم فتحت مدفعيتها النيران عليها بطريقة منظمة، وأصبحت الأسلاك بعد الظهر بقليل ممزقة بدرجة تسمح بالاقتحام. فاقتحمت القوات البريطانية مواقع قاووقه ورشدي بسرعة. وفي الساعة ١٦٣٠ تحول لواءان من الفرقة ٦٠ سائرين شمالاً قاصدين الشريعة التي كانت الفرقة ٧٤ متجهة اليها. وكان من المقرر اقتحام تل الشريعة الذي يحكم الوادي بهجوم ليلي - بالحراب - غير أن اقدام الاتراك على اشعال النيران بمستودعات الذخائر والتموين قبل اخلاء محطة الشريعة، قد أقنع البريطانيين بضرورة تأجيل العملية، لأن ضوء اللهب كان ينير محاور الاقتراب عبر الوادي.

استمر القتال شديداً في منطقة خويلفه يوم ٦ تشرين الثاني - نوفمبر. وقام اللواء ١٥٨ من الفرقة ٥٣ ومعه الكتيبة الثالثة من لواء الهجانة بالاقتحام فجراً. وحاول أن يتشبث بتبة خويلفة الأصلية، فقام الأتراك بهجمة مضادة عنيفة ردت الوحدات البريطانية لا كلها. وكان هذا آخر مجهود بذلوه. واستمرت الحرب سجالاً في هذا الجزء من الميدان بين القوتين المتصارعتين والمستنزفتي القوى، دون أن يحدث أي تطوير في الموقف، ولكن الاتراك انسحبوا مكرهين في المساء، بسبب انسحاب قواتهم انسحاباً تاماً.

لم تحرز فرقة الانزال والفرقة ٥٣ والهجانة في القتال العنيف الذي استمر ستة أيام، الا القليل من المكاسب مقابل الكثير من الصدمات والمتاعب، ولكن كان لصمودهم أمام الاخطار واحتمالهم لأصعب المشاق، الفضل الأول في تنفيذ خطة اللنبي. إذ لم يبق لدى الاتراك من الاحتياط ما يمكنهم من سد الثغرة التي فتحت عند الشريعة والتي ازدادت اتساعاً عند فجر يوم ٧ تشرين الثاني - نوفمبر باستيلاء الفرقة ٦٠ على تل

الشريعة والفرقة ١٠ على نقطة استناد هريره القويـة. **تقدم الفيلق ٢١ في يسار الخط مبكراً في صبـاح ٧ تشرين الثـاني ـ نوفمبـر بمقاومـة بسيطة، مخترقاً المواقع الدفاعيـة التركيـة المنيعة التي سـدت الطريق إلى فلسـطين طويلاً. فقد سقط (على المنطار) الشهير، ومفتاح غزة، بعد فجر يـوم ٧ بقليل، وكان الاتراك قد أخلوا في الحقيقة مدينة غزة، وتقهقروا تماماً.**

كان من نتيجة القتال الذي استمر اسبوعاً، دفع الجيـوش التركيـة للعراء، بعيداً عن تحصيناتها القوية ومواقعها المنيعة، وتكبدت خلال ذلك خسائر فادحة، اضطرت معها إلى ترك خط غزة ـ بئر السبع. وهـو الخط الـذي جهزوه بعنـاية وتشبثـوا به بعنـاد طوال الأشهـر التسعة السـابقة. وأصبحت المرحلة الثانية هي استثمار النصر عن طريق زج قوات الفرسان خفيفة الحركة للقيام بالدور الاساسي. وكان الجنـرال اللنبي يفكر: بـأن افضل السبل لاستثمار النصر هو تطويق القوات التركية واحتجازها وقطع خطوط مواصلاتها عند أفضل المواقع المنـاسبة، لتـدميرهـا. ولهذا أصـدر أوامـره في وقت مبكر من يـوم ٦ تشرين الثـاني ـ نوفمبـر بـاستنفـار فيلق الصحراء استعداداً لاستثمار النصر الذي بات من المتوقع أن تحرزه قوات الفيلق ٢٠. وكان على فرقة الانزاك أن تسير من بئر السبع الى موقع خلف فرقة اليومنري التي كـانت تحرس جنب الفيلق ٢٠ الأيمن، وعـلى الفرقـة الاسترالية أن تتقدم من كرم الى خربة المليح خلف الفيلق ٢٠ مباشـرة. وتركت الفرقتان (الانزاك والراكبة) لواء في الخلف فبقي من الاولى في بئر السبع لواء نيوزيلانده كاحتياط للقوة المنفصلة الواقية (بقيادة بارو) وبقي من الثانية اللواء الثالث الاسترالي الخفيف ليستمر في مراقبـة الثغرة يسـار الفيلق ٢٠. وعندما وصل نبأ النجاح في المساء،صدرت الأوامر إلى الجنرال شوفل بالتقدم الى جمامة وهـوج بكافـة القوات المتـوافرة. ووضعت تحت قيادته الفرقة ٦٠ من الفيلق ٢٠ لمساعدته في التقدم. فـأصدر أمـره قبيل منتصف ليل ٦ ـ ٧ بأن تتقدم فرقة الانزاك على محطة العميـدات كهدف أول. وأن تتجمـع الفرقـة الاسـترالـيـة عنـد الشـريعـة حيث أمـر اللواء الاسترالي الخفيف بالانضمام اليها.

٤ ـ المطاردة في فلسطين.

لم يكن التقدم سهلاً كما تصوره اللنبي، فقد استطاعت فرقة الأنزاك الاستيلاء على محطة العميدات. وأسرت ٤٠٠ جندياً وحصلت على مواد تموينية كثيرة. غير أن مؤخرة الاتراك المتمركزة على تل أبو ديلاخ (شمال المحطة ببضعة كيلومترات) أوقفتها باقي اليوم. وبقي الجانب الأيمن لفرقة الآنزاك معرضاً للقوة التركية الكبيرة بالتلال. كما أن الفرقة الاسترالية لم تتقدم طوال اليوم تقريباً بسبب حاجتها للراحة والتزود بالمياه. ولم يتم للفرقة ٦٠ احتلال تل الشريعة الا في فجر يوم ٧ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩١٧. وبعدها احتل الاتراك موقعاً دفاعياً قوياً على الأرض المرتفعة الواقعة شمالاً بمسافة ١,٥ كم تقريباً، ومنعوا المشاة البريطانية من التقدم. فصدر الأمر إلى اللواء المتقدم من الفرقة الاسترالية بالقضاء على المقاومة. ولكن الاتجاه الذي أعطي إلى اللواء، جعل هجومه جبهياً، مما ساعد الاتراك على ايقافه على بعد مئات الامتار، وبقي حتى غروب الشمس، حيث زجت الفرقة ٦٠ بلواء الاحتياط الذي تمكن من احتلال المواقع التركية. وتوقفت العملية بحلول الظلام.

انطلقت فرق الفيلق ٢١ بقيادة بالفين (وهي الفرق ٥٢ و٥٤ و٧٥) لمطاردة الاتراك المنسحبين من غزة. فتوجهت الفرقة ٥٢ على امتداد الشاطىء، ووصل اللواء المتقدم منها ـ وهو اللواء ١٥٧ ـ إلى وادي حسى، وعبره عند مصبه مع حلول الظلام. وتبعه اللواء ١٥٥ الذي عبر الوادي ليلاً. أما الفرقة ٥٤ فاحتلت دفاعات غزة ذاتها. وتقدم لواء فرسان الخدمة الامبراطوري بجوار غزة قاصداً بيت حنون، غير أنه أوقف تقدمه عند حلول الظلام.

ثبتت مؤخرة تركية في نقطتي استناد (نقطة الدبابة ونقطة عطاونية) وهما الجزء الوحيد من الجبهة الذي بقي سليماً ومتماسكاً. ولو يؤثر عليهما وجود القوات البريطانية خلف جناحيهما. وقد أطلقت مدفعية النقطتين قنابلها الاحتياطية التي لم يكن بوسعها الا ضربها أو تركها. وقد أزعجت هذه القذائف القوات البريطانية في غزة ازعاجاً تاماً. وقد كان لصمود

هذه المؤخرة التركية دور كبير إذ أنه أوقف سير وسائط النقل التي ارسلت بسرعة من الفيلق ٢٠ إلى الفيلق ٢١ حتى يتمكن هذا من التقدم بسرعة على امتداد السهل الساحلي.

صدر الأمر إلى فيلق الصحراء الراكب للقيام في يوم ٨ تشرين الثاني - نوفمبر بتقدم سريع على هوج وجمامة، والاتجاه من هناك نحو الشمال - الغربي لسد الممر الضيق الذي لا زال مفتوحاً لانسحاب المؤخرة التركية عند (عطاونية). ولعزل القوات التركية الاخرى المشتبكة بالفرقة ٥٢ عند وادي حسى. ولكن قوة حماية انسحاب الجيش التركي قاتلت بعناد وشراسة، واستثمرت السهول المكشوفة أفضل استثمار لتنفيذ عملياتها التأخيرية، وعلى الرغم من تقدم الفرسان البريطانيين تقدماً كبيراً ونجاحهم في أسر أعداد من المقاتلين الاتراك، إلا أنهم فشلوا في احتجاز قوات تركية كبيرة. وطلب إلى فرقة اليومنري (بقيادة بارو) والتي كانت بأقصى اليمين أن تتوقف عن مطاردة الاتراك الذين انسحبوا من الخويلفة، والانضمام - ومعها لواء من الهجانة - بالانضمام إلى فيلق الصحراء الراكب، على أن يبقى لواء نيوزيلاندي في بئر السبع. ودعمت فرقة الانزاك باللواء السابع الراكب بدلاً عن اللواء النيوزيلاندي المذكور. ولكنها لم تصل جمامة الا عند الساعة ١٥٠٠. ولم تتمكن الفرقة الاسترالية والفرقة ٦٠ من احتلال هوج الا بعد ذلك.

لقد كانت القوة التركية المدافعة عن هوج، عبارة عن قوة صغيرة، غير أن مقاومتها الضارية أرغمت قائد الفرقة ٦٠ على زج ١٠ كتائب ضدها، وتم تنظيم الهجوم من ثلاثة اتجاهات. وعندما نجح انقضاض القوات البريطانية، امكن الاستيلاء على ١١ مدفعاً و٤ مدافع رشاشة و٧٠ أسيراً وقتل بالسيف كثير من أفرادأطقم المدافع (السدنة) وكانوا خليطاً من ألمان وأتراك ونمساويين. وتكبدت القوات البريطانية خسائر فادحة، ومن أصل الاثني عشر ضابطاً قادة الكتائب، قتل ٣ وجرح ٦ - كما كان هناك ٢٦ قتيلاً من الجنود و٤٠ جريحاً، وقتل ١٠٠ حصان.

خاضت الفرقة ٥٢ قتالاً ضارياً في عملية صغيرة شمال غزة، فبعد

أن قام لواءان منها بعبور وادي حسى عند مصبه، قبل فجر يوم ٨ تشرين الثاني - نوفمبر على نحو ما سبق ذكره، اصطدمت وحدات اللواءين ببعض المقاومة التي ثبتتها على الكثبان الرملية في الشمال - أمام عسقلان - وكانت على يمينها تبة مستطيلة ، اسمها(تبة السجق) وتمتد من بربيره إلى دير سنيد، أي لمسافة ٥ كيلومترات تقريباً. وقد احتل الاتراك هذه التبة بقوة لأنها تحمي الطريق والخط الحديدي من غزة شمالاً. وتقدم اللواء ١٥٨ بعد ظهر يوم ٨ على هذه التبة، وقبل أن يبتدىء اقتحامه النهائي، هدده هجوم مضاد على يساره، فاضطر للوقوف ومواجهة الشمال لمقابلة ذلك الخطر. وقد أمكن دفع اللواء ١٥٧ على جنوب التبة بسبب وصول اللواء ١٥٦ إلى وادي حسى، وكان قد ترك الشيخ عجلين منذ الساعة ٥٣٠، وتمكن اللواء ١٥٧ من الوصول إلى التبة عند حلول الظلام، ولكنه صد أربع مرات بسبب الهجمات التركية المضادة العنيفة، وتمكن أخيراً من زج كل قواه في عملية اقتحام نهائية، تمكن بها من الاستيلاء نهائياً على مواقع الاتراك في الساعة ٢١٠٠. وخسر اللواءان في هذه العملية نحواً من ٧٠٠ جندي.

انتهت المرحلة الاولى من استثمار النصر في مساء يوم ٨ تشرين الثاني - نوفمبر وفشلت القوات الراكبة البريطانية في احتجاز قوات تركية كبيرة. غير أن الاتراك جابهوا مأزقاً حرجاً بعد أن فشلوا في التشبث عند وادي حسى، وبات لزاماً عليهم التوقف عند نهر سكرير الذي يبعد شمالاً بمسافة ٢٥ كم تقريباً، باعتبار هذا النهر هو أفضل خط طبيعي يمكن الدفاع عنده.

استمر سلاح الطيران الملكي البريطاني في ازعاج قوات الاتراك المنسحبة، بقنابله ومدافعه الرشاشة، وظهر من تقاريره أن القوات التركية قد تمزقت وهي في حالة سيئة. لذا أصدر اللنبي أمره يوم ٩ تشرين الثاني - نوفمبر الى القوات الراكبة بالتوجه إلى (التينة وبيت دوراس) بأقصى سرعة ممكنة، لتطويق نهر سكرير، وحرمان الاتراك من التوقف عنده.

كانت فرقة الانزاك هي الفرقة الوحيدة الجاهزة للتقدم. فاندفعت

للمدجل أولاً، ثم إلى بيت دوراس وأشدود، فأسرت الكثير من الأتـراك الذين كانت مقاومتهم في ذلك اليوم أضعف منها في كافة أيام الانسحاب. ولو أن الفرق الثلاث تمكنت من التقدم لـوقع معـظم الجيش التركي في أيديهم. وقد ذكر (كرس فون كرسنشتاين): «بأنه قد هيمن ذعـر شديـد على معسكر الجيش الثامن، في فترة بعد الظهر، عندما انتشرت المعلومات عن اختراق الفرسان البريطانيين. فتبعثرت القوات، وتشتتت أرتال النقل والذخائر، ودمرت كافة وسائط الاتصال بين قيادة الجيش والقوات».

التقطت قيادة اللنبي رسالة لاسلكية تركية في يوم ٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر تفيـد بأن (فـولكنهاين) قـد أصدر أمـره إلى الجيش السابـع للقيام بهجوم مضاد من حبرون على الجناح الأيمن للقوات البريطانية وعلى خطوط مواصلاتهم عند تقدمهم في السهل. ولما كان الجنرال اللنبي يعتقد ان قوة حبرون قد باتت ممزقة بحيث لا تستحق تخصيص جزء كبير من قوته، فقد تجاهل هـذا التهديـد، واكتفى بتحريـك لواء الهجـانة من بئـر السبع الى النجيلة، ليكون على جنب أي هجوم يوجه ضده من التـلال. وقد ظهـر فعلاً فيما بعد أن قوة حبرون قد انسحبت إلى بيت جبريل بعـد أن قامت بتظاهرة غير مؤثرة يوم ١٠ تشرين الثاني ـ نوفمبر. ونقصت سرعة المطاردة يومي ١٠ و١١ وزادت رياح حارة مجهدة من تعب الجنود والحيوانات، كما زادت كثيراً صعوبة الوصول بالامـدادات للقوات المتقـدمة. وكـان الخط الحديدي قد تم تمديده للأمام بأقصى سرعة ممكنة، غير أنه لم يصل إلى دير سنيـد حتى يوم ٢٨ تشـرين الثاني ـ نـوفمبـر ١٩١٧. وقـد عـرقلت قلة العربات استخدام الخط التركي من غزة. **وبذلت البحرية أقصى مجهود في تقديم المساعدة بانـزال الامدادات إلى البـر عند مصب وادي حسى، ثم وادي سكرير بعد احتلالها**. ورغم ذلك فلم يتيسر الا بكل صعوبة ارسال فرقتين من الفيلق ٢١ لامداد فيلق الصحراء الـراكب. وتمت التحركـات الآتية يومي ١٠ و١١ ووصلت القوات في مساء يوم ١١ إلى المواقع الآتية:

أ ـ **فيلق الصحراء الراكب**: سارت الفرقة الاسترالية من هوج ليلة ٩ ـ ١٠ (السير الليلي الوحيد مدة المطاردة) ووصلت على يمين الانزاك قرب

عراق المنشية وفالوجة. ووصلت فرقة اليومنري إلى ذلك الجنب ليلة ١٠، ولكنها أمرت يوم ١١ بالتحرك للجانب الآخر حتى تكون على يسار فرقة الانزاك. وكان لواء الهجانة ولواء نيوزيلانده يتحركان إلى ذلك الجانب أيضاً. وقد نجحت فرقة الانزاك في تنظيم رأس جسر على نهر سكرير عند جسر أشدود يوم ١٠ ثم زادت في اتساعه يوم ١١.

ب ـ **الفيلق ٢١**: تحركت الفرقتان ٥٢ و٧٥ إلى الخط بيت دوراس ـ أشدود. وقد قاتل اللواء المتقدم للفرقة ٥٢ في عملية صغرى أمام أشدود يوم ١٠. وثبتت الفرقة ٥٤ ولواء فرسان الخدمة الامبراطوري عند غزة.

ج ـ **الفيلق ٢٢**: اتخذت الفرقة ٥٣ ومعها لواء فرسانها موقعاً على التلال شمال بئر السبع. ووقفت الفرقة ٦٠ عند هوج والفرقتان ١٠ و٧٤ عند كرم. وتعاظمت مقاومة الاتراك في هذين اليومين حيث ظهرأنهم يعتزمون الثبات لتغطية خط حديد القدس والخط الحديدي الأصلي. وقد وضع الاتراك قوات منفصلة أمامية على امتداد نهر سكرير، لتعطي الوقت اللازم لتنظيم الموقع الأساسي على وادي سرور ونهر روبين واحتلاله. ومقابل ذلك، صمم اللنبي على تطويق الجانب الأيمن لموقع الأتراك المذكور الذي كان يمتد شمالاً وجنوباً من القباب الى بيت جبريل. فكلف الفرقة الاسترالية بحراسة جناحه الشرقي، واجتذاب انتباه الأتراك إليها قدر المستطاع. وأمر المشاة بمهاجمة يمين وسط الاتراك، بينما تطوق القوات الراكبة الاخرى جناحهم الأيمن.

وصلت القوة ليلة ١٢ إلى مواقع الهجوم. ففي الشرق كانت الفرقة الاسترالية متقدمة على تل الصافي. ولكن أربع فرق تركية هاجمتها هجوماً مضاداً عنيفاً وصدتها، أما في الجانب الآخر فان الفرقة ٥٢ قاتلت قتالاً عنيفاً عند برقة شمال وادي سكرير. وكلفها استيلاؤ ها عليها خسائر تزيد على ٤٠٠، ولكنها فتحت طريقاً للتقدم في اليوم التالي إلى موقع الاتراك الاساسي.

لم تكن قوة الاتراك التي قامت بالمحاولة الأخيرة لانقاذ فرع خط حديد القدس تزيد على ٢٠ ألف مقاتل. وكان الموقع الذي احتلته هذه القوة

رديئا من الناحية الاستراتيجية، لأن واجهته كانت موازية لخط المواصلات الرئيسي نحو الشمال، وكان الجناح الشمالي للموقع يكاد يكون مطوقاً. ولكن على الرغم من ضعف الموقع التركي بسبب امتداده على جبهة واسعة تزيد على ثلاثين كيلومتراً، فانه كان قوياً من الوجهة الطبيعية، وهذا ما عوض بعض الشيء عن ضعفه. والأرض أمام الموقع فضاء تصلح للزراعة، غير أنها كانت وقتئذ خالية مكشوفة. وكانت القرى العديدة المبنية عادة فوق ربوات صخرية، وتحيط بها حواجز الصبارة (التين الشوكي) تشكل مراكز قوية للمقاومة. وكانت هيكلاً قوياً للموقع التركي. وأهم هيئات ميدان القتال المهمة قريتان هما (قطرة والمغار) الواقعتان على مرتفعات حاكمة يفصلهما وادي الجاموس الذي يصل بين وادي السرار، ونهر روبين، وتمتد الأرض المرتفعة التي تقع عليها المغار شمالاً نحو زرفوقة والقباب وكانت العمود الفقري لدفاع الاتراك عن جنبهم الأيمن المهدد.

أمر الجنرال اللنبي الفرقة الاسترالية بالهجوم على جنوب الطريق العام غزة ـ المحطة. وأن يقوم الفيلق ٢١ (الفرقتان ٧٥ و٥٢) بالهجوم بين الطريق وقطرة قاصداً المحطة والخط الحديدي شمالها مباشرة. وأن تقوم فرقة اليومنري تساعدها فرقة الانزاك بالهجوم على يسار الفيلق ٢١. ويعمل لواء الهجانة على التلال الرملية الممتدة بجوار الشاطىء. وعند الوصول إلى المحطة والخط الحديدي، تقوم القوات الراكبة بحركة التفاف شمالاً للاستيلاء على الرملة واللد، مع اجراء استطلاع الى يافا.

بدأ الهجوم في الساعة ٧٠٠ من يوم ١٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩١٧ ودارت معارك ضارية أمام قطرة والمغار وعكير، وأمكن الوصول إلى الاهداف. وتم احتلال المحطة والتينة وعيون قارة قرب صرفند ـ في اليوم التالي ـ وقام الاتراك بهجوم مضاد عنيف ـ ولكنهم صدوا باقتحام الحراب. وفي يوم ١٥ تشرين الثاني ـ نوفمبر استولت فرقة الانزاك على الرملة واللد. وفي يوم ١٦ ـ احتلت الفرقة الاسترالية اللطرون ودخل اللواء النيوزيلاندي يافا من غير مقاومة. وبالاستيلاء على يافا انسحب

الجيش الثامن التركي الى ما وراء نهر العوجة، واحتل الجيش السابع مواقع له على تلال الضفة الغربية. وبذلك انتهت المطاردة في سهول فلسطين.

تقدمت القوات البريطانية مسافة ٨٠ كيلومتراً تقريباً خلال عشرة أيام. وقطعت أغلب قوة الفرسان مسافة ٢٧٥ كيلومتراً ما بين ٢٩ تشرين الاول ـ اكتوبر وحتى ١٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر. وخسر الاتراك نحواً من ١٠ آلاف أسير و١٠٠ مدفع. وبلغت خسائر البريطانيين خلال أيام المطاردة فقط (من ٧ إلى ١٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر) أكثر من ستة آلاف جندي.

٥ ـ الطريق إلى القدس.

كان استيلاء اللنبي على اللد والرملة بمثابة تشكيل اسفين فصل بين الجيشين التركيين السابع والثامن، وزاد من مشكلة التموين المعقدة. إذ تمركز الجيش الثامن على الخط الحديدي الأساسي. بينما بقي الجيش السابع المنتشر على التلال المحيطة بالقدس معتمداً في امداده وتموينه على وسائط النقل البرية بطريق نابلس أو طريق عمان الواقعة على الخط الحديدي الحجازي. وكانت المسافة من القدس إلى نابلس تقارب ٦٥ كيلومتراً، أما طول طريق القدس ـ عمان فيقارب ٨٠ كيلومتراً. ولم تكن هناك طرق مواصلات عرضانية جيدة بين الجيشين السابع والثامن جنوب الخط (طول كرم ـ نابلس) وبقي على اللنبي اختيار أي من الجيشين يكون الهدف الأول لهجومه.

كان اللنبي قد اتخذ قراره بعدم التوغل في التلال والمرتفعات بعد تنظيف السهل الساحلي. الا أن ما لاحظه من تمزق القوات التركية أغراه بتعديل قراره والتقدم فوراً إلى القدس. غير أن تنفيذ هذا القرار كان يجابه مجموعة من العقبات، إذ كانت خدمات الامداد والتموين مجهدة كل الاجهاد، وستزيد في صعوباتها، أو قد تسبب فشلها التام أمطار الشتاء التي حان وقت هطولها. وكانت القوات الموجودة قد اضطلعت بكثير من الاعمال الشاقة. ولم تكن الخرائط الواضحة بينهم وبين القدس متوافرة. وقد حذر تاريخ الحروب التي وقعت بفلسطين ـ والتي كان الجنرال اللنبي

قد درسها دراسة دقيقة ـ تحذيراً صريحاً عن أي هجوم طائش، أو عمل غير مدروس، ضد الحصون الطبيعية القوية بقرب جبال الضفة الغربية التي ردت الآشوريين والرومان والصليبيين والمغول (التتار) على اعقابهم. وقد قال آدم سميث في هذه القلاع: «**اتفقت كافة العوامل على أن تضمن للأهلين القليلي العدد وسائل سهلة للدفاع أمام جيوش قوية، فهي بلاد المخابيء والعراقيل والمباغتات. لا تجد فيها الجيوش الكبيرة مسافة تكفيها للقتال، ويتيسر فيها للمدافعين الاختفاء، وأهم لوازم القتال فيها الاقدام الخفيفة الثابتة. والقدرة على التسلق والاقتحام**». ولم تنس وزارة الحرب البريطانية ما حل بقوات اقتحام العراق من الدمار قبل سنتين. ولذا أرسلت برقية إلى اللنبي حذرته فيها من توريط جيشه في عمل يزيد على قدرة احتماله، ويتجاوز حدود امكاناته. وقد وضع اللنبي كافة هذه العوامل عند تقديره للموقف، فوجد أنه من المناسب تطوير الضغط على القوات التركية قبل أن تستفيق من ذهول الهزيمة، وتعمل على تنظيم دفاع قوي على هذه التلال المحرومة من طرق الاتصال. فأعطى القوات يوماً واحداً للراحة وواحداً للتنظيم، لتبدأ في اليوم التالي (١٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩١٧) المرحلة التالية من العمليات، وتضمنت الخطة: تكليف فرقة الانزال والفرقة ٥٤ بتنظيم الخط الدفاعي بالسهل لحماية خط المواصلات الرئيسي الذي وصل في حينها إلى غزة. ودفع باقي الفيلق ٢١ للتقدم إلى التلال، بحيث تتحرك الفرقة ٧٥ على جانبي الطريق الرئيسي ما بين يافا والقدس. وتتحرك الفرقة ٥٢ إلى يسارها. كما تتحرك فرقة اليومنري على يسارها مارة ببيت هارون متجهة إلى البيرة التي تقع على طريق نابلس، وإلى شمال القدس بمسافة ١٦ كم تقريباً. في حين كان على لواء من الفرقة الاسترالية العمل على يمين الفرقة ٧٥ صاعداً الوادي الذي يسير فيه الخط الحديدي. وسحبت باقي الفرقة إلى الشاطىء لتخفيف الضغط على المواصلات. **وكان مخطط العملية يعتمد بصورة عامة على قيام الفرقة ٧٥ بالتقدم نحو القدس، ثم السير على الاتجاه الشمالي ـ الشرقي نحو البيرة، ثم تقوم كل القوة بحركة استدارة مستندة إلى جناحها الايمن، متجاوزة الطريق العام من نابلس، وبذا تعزل خطوط مواصلات**

الاتراك. وترغمهم على اخلاء القدس. وأصدر اللنبي أوامره بتجنب كل قتال على بعد عشرة كيلومترات تقريباً من المدينة المقدسة.

حاولت الفرقة الاسترالية يوم ١٨ تشرين الثاني - نوفمبر اخراج الاتراك من اللطرون. وأثناء ذلك تقدمت فرقة اليومنري بنجاح نحو بيت هرون السفلى (بيت عر الطهطا) واحتشدت الفرقة ٧٥ في مواجهة اللطرون، والفرقة ٥٢ عند الرملة واللد. واندفعت فرقتا المشاة في يوم ١٩ إلى التلال، وفي الوقت ذاته، بدأ هطول امطار الشتاء الغزيرة، وهبطت درجة الحرارة بصورة مباغتة.

كان الطريق العام الذي ستسير عليه الفرقة ٧٠، يمر بمضيق على بعد كيلومترات قليلة من اللطرون. ويمتد الطريق في هذا المضيق على منحدر شديد طوله ٧ كم تقريباً حتى يصل تبة تقع عليها قرية ساريس وقرية العناب. وكان الأتراك قد دمروا الطريق في عدة مواقع. أما الطريق الذي سلكته الفرقة ٥٢ وفرقة اليومنري فيمر بوادي عجلون الشهير. وقد رسمت هذه الطرق على الخرائط كأنها طرق رومانية، ثم ظهر أنها مجرد دروب لا تصلح أبداً لسير العجلات ولا للجمال الا بعد إصلاح. فاضطرت الفرقة (اليومنري) لاعادة كل عرباتها وحتى مدافعها إلى الخلف في يوم ١٨، وفي اليوم التالي، وجد قائد اللواء المتقدم من الفرقة ٥٢ أنه من المحال دفع العربات نحو الامام نظراً لما تتميز به اطراف التلال الصخرية من انحدارات شديدة تكثر فيها الجروف الهاوية، والصخور الضخمة على امتداد الأودية الملتوية بين هذه التلال.

كانت الفرقة ٧٥ تضم بعض الوحدات الهندية التي اعتادت القتال في أحوال مشابهة في حدود الهند الغربية. وقد بذلت هذه الفرقة جهوداً جبارة في يوم ١٩ حتى أصبحت قريبة من ساريس الواقعة على رأس مضيق باب الوادي. ووصل اللواء المتقدم من الفرقة ٥٢ إلى بيت لقية. كما وصل اللواء اليومنري الى بيت عر الطهطا. وقد عانى الجنود كثيراً من البرد والرطوبة، نظراً لأنهم كانوا يلبسون الثياب الصيفية، وليس معهم معاطف ولا بطاطين كافية. وكان من الصعب ارسال ما يحتاجونه من هذه المواد،

على الجمال، التي يمتنع عليها السير فوق الصخور وفي الوحل.

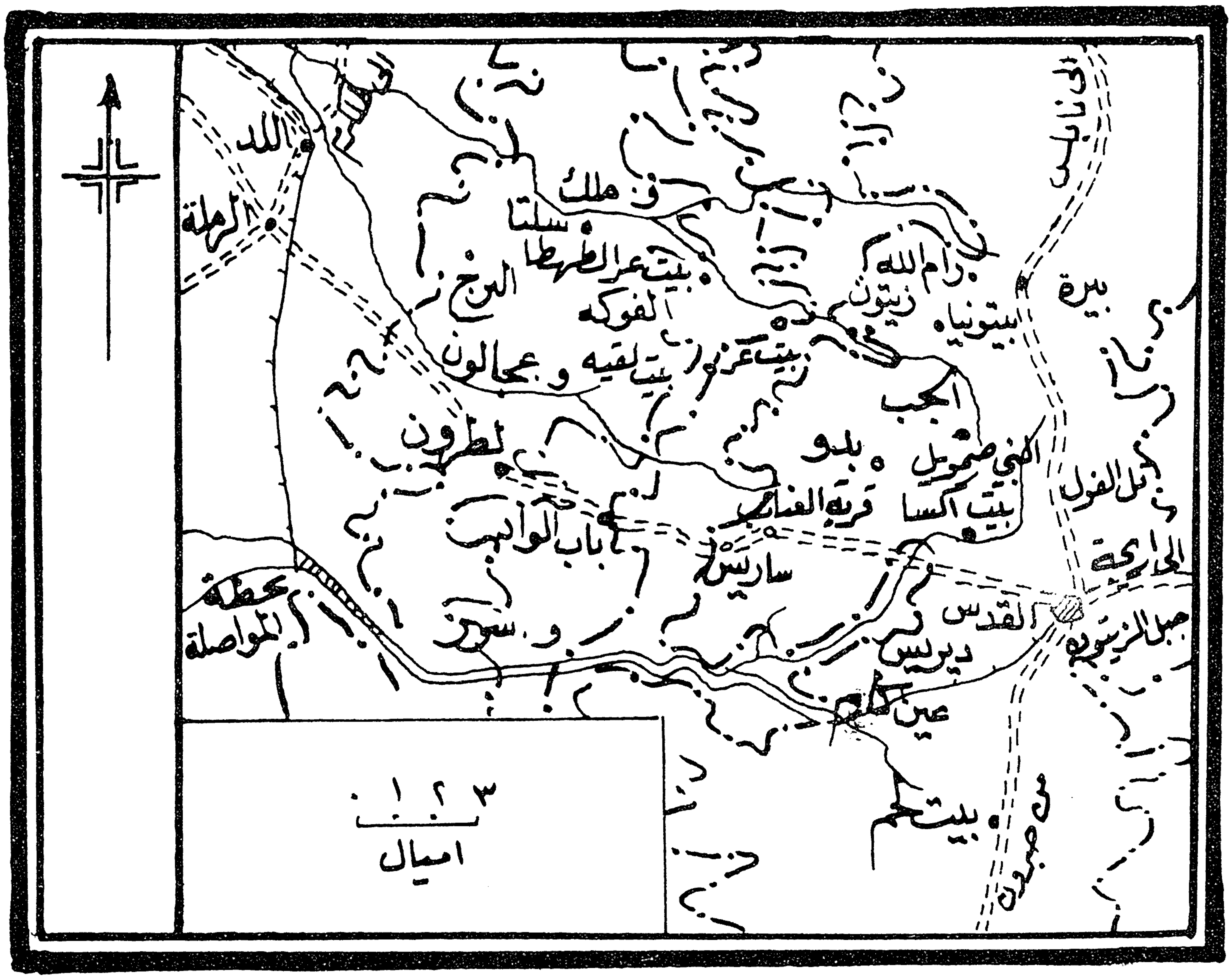
اصطدمت الفرقة ٧٥ بمقاومة الاتراك الضارية على التبة حول ساريس وقرية العناب، وكانت قوات الهجوم محرومة تقريباً من دعم المدفعية، غير أنها تمكنت بعد قتال ضار من الاستيلاء على ساريس بعد الظهر. بينما استمرت المعركة بكل قسوتها عند قرية العناب. وكان من حسن حظ البريطانيين هبوط ضباب كثيف تعجز عن صنع مثله أفضل الستائر الدخانية، فباتت المدافع الرشاشة للاتراك عاجزة عن العمل. وانطلقت ثلاث كتائب للانقضاض بالحراب، تحت ستار الضباب، فأمكن للفرقة ٧٥ احتلال التبة قبل الساعة ١٨٠٠، وأمكن لها بذلك حماية التقدم على الطريق العام في جزئه الواقع بالمضيق. واحرزت الفرقة ٥٢ بعض التقدم. وبذلت فرقة اليومنري أقصى جهدها طوال اليوم للوصول إلى طريق نابلس عند البيرة، ولكن من غير جدوى. وكان مفتاح الموقع هناك هو تبة الزيتون الشهيرة، والتي تقع على طرفها الشرقي قرية بيتونيا غرب قريتي رام الله والبيرة. وكانت تحتلها قوة من ٣ آلاف تركي تدعمهم مجموعة كتائب من المدفعية. فأمكن لها احباط كل جهود فرقة اليومنري للتقدم. وعلى كل حال، فقد بات باستطاعة الفرقة ٧٥ التقدم بعد أن أمنت جناحها الأيمن عند عناب. فتحركت يوم ٢١ نحو البيرة ـ على الاتجاه الشمالي ـ الشرقي. وأمكن لها تركيز جهدها لاحتلال مرتفع النبي صمويل الذي كان يتحكم في الطريق الى البيرة. واستطاع اللواء ٢٣٤ الاستيلاء على هذا المرتفع قبل منتصف الليل. وفي هذا الوقت ذاته قام الاتراك بهجوم مضاد قوي أمكن له طرد البريطانيين ـ اليومنري ـ من مرتفع الزيتون. وفشلت الجهود البريطانية طوال يومي ٢٢ ـ ٢٤ بالاستيلاء على تبة الجب الواقعة بين النبي صمويل وبيتونيا. وقام الاتراك بثلاث هجمات مضادة عنيفة على النبي صمويل المشرفة على دفاعات القدس، وعلى المدينة ذاتها. ولكن هذه الهجمات فشلت في الوصول إلى اهدافها. وظهر للجنرال اللنبي أنه من المحال اخراج القوات التركية من مواقعها، ما لم يتوافر لقوات الهجوم دعم قوي بنيران المدفعية. كما كانت فرق الهجوم (٥٢ و٧٥ واليومنري) قد استنزفت وتكبدت خسائر فادحة

وباتت بحاجة للراحة واعادة التنظيم. وعلى هذا أصدر أمره يوم ٢٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر بالتوقف، والدفاع عن المواقع المكتسبة.

ظل الموقف على السهل الساحلي مجمداً حتى يوم ١٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر عندما أصدر اللنبي أمره إلى فرقة الانزال الراكبة بتأمين رأس جسر على نهر العوجة بهدف تثبيت الجيش التركي الثامن ومنعه من ارسال قوات منه إلى الجيش السابع. وقام اللواء النيوزيلاندي بتنفيذ هذه المهمة، فدمر المراكز المتقدمة للقوات التركية. ونظم رأسي جسرين عند (خرابة الحضرة ـ والشيخ مونّس) غير أن القوات التركية قامت بهجوم مضاد طردت فيه القوات النيوزيلاندية في فجر يوم ٢٥. وظهر بوضوح مدى حاجة البريطانيينْ للمزيد من القوات من اجل اقامة موقع قوي شمال نهر العوجة.

مضت فترة اسبوعين من التوقف، والاعداد للهجوم الحاسم على القدس. فتم خلالها نقل الفيلق ٢٠ لتبديل الفيلق ٢١، وكلف هذا الفيلق بتبديل فيلق الصحراء الراكب بالسهل ـ واحتلال الخط المواجه للرملة ويافا. وكانت الفرقة ٦٠ قد سارت شمالاً من غزة يوم ١٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر فوصلت اللطرون يوم ٢٣، وبدلت الفرقتين ٧٥ و٥٢ فيما بين يومي ٢٥ و٢٨. وفي يوم ٢٨ استلم الفيلق ٢٠ الخط بالتلال. ووصلت الفرقة ٧٤ في اليوم ذاته إلى اللطرون. وتبعتها بعد يومين الفرقة ١٠. وبقيت الفرقة ٥٣ ومعها لواء فرسان الفيلق وبطارية ثقيلة ملحقة على طريق حبرون، شمال بئر السبع واسميت (قوة موتت) ووضعت تحت تصرف القيادة العامة مباشرة.

أفاد الاتراك من هذه الفترة للقيام بعدد من الهجمات المضادة على خط الدفاع البريطاني بقوات منتخبة أطلق عليها اسم (قوات الاقتحام). وكان موقف القوات البريطانية يساعد على تنفيذ مثل هذه الهجمات الانتقامية، فقد كانت فرقة اليومنري ـ والتي وصلت قوتها وقتذاك إلى الف جندي متعب إلى حد الاستنزاف، تنتشر على جبهة واسعة تزيد على سبعة كيلومترات. وكان الى يسارها ـ قرب بيت عر الطهطا ـ ثغرة طولها ثمانية



العمليات حول القدس
من ١٨ نوفمبر الى ٩ ديسمبر سنة ١٩١٧

كيلومترات، تمتد إلى يمين الفرقة ٥٤ عند شلتا. وكان خط الامداد والتموين الرئيسي من اللد، يقع قريباً من هذه الثغرة والى الخلف منها. وقد بدأ الأتراك هجماتهم يوم ٢٧ تشرين الثاني ـ نوفمبر على جبل الزيتون ـ عند الحافة الغربية لتبة بيتونيا. ولكن النقطة صمدت بعناد، وقاومت بضراوة حتى اليوم التالي، عندما اضطرت فرقة اليومنري بكاملها للانسحاب لا من جبل الزيتون فحسب، بل من عر الفواكه ايضاً. واخترق الاتراك الثغرة بين اليومنري والفرقة ٥٤ ودمروا رتلاً من ذخائر اليومنري، واجتاحوا ميمنة الفرقة ٥٤. غير أن القيادة البريطانية زجت القوات الاحتياطية القريبة ـ لواء من الفرقة ٥٢ ـ كما دفعت الفرقة الاسترالية واللواء السابع. فأمكن سد الثغرة وابعاد الخطر عن خط المواصلات. وتم تبديل الفرقة التي أوشكت على الفناء ـ وهي فرقة

اليومنري ـ وحلت محلها الفرقة ٧٤.

حدثت في الفترة من ٣٠ تشرين الثاني ـ نوفمبر و٤ كانون الاول ـ ديسمبر مجموعة من الهجمات المضادة التركية والاغارات البريطانية في بيت عـر الفواكـه والبرج جنـوب شلتا وبيت عـر الطهـطا والنبي صمـويـل. وتكبدت قوات الطرفين المتصارعين خسائر فادحة، غير أن خسائر الاتراك كانت اكبر. قرر اللنبي أن يكون يوم ٨ كانون الاول ـ ديسمبر هو الموعد للهجوم الحاسم على القدس. واتخذت القوات البريطانية مواقعها للهجوم في الفترة من ٤ حتى ٧ كانون الاول ـ ديسمبر.

هطلت أمطار مستمرة يوم ٧ كانون الاول ـ ديسمبر، واستمرت ليلة ٧ ـ ٨ فعطلت تحرك الفرقة ٥٣. وأتعبت جميع القوات كثيـراً. وفي أثناء الليل نزل اللواء ١٧٩ من الفرقة ٦٠ إلى وادي سرور وتمكن قبل الساعة ٣٣٠ من الاستيلاء على الأرض المرتفعة جنوب عين كارم. وبدأ الهجوم الـرئيسي في الفجر تحت وابـل من المطر والضبـاب. قـدرت قـوة الجيش التركي السابع بما يتراوح بين ١٥ و١٦ ألف مقاتل. وكانت مواقعهم غرب القدس قد جهزت وحفرت منذ اكثر من سنة في سفح التل، بعد عمـل طويل وجهد شاق. وكان ببعض أجزائها ثلاثة خطوط لضرب النار. وهذه المواقع تامة المناعة إذا ما أمكن الدفاع عنها بعناد، ولا شك في أن الهجوم عليها يصبح مشروعاً خـطراً لو كـان الاتراك بمستـواهم العادي للقتـال. ولكن تـوالي الانهزامات هـزت القوى المعنـويـة للجيش السـابـع. وقـد استهلكت الهجمات المضادة العقيمة التي نفذت في العشـرة أيام السـابقة أفضل قواتهم الباقية. وعلى الرغم من أن مقاومة الاتراك كانت أقـل من المعتاد، الا أن صعوبة الأرض والطقس، كانتا كافيتين لجعل التقدم بطيئاً وشاقاً. وقد تمكنت الفرقة ٧٤ من الاستيلاء على التبة التالية لبيت اكسه، ولكنهـا اوقفت بسبب النيران الهـائلة التي اطلقتهـا القـوات التـركيـة من المنحدرات السفلى لبيت صمويل. وامتلكت الفرقة ٦٠ ـ التي وقع عليها عبء القتال عند دير يسن ـ المواقع الدفاعية الاخرى شرق وادي سرور، بفضل اندفاعها المعهود. ولكن جناحها الأيمن أصبح معرضاً لأن الأمطار



الجنرال اللنبي يدخل القدس رسمياً يوم ١٠ كانون الاول ـ ديسمبر ١٩١٧ بحضور لورانس. ويقول: «لقد انتهت اليوم الحروب الصليبية؟».

والضباب اعاقا تقدم الفرقة ٥٣ فأوقف التقدم إلى طريق نابلس في فترة بعد الظهر. وأمرت القوات بتعزيز المواقع المكتسبة، واستئناف التقدم في اليوم التالي. غير أن ما بذلوه من جهد كان في الواقع كافياً لكسب القدس، رغم أنهم لم يعرفوا ذلك. فقد أضاع الاتراك بعد أن خسروا أقوى مواقعهم أي أمل في الاحتفاظ بالمدينة.

انسحبت القوات التركية يوم ٨ وفي ليل ٨ ـ ٩ كانون الاول ـ ديسمبر غادر آخر جندي تركي المدينة المقدسة قبل الصباح المبكر، وانتهى بذلك الحكم الاسلامي ـ العثماني الذي استمر أربعة قرون. وخرج عمدة القدس فسلم مفاتيح المدينة إلى قائد الفرقة ٦٠ (الجنرال شي) بعد ظهر يوم ٩ بقليل. وتقدمت الفرق ٥٣ و٦٠ و٧٤ إلى مواقعها النهائية يوم ٩، وضربوا نطاقاً تاماً حول القدس. وقوبلت الفرقة ٦٠ بمقاومة عنيفة من مؤخرة تركية عند جبل الزيتون تمكنت الفرقة من القضاء عليها بقتال

الحراب. ودخل الجنرال اللنبي مدينة القدس رسمياً يوم ١١ كانون الأول ـ ديسمبر ١٩١٧.

بلغت خسائر البريطانيين ما بين ٢٥ تشرين الثاني ـ نوفمبر و١٠ كانون الأول ـ ديسمبر ١٩١٧ اكثر من ١٦٦٧ قتيلاً. وأسروا من الاتراك ١٨٠٠ أسير. وبذلك زاد عدد الأسرى من الاتراك في العمليات بأجمعها (من بئر السبع إلى القدس) اكثر من ١٢ ألف أسير، وقدر مجموع خسائر البريطانيين نحواً من ١٨ ألفاً مقابل ٢٥ ألفاً من الاتراك.

حقق المخطط البريطاني أهدافه كاملة، فقد زال الخطر الذي كان يتهدد بغداد نهائياً لأن معارك فلسطين استنزفت كل القوات الاحتياطية للاتراك. وحصل (لويد جورج) على هدية عيد الميلاد باستيلاء الصليبيين الجدد على القدس. واجتاحت العالم المسيحي فرحة غامرة باستعادة الاماكن المقدسة من قبضة المسلمين العثمانيين، واعتبر انتزاعها خطوة أخرى في اذلال الخلافة الاسلامية بعد أن تم اخراجها من مدينتين مقدستين وهما مكة وبغداد. وبات باستطاعة الثورة العربية أن تمضي قدماً بعد أن أصبحت جرحاً لا يندمل. واستمرت في استنزاف القوى التركية.

لم تتوقف الاعمال القتالية بالاستيلاء على القدس. فقد أصدر اللنبي أمره إلى الفيلق ٢٠ بالتقدم لاحتلال خط (بيتين ـ نالين) لابعاد كل تهديد تركي عن القدس. وكان هذا الخط يقع شمال أحد الممرات التاريخية التي تخترق سلسلة جبال الضفة الغربية من الشرق الى الغرب. ويحددها من الشرق اخدود مكماش (الذي يقال بأن سيدنا موسى قد سار عليه عند دخوله أرض فلسطين للمرة الاولى) ويحدده من الغرب وادي عجلون الشهير، ذو الطرق الثلاثة الموصلة من السهل الساحلي الى الهضبة الوسطى. وتضمنت الخطة قيام الفرقة ٦٠ بالتقدم يوم ٢٤ كانون الاول ـ ديسمبر على جانبي طريق القدس ـ نابلس. وأن تتقدم في الوقت ذاته الفرقة ٧٤ شرقاً من بيت هرون (بين عر الفواكه) لتلتقيا عند التبة التي تقع عليها (البيرة ورامالله) ثم تتقدمان شمالاً. وتقوم الفرقة ٥٣ على اليمن والفرقة ١٠ على اليسار، أثناء ذلك بحراسة الجناحين ودعمها. غير

أنه تم تأجيل موعد العملية بسبب سوء الاحوال الجوية.

التقطت القيادة البريطانية رسالة لاسلكية تركية، حلت رموزها، وعلمت منها تفاصيل هجوم مضاد يتم اعداده للهجوم على القدس من الشمال والشرق. وكانت القوات التركية قد تلقت دعماً جديداً ضم الفرقة الاولى. فتقرر أن تثبت الفرقتان البريطانيتان **٥٣** و٦٠ أمام القدس بينما يتقدم الجناح الأيسر للفيلق (بفرقتيه **٧٤** و**١٠**) لتنفيذ المخطط الذي سبق ذكره.

بدأ الاتراك هجومهم في ليل **٢٦** ـ **٢٧**. واستمر حتى ظهر يوم **٢٧**، وكان اتجاهه مركزاً على تل شهير (اسمه تل الغول) يقع شرق طريق نابلس مباشرة، وشمال القدس بمسافة **٥** كم تقريباً. وتميز هجوم الاتراك بالتصميم والعناد والشجاعة التي اشتهر بها الجندي التركي.

تمكنت كتيبة من الفرقة **٥٣** أن تصمد ساعات طويلة للهجوم التركي الذي أحاط بها من كل جانب. وأثناء ذلك تحركت الفرقتان **٧٤** و**١٠** في وقت مبكر من يوم **٢٧** كانون الاول ـ ديسمبر وأمكن لهما التقدم على جبهة **١٠** كم ولمسافة **٥** كم تقريباً، فأوقفا الهجوم التركي على القدس. واستمر القتال بعنف وقوة في اليوم التالي، حيث قامت القوات البريطانية بهجوم عام بعد أن تأكدوا من قدرتهم على ايقاف الهجوم التركي في عمليات اليوم السابق. وضعفت مقاومة الاتراك يوم **٢٩**، وانتهت يوم **٣٠** تماماً. وكانت خسائرهم في محاولة استعادة القدس كبيرة جداً. فقد دفن اكثر من ألف تركي فوق أرض المعركة ووقع في أسر البريطانيين **٥٥٠** جندياً. وأصبح خط الجبهة آمناً. وبات من المحال على البريطانيين متابعة التقدم، ما لم يتوافر لهم امداد منتظم. فتوقف القتال على هذه الجبهة.

* * *

أثناء ذلك قامت القوات البريطانية بعمليات اخرى لعبور نهر العوجة والسيطرة على يافا.

كان الفيلق **٢١** قد احتل مواقعه على خط الدفاع الساحلي منذ يوم

٧ كانون الاول ـ ديسمبر (بعد أن قام بتبديل فيلق الصحراء الراكب) ووضع الفيلق ٢١ فرقه لثلاث على النحو التالي: الفرقة ٧٥ في اليمين، والفرقة ٥٤ في الوسط، والفرقة ٥٢ عند الشاطىء. وكان هدف الفيلق هو التقدم لابعاد الاتراك عن مرمى يافا التي ستستخدم كقاعدة للامداد والتموين بالمواد التي سيتم انزالها في الميناء. وكذلك لابعاد الاتراك عن خط يافا ـ اللد الذي كان جارياً تمديد خط حديدي ضيق عليه.

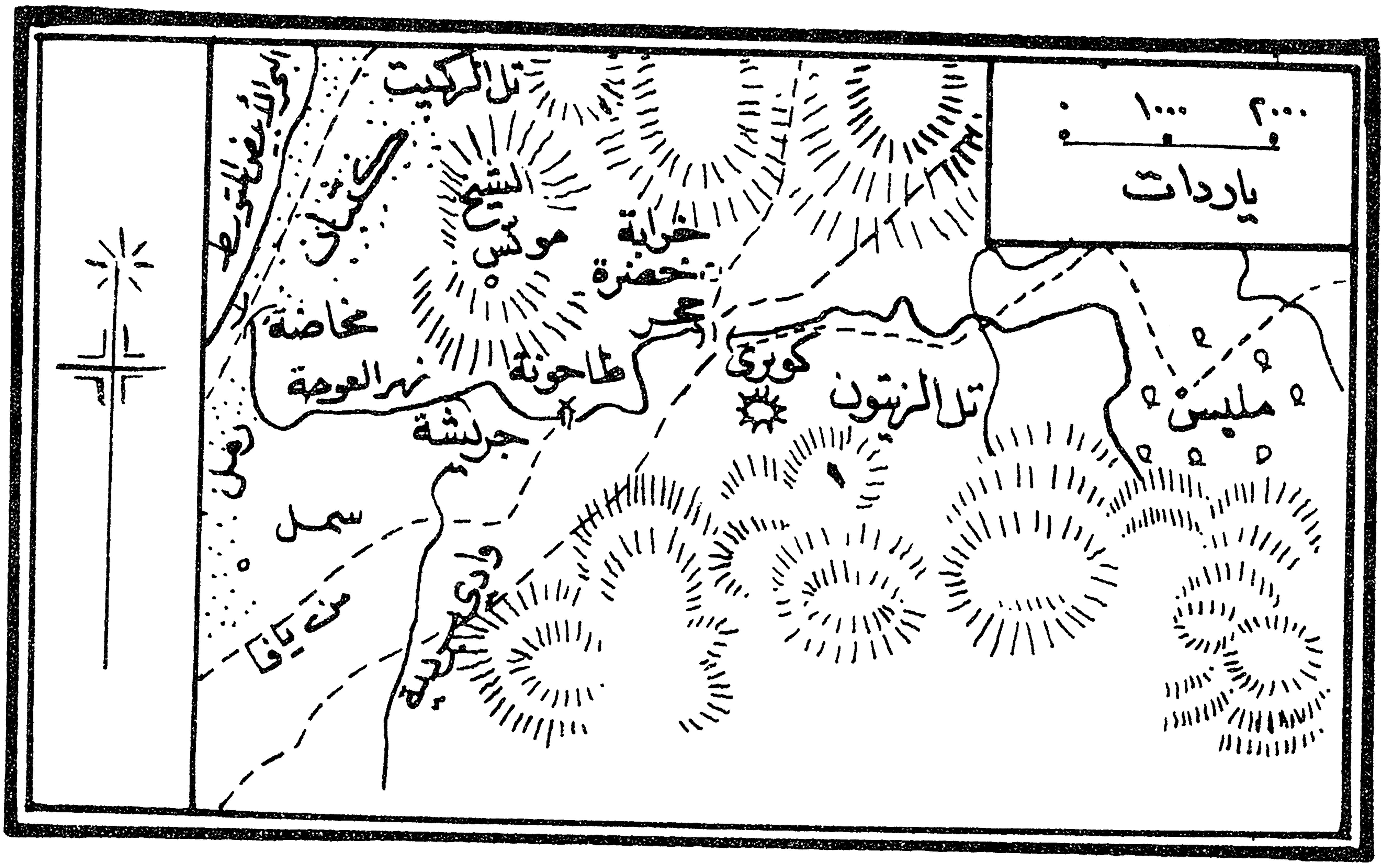
كانت أهم الصعوبات هي عبور نهر العوجة الذي يصب في البحر شمال يافا بمسافة تزيد قليلاً على ٦كيلومترات. وعرضه بين ملبس والبحر ١٢ ـ ١٥ م وعمقه ٣ ـ ٤ م، عند المصب حيث توجد مخاضة طولها ٤٠ متراً وعمقها متر واحد تقريباً. وشواطىء النهر، وخاصة الجنوبية منخفضة ذات مستنقعات. وقد أقام الاتراك نقاط مراقبة في كوبري حجر والطاحونة. وقد أعد الفيلق وسائط العبور، لاختراق النهر من نقطتين الاولى بين الحضرة وجريشة والثانية بين جريشة والبحر. وحددت ليلة ٢٠ ـ ٢١ كانون الاول ـ ديسمبر موعداً لتنفيذ العملية. غير أن الامطار الغزيرة هطلت طوال يومي ١٩ و٢٠ كانون الاول، فتحولت محاور الاقتراب الى النهر، وأصبحت مخاضة طينية عميقة. وعلى الرغم من ذلك، قامت وحدات اللواءين ١٥٥ و١٥٦ بعملية العبور، الأمر الذي باغت الاتراك مباغتة تامة. ووقعت معارك ضارية ـ بالحراب فقد الاتراك فيها كثيراً من جنودهم، ووقع ٣٠٠ منهم في أسر القوات البريطانية التي لم تفقد في هذه العملية اكثر من مائة جندي. تابعت القوات البريطانية تقدمها حتى يوم ٢٢، واستولت على ملبس وتل بولد. كما تحركت الفرقة ٥٢ بحذاء الشاطىء لمسافة ٨ كم حتى وصلت أرسوف. وقدمت البحرية البريطانية دعماً قوياً لهذه العملية. وبذا ابتعد خط الاتراك لمسافة ١٣ كم شمال يافا.

٦ ـ احتلال شرق الاردن

ما ان علم رئيس مجلس الحرب البريطاني (لويد جورج) بسقوط القدس في قبضة اللنبي حتى طلب اليه مقترحاته لتطوير الاعمال القتالية،

والقضاء على الدولة العثمانية بإخراجها من الحرب. ثم ما لبث أن أرسل (الجنرال سمطس) ليناقش اللنبي في المسألة الاستراتيجية المتعلقة بالتقدم إلى دمشق وحلب. ووصل (سمطس) إلى فلسطين في شهر شباط ـ فبراير ١٩١٨، وتناقش مع اللنبي الذي طلب دعم (الحملة المصرية) بثلاث فرق من العراق، وفرقة فرسان هندية، بالاضافة الى المدفعية الثقيلة والمزيد من الطائرات. وكانت خطة اللنبي تتلخص باحتلال الاردن لحماية جناحه الأيمن. وتدمير الخط الحديدي في عمان لعزل القوات التركية عند المدينة المنورةولدعم الثورة العربية. ثم الاستيلاء على خط طبريه ـ حيفا. وتمديد خط حديدي بالاتساع العادي ليتبع تحركاته بسرعة قدر الامكان حتى حيفا. وبعد ذلك يتقدم الرتل الرئيسي، يصحبه الخط الحديدي بحذاء الشاطىء، بطريق طيرة وصيدا وبيروت. وتحمي الجبال، وسكانها المتعاطفون مع الحلفاء الجناح الأيمن لهذه القوة. ومن الممكن تطويق جناح أي قوة تركية تتشبث بالتلال للدفاع عن دمشق، من ثغرة (طرابلس ـ حمص) كما يمكن ارسال أرتال اضافية على وادي اليرموك تجاه حوران وشمال بحيرة طبرية سائرة على أقصر طريق إلى دمشق.

كان هناك اختلاف كبير بين القيادات الاوروبية (وفي بريطانيا) بشأن اعطاء الافضلية لمسارح العمليات في مخططات سنة ١٩١٨. فكان بعضهم يطلبون دعم الجبهة الغربية (فرنسا) على حساب مسارح العمليات الاخرى. في حين كان آخرون يطالبون بتطوير الاعمال القتالية في الشرق، ولو على حساب الجبهة الغربية، وكان لكل طرف حججه وذرائعه. واستطاع (لويد جورج) اقناع مجلس الحرب الأعلى للحلفاء، والذي اجتمع في فرساي (في شهر شباط ـ فبراير ١٩١٨) بأن تطبق سياسة دفاعية على الجبهة الغربية، وتوجيه الضربة القاضية في فلسطين. واشترط الفرنسيون ألا تسحب قوات بيضاء من فرنسا لحملة فلسطين. وصدق مجلس الحرب البريطاني على الاقتراحات التي حملها الجنرال سمطس مع بعض التعديلات؛ كان أهمها ألا ترسل إلى فلسطين سوى فرقتين هنديتين من العراق.



عبور نهر العوجة ٢٠ ـ ٢١ كانون الاول ـ ديسمبر ١٩١٧.

بدأ اللنبي عملياته للاستيلاء على وادي الاردن، فدفع الفرقة ٦٠ يوم ١٩ شباط ـ فبراير ١٩١٨ بهدف احتلال أريحة وتطويق شمال الاتراك في وادي الاردن قرب النبي موسى. واستمر الصراع المرير حتى ليل ٢٠ ـ ٢١ حيث انسحب الاتراك بعد مقاومة بطولية رائعة.

وضع اللنبي مخططه للسيطرة على الطرق المؤدية إلى وادي الاردن. وقد اسندت هذه المهمة إلى الفيلقين ٢٠ و٢١، فكان على الفيلق ٢٠ وفقاً للمخطط الاستيلاء على مواقع الاتراك شمال العوجة، والاستيلاء على الأرض المرتفعة حول أبي التلول ومسلبة التي تحمي موارد مياه نهر العوجة، وتتحكم بطريق بيسان ـ أريحة، مع العمل في الوقت ذاته على التحرك على جانبي طريق نابلس حتى الخط كفرمالك ـ سنجل ـ التبة شمال وادي الجب ـ النبي صالح. أما الفيلق ٢١، فكان عليه تنسيق التعاون مع الفيلق ٢٠، وأن يدفع يمينه للامام وحتى خط: وادي دير بالوط ـ مدجل بابا ـ رأس العين..

تولى الجنرال (ليمان فون ساندرس) قيادة الجيوش التركية

بفلسطين يوم ١ آذار ـ مارس ١٩١٨ بدلاً من (فون فولكنهاين). وقد أفاد ساندرس من خبرته في رئاسة البعثة العسكرية الالمانية في تركيا طوال اكثر من ثلاث سنوات. فكان أول عمل له هو استبدال هيئة أركان الحرب الالمانية التي ساعدت فولكنهاين، بهيئة اخرى اكثرها من الاتراك. واستدعى في الحال جزءاً من الجيش السابع من شرق الاردن لدعم القوات على طريقي (بيسان ـ أريحة) و(نابلس ـ القدس).

أدى هجوم الفيلقين البريطانيين ٢٠ و٢١ الى قتال عنيف استمر أربعة أيام (من ٩ آذار ـ مارس حتى ١٢ منه). وأمكن لهما في النهاية الوصول إلى اهدافهما. وكانت مقاومة الاتراك اكبر من الوصف. غير أن الطريق للاغارة على عمان بات مفتوحاً، وكان الهدف هو مساعدة عمليات الجيش العربي الذي كان يقوده الامير فيصل (ويساعده مستشاره لورنس) والذي استطاع منذ الاستيلاء على العقبة، أن ينشر نفوذه تدريجياً للشمال. وقد انضمت اليه القبائل في شرق البحر الميت وجنوب شرقه. وكانت اساليبه التعبوية ـ التكتيكية ـ تتلخص بالاغارات المستمرة على قطارات الاتراك ومراكزهم على الخط الحديدي الحجازي. وقد مكنتهم خفة حركتهم، واستقلالهم عن المواصلات من مباغتة الاتراك باستمرار، وتوجيه الضربات اليهم، والانسحاب بسرعة قبل أن يتمكن الاتراك من توجيه ضربة مضادة. ولم يحدث أي اشتباك الا في معركة الطفيلة يوم ١٦ كانون الثاني ـ يناير ١٩١٨، حيث كانت قوة من رجال القبائل قد استولت على الطفيلة التي تبعد شرقاً عن البحر الميت بمسافة ٢٥ كيلومتراً تقريباً. وفي يوم ٢٦ كانون الثاني ـ يناير تقدمت قوة تركية مدعمة بالمدافع الجبلية والمدافع الرشاشة لاستعادة الموقع، غير أن قوات الجيش العربي تمكنت من التصدي لهذه القوة، وأبادتها ابادة شبه تامة. وفي آذار ـ مارس وجه الاتراك قوة كبيرة استعادوا بها طفيلة.

كان نشاط الامير فيصل وجيشه ذا فائدة عظيمة للحملة المصرية. فقد ضمن الجهد العربي حماية الجناح الأيمن للقوات البريطانية جنوب البحر الميت من الهجمات التركية على بئر السبع أو حبرون. وحرموا

الأتراك من الامدادات والمواد التموينية، واستنزفوا الكثير من الجنود والقوات الاحتياطية. لذا كان الجنرال اللنبي يرغب في مساعدة قوات الثورة العربية، وقائدها الأمير فيصل، بكل ما يملك من القوة. وكان يرمي من وراء تقدمه إلى سحب القوات التركية من الطفيلة. وكان يأمل إذا دمر النفق والجسر عند عمان أن يعزل القوات التركية جنوبها مدة طويلة، وبذا يتمكن فيصل من تطوير عملياته حول معان. كما كان اللنبي يريد من التحرك في الاردن ارغام الاتراك على سحب قواتهم من الخط الساحلي، مما يساعده على تركيز جهده الرئيسي للتقدم على امتداد السهل الساحلي. ولما كانت (درعا) هي عقدة المواصلات الرئيسية للاتراك، فقد اعتمد اللنبي على ايهام الاتراك بأنه ينوي مهاجمتها حتى يرغمهم على تقوية مواقعهم الدفاعية في شرق الاردن على حساب مواقعهم في غربه. وعلى هذا زج اللنبي بالفرقة ٦٠ وفرقة الانزاك ولواء الهجانة الامبراطوري بهجوم على محور مضيق شنيت نمرين ـ السلط ـ عمان. وقد نجحت هذه القوات بعبور النهر في يوم ٢٣ آذار ـ مارس ١٩١٨. وأمكن لها احتلال شنيت نمرين يوم ٢٤ بعد معارك ضارية، واستولت على السلط مساء يوم ٢٥، واقتربت من عمان حتى وصلت الى عين السر غرب عمان بمسافة عشرة كيلومترات تقريباً. غير أن القيادة التركية تحركت بسرعة، ووجهت هجوماً مضاداً استمر من ٢٧ حتى ٣٠ آذار ـ مارس. تكبدت فيه القوات البريطانية خسائر فادحة واضطرت للانسحاب في ليل ٣٠ ـ ٣١ منه. وأثناء ذلك هاجمت قوة تركية كانت قد عبرت الاردن عند جسر الدامية، مدينة السلط من الشمال، وطردت البريطانيين منها. وبلغت خسائر البريطانيين في هذه العملية ١٣٥٠ قتيلاً.

قام الألمان بهجومهم العام في فرنسا، في ذات اليوم الذي كان اللنبي قد وجه فيه هجومه ضد شرقي الاردن. واتخذ مجلس الحرب البريطاني قراره بسحب قوات من فلسطين، مما حمل اللنبي على الاعلان في يوم ٢٧ آذار ـ مارس: «بانه سيتخذ موقفاً دفاعياً في فلسطين».

حاول اللنبي تطوير مواقعه الدفاعية، فدفع الفيلق ٢١ نحو

المنحدرات السفلى للضفة الغربية غير أن القتال الذي استمر ثلاثة أيام (٩ ـ ١١ نيسان ـ ابريل) لم يسفر عن نتائج هامة. فقد أمكن الاستيلاء على مساحة بسيطة من الأرض بخسائر غير قليلة. ومقابل ذلك، قام الاتراك بهجوم عنيف على رأس الجسر عند الغرانية ونقطة المسلبة شمال العوجة (يوم ١١ نيسان ـ ابريل) لكنهم هزموا بخسائر فادحة. وانسحبوا الى شنيت نمرين، وحصنوا موقعهم القوي فيها.

حاول اللنبي اعادة الهجوم على السلط ـ وعمان ـ بالتنسيق مع عرب بني صقر الذين حشدوا قواتهم عند مأدبا، جنوب السلط بثلاثين كيلومتراً تقريباً ـ فحشد فرقة الانزاك والفرقة الاسترالية والفرقة ٦٠ ولواء الخدمة الامبراطورية وذلك في فجر يوم ٢٠ نيسان ـ ابريل. . واستطاعت القوات المهاجمة تطويق السلط بعد معارك عنيفة يومي ٢١ و٢٢ نيسان ـ ابريل. غير ان الاتراك حشدوا قوة (من الفرقة ٢٤ وفرقة الفرسان الثالثة) واقاموا جسراً خفيفاً عند مفيد جوزيل (بين جسر الدامية وأم الشرت شمال التل الاحمر) ولم تعلم به المخابرات البريطانية الا في مساء ٣٠ نيسان ـ ابريل. ثم هاجموا لواء الفرسان الرابع ـ البريطاني ـ وطردوه من درب جسر الدامية ـ السلط بعد أن كبدوه خسائر فادحة. وكادت القوات البريطانية في السلط تتعرض للتطويق والابادة. فأصدر اللنبي أمره بعد ظهر يوم ٣ أيار ـ مايو بانسحاب القوات من السلط. وخسر البريطانيون ٥٠٠ جندي من الفرسان و١٠٠٠ من المشاة في هذه العملية الفاشلة. ثم وضع اللنبي قوة من الفرسان في وادي الاردن لتهديد جناح الاتراك بصورة مستمرة. وانصرف لاعادة تنظيم قواته التي وصلته بدلاً من تلك التي تم سحبها إلى فرنسا. ومضت فترة الصيف في تدريب هذه القوات ـ التي كانت هندية في معظمها ـ مع استكمال الشؤون الادارية والاستعدادات لاستئناف عمليات فصل الخريف.

* * *

وصل الهجوم الالماني على جبهة الغرب ـ فرنسا ـ حتى أقصى مداه في منتصف شهر تموز ـ يوليو ١٩١٨. وظهر واضحاً عجز الالمان عن حسم

الصراع في هذه الجبهة، وأمام هذه الحقيقة، عاد (لويد جورج) لمخططاته السابقة التي تعتمد على ارسال فرق من الميدان الغربي لحملة الشتاء في فلسطين. وعادت بلاد الشام لاحتلال المرتبة الاولى في مخططات الحلفاء. ومقابل ذلك، تناقصت أهمية مسرح بلاد الشام من وجهة نظر الاتراك. ويظهر أن الهدوء الذي سيطر على هذا المسرح خلال فترة الصيف، وانهيار روسيا التام في سنة ١٩١٨، قد أقنع القيادة التركية ـ العثمانية بامكان استعادة ما فقدته سابقاً على جبهة القوقاز، ولتوسيع مجالها الحيوي في هذا الاقليم. فوجهت قواتها، وركزت جهدها، لاستعادة باطوم وقارص وتغليس واختراق أذربيجان تجاه باكو (باب الأبواب) وحققت القوات العثمانية انتصارات رائعة. غير أن هذه الانتصارات أثارت حفيظة حلفاء العثمانيين ـ الالمان بقدر ما أثارت اعداء العثمانيين ـ البريطانيين الذين لم يكن لديهم الا هدف واحد ـ اضعاف الدولة الاسلامية ـ العثمانية وتمزيقها، فشكلت بريطانيا قوة خاصة لمقاومة النفوذ التركي ـ الاسلامي ـ في القوقاز(*).

نظمت القوات التركية بفلسطين وقتئذ في ثلاثة جيوش، على النحو التالي:

الجيوش التركية وحدود عملها	سيف	بندقية	مدفع
ـ الجيش التركي الثامن ـ من الساحل الى فرخة	ـ	١٠٠٠٠	١٥٧
ـ الجيش التركي السابع ـ من فرخة الى وادي الاردن	ـ	٧٠٠٠	١١١
ـ الجيش التركي الرابع ـ شرق الاردن	٢٠٠٠	٦٠٠٠	٧٤
ـ الاحتياط العام	ـ	٣٠٠٠	٣٠
ـ خطوط مواصلات الحجاز	ـ	٦٠٠٠	٣٠
المجموع	٢٠٠٠	٣٢٠٠٠	٤٠٢

* **ملاحظة**: كانت التعيينات للقوات جنوب دمشق تزيد على ١٠٠ ألف. وقد أسر في العمليات ٧٥ ألفاً. والارقام في الجدول تحدد القوات المقاتلة فقط.

(*) سميت هذه الحملة باسم (قوة دنستر) نسبة لقائدها الفريق دنسترفيل. وكانت تضم ضباطاً وصف ضباط منتخبين واجبهم تأمين اتصالات وثيقة بالقوقازيين لمقاومة العثمانيين المسلمين ومقاومة =

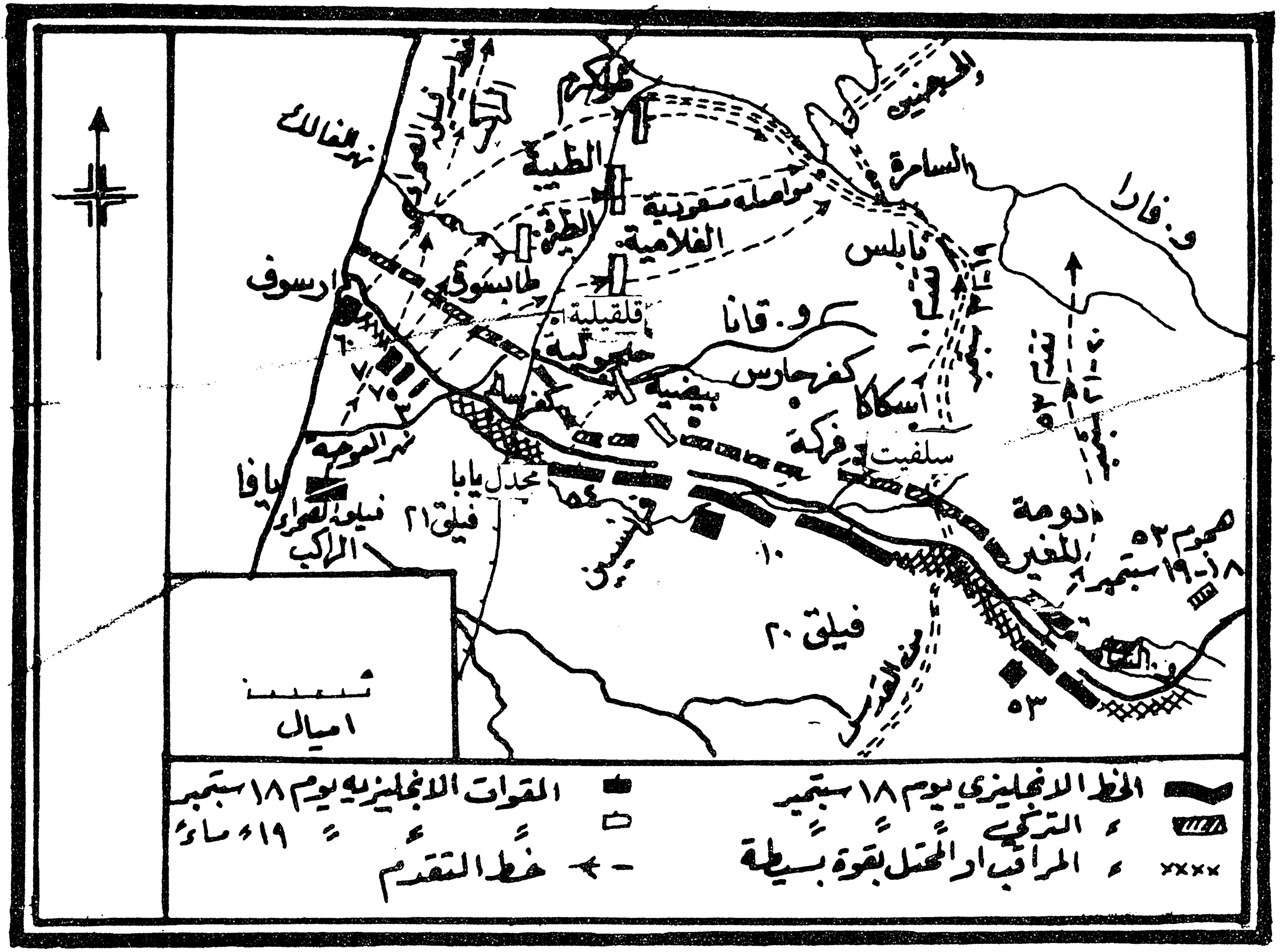
ومقابل ذلك، نظم اللنبي قواته في ثلاثة فيالق ـ ومجموعة بوادي الاردن ـ وحدد واجباتها كما يلي:

● ـ **الفيلق ٢١** ويضم الفرق ٣ و٧ الهنديتين و٥٤ و٥٧ والفصيلتين الفرنسية والايطالية ـ قوة كل واحدة لواء ـ بالاضافة الى الفرقة ٦٠ من الفيلق ٢٠ (الذي لم يبق له الا الفرقتان ١٠ و٥٣) وكانت مهمة هذا الفيلق الانطلاق فجراً بعد تمهيد مدفعي قصير وشديد، لشق طريق للفرسان بين البحر والخط الحديدي، ثم القيام بحركة استدارة على الاتجاه الشمالي ـ الشرقي، مرتكزاً على يمينه، لتدمير القوات التركية في سفوح التلال، ومتابعة التقدم على اتجاه **المسعودية ـ جنين ـ المجيد المقابلة للعفولة**. وخصص اكبر جزء من المدفعية المتوسطة والثقيلة للفيلق ٢١ ـ كما دعم باللواء الخامس من الفرسان الاسترالية الخفيفة.

● **فيلق الصحراء الراكب**: وقد ضم فرقتي الفرسان الرابعة والخامسة والفرقة الاسترالية. وكان واجبه أن يتجمع خفية قرب الشاطىء، وخلف يسار الفيلق ٢١، ليتحرك بعد ذلك شمالاً بحذاء الشاطىء، بمجرد أن تفتح له المشاة طريقاً. وعليه أن يتجاهل كل التجاهل أي قوة تركية لا تعترض طريقه مباشرة حتى يصل الى خط نهر المفجر، حيث يظن أن الاتراك قد جهزوا خطاً احتياطياً، واحتلوه بقوات قليلة. وهنا تسير الفرق للشمال الشرقي، وتعبر التل بالممرين، حتى تحتل عفولة وبيسان وجسر المجامع، لتهاجم بعدها مقر قيادة فون ساندرس عند الناصرة.

● **الفيلق ٢٠**: وواجبه أن يدفع يمينه من جبال الضفة الغربية الى الامام للسيطرة على الطرق من التلال إلى جسر المجامع، ثم عبور نهر الاردن، وأن يتقدم أيضاً على نابلس. وكان توقيت عملياته متوقفاً على نجاح الفيلق ٢١.

= الشيوعيين ـ البولشفيك ـ في وقت واحد. وغادرت هذه الحملة العراق في شباط ـ فبراير ١٩١٨. واخترقت ايران، ووصل بعضها إلى باكو في آب ـ اغسطس غير أن هذه الحملة عجزت عن تحقيق اهدافها، فاضطرت للانسحاب.



موقعة الشعرون

هجوم الفيلقين ٢٠ و ٢١ من ١٩ الى ٢١ سبتمبر ١٩١٨

● **قوة وادي الاردن**: وضمت فرقة الانزاك الراكبة وثماني كتائب مشاة (لواء الخدمة الامبراطوري وكتيبتين من الهند الغربية، وكتيبتين من اليهود) بقيادة العريف تشيتور. وواجبها المحافظة على الجناح الأيمن، واخفاء تحرك باقي القوات الراكبة. وخداع الاتراك عن طريق القيام بمناورات تظاهرية تقنع الاتراك بأن هجوماً جديداً سيوجه ضد عمان(*).

● **وفي الشرق قام الجيش العربي وقوات الثورة بقيادة الامير فيصل بدور كبير في مخطط الهجوم. فقد كان لاخلاص الامير فيصل للثورة، وعدم تطرق الوهن او الضعف الى سياسته، أن انتشرت نار الثورة حتى طرقت أبواب دمشق. وباتت الصحراء والاقاليم والمدن قبضة واحدة للوصول إلى هدف الثورة. وكان الجميع ينتظرون الاشارة للقيام بالثورة ورفع راية الدولة العربية الاسلامية. واثناء ذلك كان لورنس وجويس وآخرون من الضباط البريطانيين يضعون المخططات للتنظيم وللافادة من قوة الثورة.** وكان الجيش العربي النظامي بقيادة جعفر باشا العسكري يضم أسرى الجيوش التركية، وبلغت قوته ٨ آلاف رجل. وعندما حل سلاح الهجانة منحهم الجنرال اللنبي ألفي جمل للركوب. وبذا تمكن الأمير فيصل من تكوين رتل سريع من قوته النظامية، دعم ببعض السيارات المسلحة الانكليزية والمدافع الرشاشة الهندية والمدفعية الجزائرية. وكانت هذه نواة قوته التي التف حولها آلاف العرب من رجال الصحراء. وقد اختيرت واحة الزرقاء التي تبعد ثمانين كيلومتراً شرق عمان لتكون قاعدة للتجمع.

طلب اللنبي من العرب أن يقطعوا المواصلات التركية شمال درعا وغربها. وأن يبدأوا هجومهم قبل موعد الهجوم الحاسم بيومين حتى يربك

(*) بلغ اجمالي التعيينات للقوات البريطانية في الميدان (٣٤٠) ألفاً. وتشمل جميع القوات ـ ومنها اكثر من (٨٠) ألف مصري من العمال والمرافقين لحملة الجمال. فاذا أضيف كل العمال الذين يقوم الجيش البريطاني باطعامهم في داخل مصر وكذلك المرضى في المستشفيات، فان العدد يرتفع إلى (٤٥٠) ألفاً. وبلغ عدد الحيوانات (٦٢) ألف حصان و(٤٤) ألف بغل و(٣٦) ألف جمل و(١٢) ألف حمار تقريباً. وقد ذكر اللنبي أن قوته في الميدان كانت تضم (١٢) ألف سيف و(٥٧) ألف بندقية و٥٤٠ مدفعاً.

الخدمات التركية ويمنع وصول امداد الجيوش التركية من الشمال. ويجذب الاحتياط التركي من منطقة حيفا وعفولة والناصرة.

كانت خطة اللنبي في الحقيقة هي خطة الهجوم على غزة ـ بئر السبع ذاتها، ولكن بشكل معكوس. فهناك ضرب الجناح التركي الايسر بعد أن خدع الاتراك وأوهمهم أن هدفه هو الاختراق عند الشاطىء. أما هنا، فكان يريد الاختراق عند الشاطىء، بينما كان يدفعهم الى الاعتقاد بأن الضربة ستوجه على جناحهم الأيسر. وكانت الخطوات التي اتبعها لخداع الاتراك عن الاتجاه الحقيقي للهجوم هي العمل البارز في مرحلة الاعداد للموقعة. وفقاً لما تبرزه الاعمال التالية:

كانت خطة اللنبي تفرض نقل ثلاث فرق كاملة (فرقة الفرسان الرابعة والاسترالية الراكبة والفرقة ٦٠) بالاضافة إلى كتائب المدفعية والوحدات الاخرى. واجراء هذا النقل من وادي الاردن وتلال الضفة الغربية الى منطقة الساحل. ونفذت كافة التحركات ليلاً وفي نطاق محكم من تدابير الحيطة والأمن. وصدرت معظم الأوامر بصورة شفهية، واستخدمت احراش الزيتون والبرتقال بشمال يافا لاخفاء القوات المنقولة وتمويهها. وقد روعي أن القوات التي كانت معسكرة بهذا القطاع ـ خلف الخطوط ـ قد وضعت طوال الصيف بمعسكرات كبيرة وموزعة بحيث يمكن إضافة قوات أخرى اليها من غير زيادة في عدد الخيام أو المضارب. وبذلك أمكن مضاعفة القوة بالمنطقة من غير أن يظهر ذلك للجو، وساعد التفوق الجوي البريطاني على ابعاد كل نشاط للطيران الاستطلاعي التركي ـ لا سيما خلال الفترة التي سبقت المعركة. واتخذت تدابير كثيرة اخرى للخداع والتضليل ـ نجحت في اقناع القيادة التركية باحتمال قيام الهجوم البريطاني الرئيسي من جبهة الاردن. واستطاع اللنبي حشد قواته، ونقل مركز ثقل هذه القوات من الداخل الى الساحل. وبات هناك **٣٥** ألف جندي من المشاة و**٩** آلاف من الفرسان و**٣٨٣** مدفعاً على جبهة **٢٥** كيلومتراً تقريباً ـ أي ما يقارب ربع الجبهة بكاملها. ولم يكن للاتراك على هذه الجبهة ذاتها الا ٨ آلاف من المشاة و**١٣٠** مدفعاً. وكان له على باقي الجبهة وقدرها **٧٣**

كيلومتراً تقريباً **٢٢** ألفاً من المشاة و**٣** آلاف من الفرسان و**١٥٧** مدفعاً. يقابلهم من الاتراك **٢٤** ألفاً من المشاة و**٢٧٠** مدفعاً. وباحراز اللنبي للتفوق الحاسم على اتجاه الجهد الرئيسي، تقرر مصير الموقعة من قبل أن تبدأ.

انطلقت قوات الثورة العربية الكبرى بقيادة الامير فيصل لتنفيذ عملياتها في يوم ١٦ ايلول ـ سبتمبر ١٩١٨. وقام سلاح الطيران البريطاني بضرب خطوط المواصلات التركية. وامكن اجتذاب انتباه الاتراك الى درعا والجناح الشرقي من الجبهة. وكانت هجمات سلاح الطيران قوية، وتم تجنب قصف درعا. واستطاعت قوات الثورة العربية تدمير الخط الحديدي جنوب عمان (درعا ـ عمان) وفي يوم ١٧ منه تم تدمير الخط بين دمشق ـ درعاً وبين درعا ـ عفولة.

انتهى اللنبي من حشد قواته قبل يوم ١٨ ايلول ـ سبتمبر. **وانطلق الفيلق ٢٠ بتحركه من جبال الضفة الغربية في ليل ١٨ ـ ١٩ ايلول ـ سبتمبر. ونفذ أهدافه بنجاح**، وفقاً للمخطط الموضوع. وكان القتال ضارياً نظراً لانعدام المباغتة. وقام سلاح الطيران بضرب مراكز قيادة الجيشين التركيين السابع والثامن (بنابلس وطول كرم) كما أمكن له ضرب مراكز الاتصالات الهاتفية واللاسلكية عند عفولة.

حددت ساعة الصفر لتكون الساعة **٤٣٠** من صباح يوم **١٩** ايلول ـ سبتمبر. وأعلن عنها بقصف كثيف ومباغت من نيران المدفعية لمدة **١٥** دقيقة. وانطلق الفيلق **٢١** في هجومه الرئيسي. ورغم أن المباغتة كانت كاملة، الا أن القوات التركية قابلت ببسالتها المعهودة تقدم البريطانيين، لا سيما عند شمال (كفرقاسم) غير أن هذه المقاومة بدأت في الانهيار أمام التفوق الساحق لقوات الهجوم. فتمزق الجيش الثامن، وأخذت بقاياه في التدفق عند الظهيرة نحو طول كرم ومنها على الطريق الذي يسير بالوادي حتى محطة المسعودية. وقام سلاح الطيران البريطاني، بضرب القوات ووسائط النقل التي ازدحمت بالوادي ـ بالقنابل والرشاشات ـ وكان لذلك تأثير قاتل، فسرعان ما أصبح الطريق مغلقاً، وأمكن أسر الكثيرين من

الأتـراك. واستطاعت القـوات المهاجمـة أن تحتـل ـ قبـل الـظلام مـواقـع رأفت وبيـديه وفـلابيه والـطيبـة وطـول كـرم والـطيـرة. وقـد استمـرت القوات تقدمها في الليل. فوصلت طلائعها المتقدمة الى الناصرة في الساعة ٥٣٠ من يوم ٢٠ ايلول ـ سبتمبر. وبوغت (ليمان فون ساندرس) وافراد هيئة أركانه، غير انهم استطاعوا النجـاة بأنفسهم حيث كـان الطريق إلى طبرية لا يزال مفتوحاً. وفي الوقت ذاته، أفاق الاتراك بسرعـة من ذهول المباغتة، فدار قتال عنيف في شوارع الناصرة، اضطرت القوة البريـطانية المتقدمة للانسحاب بعد أن كبدتها خسائر فادحة. وأخذت هذه القوة معها أهم الوثائق الموجودة في مقر القيادة، كما اصطحبت معها ١٢٥٠ أسيراً من الجنود الاتراك.

وصلت القوات البريطانية الى (عفولة) في الساعة ٨٠٠ من صبـاح يوم ٢٠ فوجدت هناك الكثير من العربات وثلاث طائرات جاهزة وكميات كبيرة من المواد الطبية، والمواد التموينية. وظهر أن الاتراك كانـوا يجهلون المـوقف تمامـاً إلى درجة أن احـدى طائـراتهم هبـطت في المـطار صبـاحـاً وأسرت. وتركت قوة بريـطانية كـافية للدفـاع عن عفولـة ومضت الكتلة الرئيسية (من الفرقة الرابعة) فوصلت بيسان في الساعة ١٦٣٠، وأسرت الحامية المدافعة عنهـا، والتي لم تبد الا مقـاومة ضعيفـة. وأرسلت قوة في الليـل فاستـولت على جسـر الخط الحديـدي على نهر الاردن عنـد جسـر المجامع.

كـان الموقف العـام في مساء يـوم ٢٠ ايلول ـ سبتمبر كـالآتي: تم القضاء على الاتـراك في السهل السـاحلي. وكـانت الفرسـان البريـطانية مستقرة راسخة الاقـدام على خـطوط تقهقرهم الـرئيسية ولكن المؤخـرة التركية استمرت في مقاومتها للمشاة البريطانيـة بعنف في التلال الـوعرة لجبال الضفة الغـربية. وكـانت الأوامر ليـوم ٢١ تقضي بمتابعـة التقدم. وطلب من الفيلق ٢٠ أن يبذل مجهوداً خـاصاً حتى يصـل الى المرتفعـات شمال نابلس وشمال شرقها لاقفال طريق انسحاب الاتراك عبر الاردن بطريق وادي فارا المار بجسر الدامية.

وقعت يوم ٢١ ايلول ـ سبتمبر معارك ضارية على جبهة الفيلقين ٢٠ و٢١. وبدأت مؤخرة الاتـراك في الانحلال مبكـراً في الصباح. واحتلت القوات البريطانية مدينة نابلس. وما ان انحدرت الشمس للمغيب (يوم ٢١ ايلول ـ سبتمبر) حتى انتهت كل مقاومة جدية لقوات الجيشين التركيين السابع والثامن. وتم احتلال الناصرة. وأصبـح معظم الجيش الثـامن في الأسر. أما الرتل الطويل من القوات التي انسحبت على طريق دوتان ـ الى جنين، فقد أمكن اسرها بسهولة. في حين تعرضت القوات المنسحبة عبر وادي فارا الى بيسان والأردن لمطاردة الطيـران البريـطاني الذي استمـرت طائراته في اغارات متواصلة طوال أربـع ساعـات. وسرعـان ما تعـطلت الحركة، وتفرق الناجون مذعورين في التلال. وفي اليوم التالي وجـد ٩٠ مدفعاً و٥٠ عربة نقل كبيرة وألف عربة أخرى متروكة في المضيق. وتفرق الناجون، فاقدين كل روحهم المعنوية، في التلال والأودية بين وادي فارا وبيسان. ونجا بعضهم عبر الأردن، ولكن معظمهم أسر في الأيام التالية.

تجنبت القوات البريطانية في بـداية الأمـر الاصطدام بمـدينتي حيفا وعكا. ثم ما لبث أن تجمعت القوة المكلفة بالهجوم على مواقع الاتراك في المـدينتين، وكـان تجمعها في النـاصرة في منتصف ليـل ٢١ ـ ٢٢ ايلول ـ سبتمبـر. وإذ ذاك وردت معلومـات عن انسحـــاب القـوات التـركيـة، فتـوجهت قوة استـطلاع بعـد ظهـر يـوم ٢٢ ايلول، واصـطدمت لـدى الاقتراب من عكا بنيران قوية أرغمتها على الانسحاب. فتحركت الفرقة الخامسة بكاملها في يوم ٢٣ ايلول ـ سبتمبر وأمكن لها الاستيلاء على عكا وحاميتها البالغة ٢٠٠ تركي ومدفعين ـ بعد مقاومة قليلة. أما احتلال حيفا فقد تطلب تنظيم هجوم قـوي ضد القـوات المتمركـزة عند سفـوح جبل الكرمل. وقد تميز هذا الهجوم بتنظيمه الدقيق وتنفيذه الجيد ـ عبر الممرات الصعبة ـ وانتهى بأسر ٦٠٠ جندي تركي والاستيلاء على ١٦ مدفعاً.

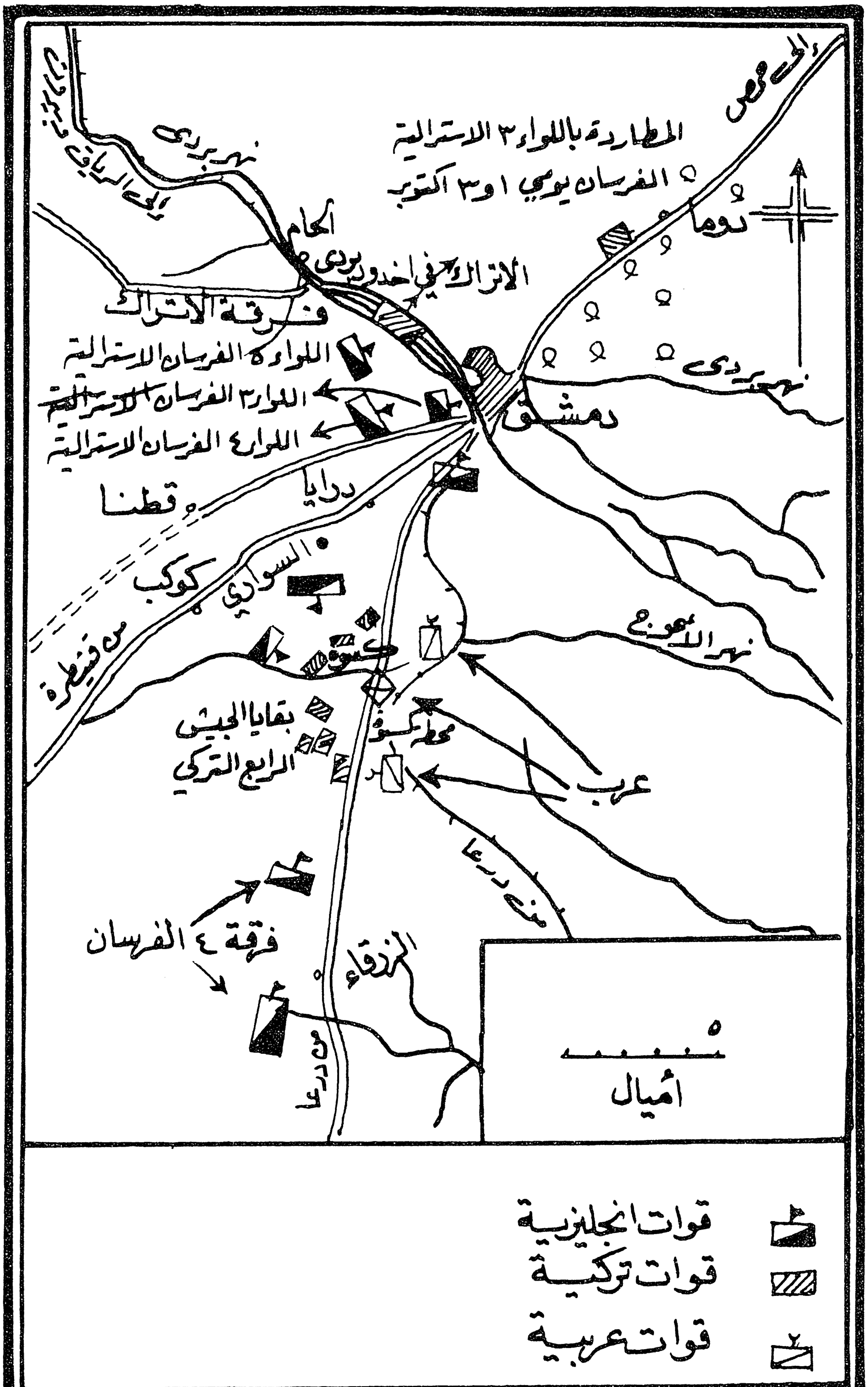
انصرفت القوات البريطانية في الأيام التالية ٢٢ و٢٣ و٢٤ الى جمع الاسرى والغنائم في عفولة وجنين وبيسان. وإذ أدرك اللنبي أنه قد فرغ من القضـاء على الجيشـين السابـع والثـامن، فقـد أخـذ في دفـع مسيـرة

العمليات نحو التسارع وهدفه القضاء على الجيش الباقي (وهو الجيش الرابع).

لم يتحرك الجيش الرابع - في الاردن - خلال الايام الثلاثة من الموقعة. ولم يصله نبأ الهزيمة المدمرة التي حلت بالجيشين السابع والثامن الا في وقت متأخر، فأخذ في الانسحاب يوم ٢٢ ايلول - سبتمبر. وكان يأمل في أن يبقى بعمان انتظاراً لانضمام الفيلق الثاني له - وكان منسحباً من معان ومن نقطة اخرى على الخط الحديدي الحجازي - ولهذا فقد بقي في الواقع اكثر من اللازم، واكثر مما تتطلبه سلامة جيشه. وكانت قوات الثورة العربية تقف بينه وبين درعا. كما كان الخط الحديدي مقطوعاً، والبلاد كلها تغلي كالمرجل غضباً على الاتراك الذين باتوا يخشون القوات العربية اكثر من خوفهم من البريطانيين - فانطلقوا يستسلمون للبريطانيين - على نحو ما فعلته حامية عمان التي بلغ عدد افرادها ٤ آلاف جندي، وبحيث بلغ عدد افراد الاتراك الذين استسلموا للبريطانيين في شرق الاردن (١١) ألف جندي تقريباً ومعهم ٥٧ مدفعاً.

٧ - التقدم الى دمشق

ما إن أدرك (ليمان فون ساندرس) مدى الكارثة التي حلت بالجيوش التركية في جنوب بلاد الشام حتى أصدر أوامره باحتلال خط دفاعي جنوب وادي اليرموك، من درعا إلى سمخ ومنها لغرب الجليل ماراً بطبرية إلى بحيرة الحولة. وأمر الجيش الرابع أن يحتل مواقعه بين درعا واربد، والجيش السابع من اربد إلى سمخ، وباقي الجيش الثامن ومعه حامية حيفا بين سمخ وبحيرة الحولة. وكان تصميم القائد العام للقوات التركية هو أن يجمع قواته ويعيد تنظيمها على هذا الموقع حتى يتوافر له وقت كاف لتنظيم الدفاع عن دمشق. غير أنه كان من المحال تنفيذ هذا المخطط، لأن سرعة تقدم القوات البريطانية، وانحلال الجيوش التركية، كان اكثر بعداً وأشد خطراً مما تصوره (ساندرس). وفي الحقيقة، فان أوامره لم تصل أبداً الى الجيشين السابع والثامن. ولكنه أصدر عند مروره



الاستيلاء على دمشق

الموقف التقريبي مساء يوم ٣٠ ايلول (سبتمبر) ١٩١٨

بسمخ، في طريقه إلى دمشق تعليمات صريحة بالدفاع عن ذلك الموقع الذي اعتبره حلقة بين القطاعين الأساسيين للخط الذي سيجمع قواته عنده. وترك عدداً من قطع المدفعية والرشاشات التي كان سدنتها من الألمان لضمان عنف المقاومة. وعهد إلى ضابط الماني بقيادة الحامية المكلفة بالدفاع عن الموقع.

أصدر اللنبي أمره إلى اللواء الرابع من الفرسان الاسترالية الخفيفة بالهجوم على سمخ، وعلى الرغم من أن هذا اللواء لم يكن مكتمل القوة، فقد سار نحو هدفه ليلاً، واقترب من مواقع الاتراك، مستفيداً من ضوء القمر. وذلك في ليل ٢٥ ـ سبتمبر ١٩١٨. واصطدمت قوة الهجوم بنيران المدافع الرشاشة، فشكلت خطاً على الفور، واقتحمت في الظلام موقعاً تجهله، وأمكن لها الوصول إلى قرية سمخ ومباني المحطة بخسائر كبيرة، وخاصة في الخيول، وهناك ترجلت. وتبع ذلك قتال عنيف عن قرب. ووصل الاستراليون بعد الفجر بقليل الى مواقع الاتراك والألمان، وأخرجوهم منها بقتال الالتحام ـ الحراب ـ وخسر الاستراليون ١٧ قتيلاً من الضباط والجنود و٦١ جريحاً ونحواً من ١٠٠ حصان. وخسر الاتراك والالمان ١٠٠ قتيل، و٢٥٠ أسيراً منهم ١٥٠ ألمانياً.

توجهت بعد ذلك كتيبة استرالية الى طبرية، فوصلتها في وقت واحد مع كتيبة اخرى من اللواء الثالث من الفرسان الاسترالية الخفيفة التي كانت في الناصرة، ومعها سرية عربات مدرعة. واستسلمت حامية طبرية بعد مقاومة قليلة.

أصدر اللنبي أوامره صباح يوم ٢٦ ايلول ـ سبتمبر بالتقدم الى دمشق. وفي مساء اليوم ذاته كلف فيلق الصحراء الراكب بتنفيذ المهمة. فكان على فرقة الفرسان الرابعة أن تتقدم من اربد إلى درعا. أما اذا عجزت عن تجاوز الجيش التركي الرابع هناك فان عليها أن تسير على طريق الحجاج القديم، والخط الحديدي الحجازي حتى دمشق. وكان على الفرقة الاسترالية الموجودة حول طبرية، تتبعها فرقة الفرسان الخامسة أن تسير الى دمشق بأقصر طريق، حول الطرف الشمالي لبحيرة طبرية ـ مارة



فيلق الهجانة العربي ـ في الطريق الى دمشق ليسبق القوات البريطانية في دخولها.



جنود عرب نظاميون من فيلق الهجانة العربي الحجازي (دمشق ـ ١٩١٨)

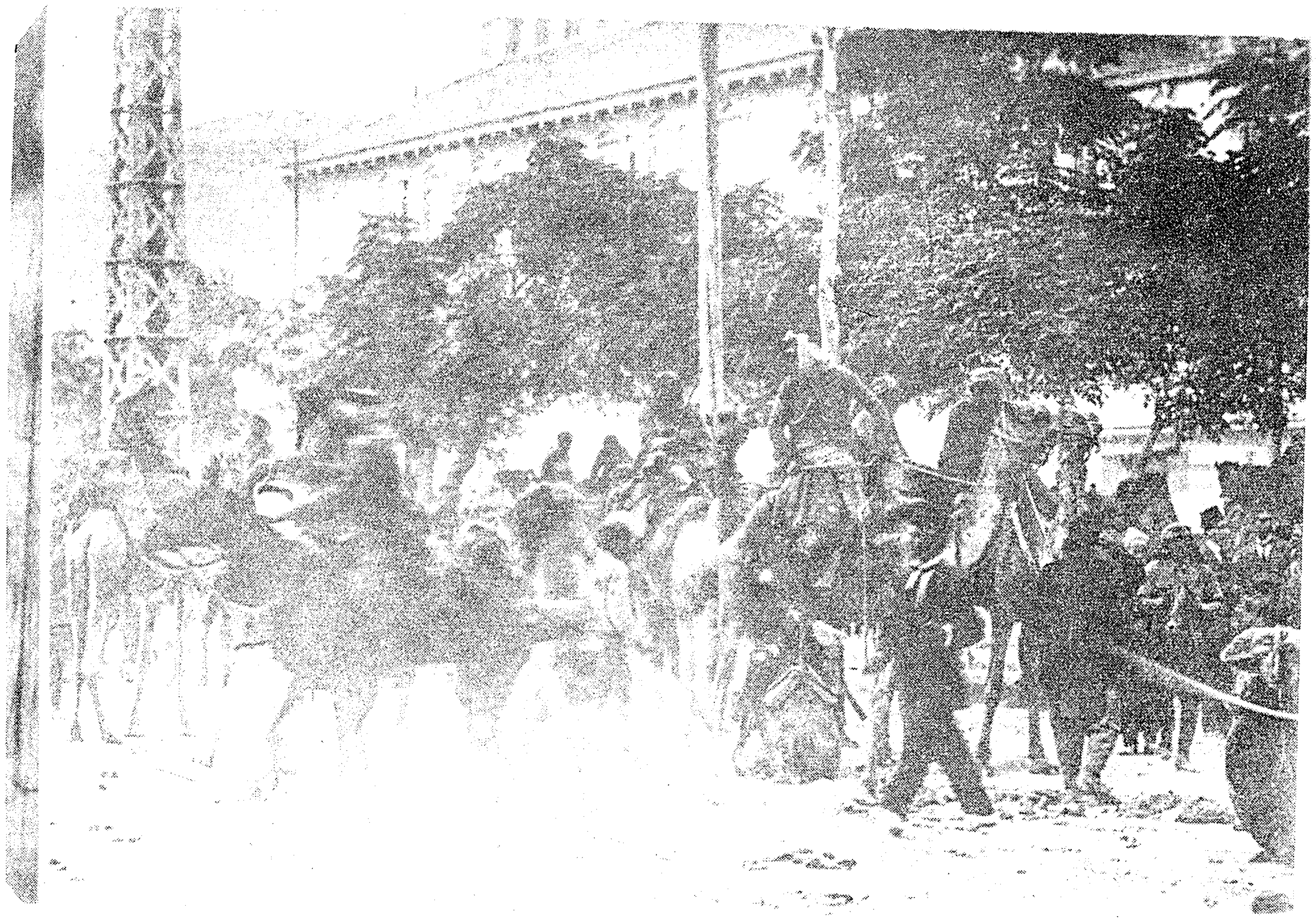
بمدينة القنيطرة. (وهو طريق القوافل القديم من مصر إلى بلاد الشام).

كان على الفرق أن تتحرك بأقل ما يمكن من الأثقال، حتى تسير بأقصى سرعة ممكنة، معتمدة في تموينها على الموارد المحلية. ولهذا فقد تركت الفرق وراءها جميع العربات ووسائط النقل، عدا نقالات الجرحى وعربات الذخيرة. وكانت المسافة بين الفرقة الرابعة ودمشق **٢٢٥** كيلومتراً تقريباً ـ ولذلك تحركت قبل غيرها بيوم واحد ـ وبين الفرق الاخرى ودمشق **١٤٥** كيلومتراً. وقد وصل هذان الرتلان البعيدان عن بعضهما بعضاً إلى دمشق بفاصل زمني لا يزيد على ساعة واحدة، وفي الوقت المحدد.

تحركت الفرقة الرابعة من قرب بيسان يوم **٢٦** ايلول ـ سبتمبر **١٩١٨** وقاتل لواؤ ها المتقدم حرس جناح الجيش الرابع قرب إربد في فترة بعد ظهر اليوم ذاته. وكانت الأرض حول إربد صعبة والاتراك بمواقع قوية. وقد حاولت القوات البريطانية أن تستولي على مواقع الاتراك بالهجوم وهي راكبة، الا أن الأرض والظروف حالتا دون نجاحها، أضف إلى ذلك بأن جنود الاتراك ـ رغم تقهقرهم لم يكونوا ليقبلوا مغادرة



القوات البريطانية في ساحة الشهداء في دمشق يوم ١ تشرين الاول ـ اكتوبر ١٩١٨ .



جنود فيلق الهجانة الحجازي في دمشق (قرب السراي)



الشعب يستقبل الجيش العربي في دمشق بالاحتفالات والاهازيج والمهرجانات

مواقعهم الحصينة بمثل هذه البساطة. وفشل الاقتحام بخسائر كبيرة. وعند حلول الظلام انسحب الاتراك من مواقعهم في اربد تحت جنح الظلام. وثبتوا يوم ٢٧ عند الرمثا، غير انهم اضطروا للانسحاب بعد اشتباكات دامية وقتال عنيف. **وأمضت الفرقة الرابعة ليلتها عند الرمثا، ووصلت درعا مبكراً في صباح اليوم التالي - ٢٨ - فوجدت أن قوات الثورة العربية بقيادة الأمير فيصل قد احتلتها. وكانت قوات الجيش العربي قد استمرت في الضغط على جناح الجيش التركي الرابع منذ بدأ انسحابه من عمان. وتمكن من قتل وأسر الكثيرين من الاتراك وبعض الألمان. ونجحت كتلة القوات العربية الرئيسية في يوم ٢٧ في عزل الجيش الرابع عن دمشق - عند الشيخ سعد، وأسرت الكثيرين. وفي اليوم ذاته، اقدمت قوة تركية - المانية أثناء انسحابها على ذبح سكان قرية شمال مزيريب. فأقدم جنود الجيش العربي الذين كانوا قريبين من مكان الحادث على توقيع العقاب الصارم فوراً. فلم ينج من ذلك الرتل أي جندي اشترك في الجريمة.**

قامت فرقة الفرسان الرابعة عندئذ بمطاردة مباشرة نحو دمشق، وظل العرب على الجناح الأيمن لأي قوة تركية موجودة بين درعا ودمشق.

استمرت القوات البريطانية في تقدمها على المحور الشمالي، رغم المقاومات. وقد بدأت الفرقة الاسترالية الراكبة سيرها نحو دمشق في وقت مبكر من يوم ٢٧ ايلول - سبتمبر ١٩١٨. فوصلت قواتها المتقدمة محل عبور الاردن عند جسر بنات يعقوب نحو الظهر، ووجدت بأن الأتراك قد دمروا الجسر الحجري، ووضعوا مؤخرة قوية تدعمها المدفعية والرشاشات على الطرف المقابل. وكانت نيران المؤخرة تكتسح محاور الاقتراب المكشوفة والموصلة للجسر والمخاضة جنوبه. وكان الموقع الحصين طبيعياً يساعد أي قوة بسيطة أن تعطل جدياً تقدم أي قوة اكبر منها. فتم تكليف لواء جزائري (الصباحية) من القوة الفرنسية بالالتفاف جنوباً حول الجسر، بينما يبحث اللواء الخامس عن مخاضة. وعند حلول الظلام تمكنت قوة من لواء الفرسان الاسترالي العبور شمالاً بين بحيرة الحولة وجسر بنات يعقوب. ووجدت المؤخرة التركية الالمانية أنها معرضة للهجوم من

جانبين، فانسحبت بسرعة عند حلول الظلام. وقد تسبب هذا التأخير في تعطيل التقدم، كما أن اصلاح الجسر تأخر حتى ظهر يوم ٢٨، ولهذا لم تصل القوات إلى القنيطرة الا في ليل هذا اليوم. وقد استأنفت هذه القوات تحركها بعد ظهر يوم ٢٩ ايلول - سبتمبر وفي تصميمها أن تسير طوال الليل لتصبح قريبة من دمشق في صباح اليوم التالي - حتى تسبق القوات العربية لدخول المدينة التاريخية. ولكن ظهر قبيل الظلام أن القوات التركية قد احتلت موقعاً قوياً عند سعسع. وبعد معركة قصيرة وحاسمة اضطر الاتراك للانسحاب مخلفين وراءهم ٣ مدافع و١٠٠ أسير.

● **كان الموقف صباح يوم ٣٠ ايلول - سبتمبر ١٩١٨ وهو آخر أيام الحكم التركي في دمشق كالآتي:**

سبقت بقايا الجيش التركي الرابع (على طريق درب الحج الى مكة المكرمة) قوات البريطانيين التي كان بينها وبين دمشق مسافة ٤٨ كيلومتراً تقريباً. وكانت بقايا الجيش التركي تتحرك في تنظيم قوتين أساسيتين: القوة الاولى تضم بقايا فرقة الفرسان التركية ومعها قليل من المشاة وهي تقترب من الكسوة جنوب دمشق بمسافة ١٦ كيلومتراً تقريباً. أما القوة الثانية، وهي الاكبر، فكانت تتحرك وراء الاولى ببضعة كيلومترات. وكانت القوات العربية قريبة من مؤخرتها وأجنابها. واتخذت المؤخرة التركية موقعاً لها على طريق القنيطرة لتجابه للمرة الاخيرة تقدم الاستراليين. وكان هذا الموقع بين كوكب وقطنا التي تبعد عن دمشق ١٦ كيلومتراً وعن الكسوة ٨ كيلومترات وفي غربها.

بقي بالقدس آلاف الاتراك من الذين نجوا من معارك فلسطين، أو من الذين لم يشتركوا في القتال وقد تم ارسالهم من حلب ودمشق بسرعة لانقاذ المدينة المقدسة. وكان هؤلاء جياعاً متعبين. إلا أنه كان لا بد لهم من الانسحاب على أحد طريقين: (القدس - دمشق - حمص) أو (الدرب السلطاني) والثاني: (بيروت - رياق - دمشق) مخترقاً اخدود نهر بردى الذي كان يخترقه أيضاً الخط الحديدي، حيث يسير الطريق والخط الحديدي بين جرفين مرتفعين في مضيق يقل عرضه احياناً عن مائة متر. وكان طريقا

حمص وبيروت طوال يوم ٣٠، مزدحمين بأرتال القوات التركية المنسحبة. أما في مدينة دمشق ذاتها، فكانت الاعلام العربية - أعلام الثورة - قد ارتفعت عالياً. وتولت هيئة من أشراف العرب ادارة الحكم فيها.

● **كانت أوضاع الفرسان البريطانيين صباح يوم ٣٠ ايلول - سبتمبر كالآتي:**

الفرقة الاسترالية، وواجبها ازالة أي مقاومة على طريق القنيطرة، والمرور من غرب دمشق للامساك بطريق بيروت - حمص. وكان على الفرقة الخامسة السير على أقصر طريق، على محور درعا، لحجز بقايا الجيش الرابع التركي قرب الكسوة. وكان على الفرقة الرابعة الاستمرار في تقدمها نحو دمشق والتعاون مع الفرقة الخامسة للقضاء على بقايا الاتراك جنوب دمشق.

تمكنت فرقة الفرسان الخامسة ومعها اللواء المتقدم من الفرقة الرابعة من تمزيق رتلي الجيش التركي الرابع، وأسر معظم قوتهما. ولم يصل في ذلك من الجنوب إلى دمشق الا قوة نظامية واحدة (وهي كتيبة ألمانية ومعها بعض جماعات الشاردين) وحدثت اشتباكات دموية كثيرة غير أنها كانت ذات طابع فردي. وعند حلول الظلام، كانت فرقة الفرسان الخامسة قد وصلت الى شمال الكسوة مباشرة، في حين كانت الفرقة الرابعة جنوبها ببضعة كيلومترات.

تغلبت الفرقة الاسترالية على مقاومة المؤخرة التركية عند كوكب قبل ظهر يوم ٣٠ ايلول - سبتمبر. وقد اضطرب الاتراك من نيران كتيبتي مدفعية، وأزعجتهم حركة الالتفاف في الشمال. وبمجرد أن وقع نظرهم على كتيبتين من الفرسان الاسترالية الخفيفة تبدآن هجومهما الراكب، حتى بادروا بالانسحاب. وسار عندئذ اللواء الخامس من الفرسان الاسترالية الخفيفة على طريق بيروت يتبعه اللواء الثالث من الفرسان الاسترالية الخفيفة. وكانت الأوامر الصادرة اليهما تقضي بالاستدارة شمالاً والوصول الى جانبي طريق حمص. **ووصلت كتائب اللواءين الثالث والخامس الى**

جرف وادي بردى - فوق طريق بيروت - (عند الربوة) وأشرفت على جموع الاتراك المنسحبين والتي كانت تزدحم بالمضيق. وهنا فتح الاستراليون نيران مدافعهم الرشاشة على رأس الرتل. وتلت ذلك مذبحة رهيبة تفجر فيها كل الحقد ضد المسلمين الاتراك، وأدركت مؤخرة الرتل أنه بات من المحال عليها متابعة التقدم، فرجعت الى دمشق.

دخل لواء الفرسان الاسترالية الخفيفة الثالث مدينة دمشق في فجر اليوم الاول من تشرين الأول - اكتوبر ١٩١٨، فكان أول قوات بريطانية دخلتها. وبعد ذلك بقليل وصل لورانس - الجاسوس البريطاني الشهير - في معية الأمير فيصل. ودخلت وراءه الكتائب المتقدمة من فرقة الفرسان الخامسة. وأسرع لواء الفرسان الاسترالية الخفيفة بالتحرك على طريق حمص لمطاردة فلول القوات التركية. ووقعت اشتباكات مع المؤخرة التركية. وأسر ٧٥٠ جندياً ومعهم بعض المدافع الرشاشة. وفي اليوم التالي لحق برتل تركي آخر، وأسر ١٥٠٠ جندي و٣ مدافع و١٦ مدفعاً رشاشاً. وكان هذا آخر اشتباك قرب دمشق.

جمعت باقي الفرقة الاسترالية بدمشق ١٢ ألف تركي، وكلهم مريض أو مستنزف أو منهار معنوياً. وبأسر هؤلاء بلغ عدد الأسرى بدمشق عشرين ألفاً. وكان تأمين الاطعام والعلاج لهذا العدد الكبير في مثل تلك الظروف مسألة صعبة ومعقدة. لا سيما بعد أن دمرت الوحدات الطبية التركية تدميراً تاماً. فكانت المستشفيات في حالة مفجعة، حيث غصت بالموتى والمشرفين على الهلاك من الاتراك الذين جاهدوا للوصول إلى دمشق وعجزوا عن السير بعدها.

استقبلت دمشق بحفاوة بالغة دخول الامير فيصل وقد استبشرت بقيام دولة عربية اسلامية واحدة. ولكن لورانس الذي أذهلته هذه التظاهرة العفوية الرائعة وقف يفكر بأمر آخر. أما اللنبي، فكان يعمل - بطريقته - للانتقاص من قدر الجهد العربي. وبقي لويد جورج يتحين الفرصة من مكتبه في لندن، لنقض المواثيق والعهود التي تم ابرامها

مع الشريف حسين.

٨ ـ نهاية الحرب في حلب الشهباء

لم ينج من كافة الجيوش التركية بفلسطين وسوريا، والتي بلغ تعداد تعييناتها في ١٩ ايلول ـ سبتمبر ١٩١٨ اكثر من ١٠٠ ألف، سوى ١٧ ألفاً، قدر عدد البنادق الفعالة بها بما لا يزيد على ٤ آلاف. وكانت القوة التركية في شمال دمشق مجرد جموع محرومة من المدفعية والتنظيم ووسائط النقل. فكانت لا تشكل عقبة حقيقية على طريق التقدم نحو حلب وباقي بلاد الشام، وتنفيذ ما طلبه (لويد جورج) عقب سقوط دمشق مباشرة ـ وكانت الصعوبة الوحيدة للتقدم هي تأمين الامداد والتموين لجيش تبعد قاعدته عن دمشق ٢٤٠ كيلومتراً. كما تبعد حلب عن دمشق مسافة ٣٢٥ كيلومتراً. وقرر اللنبي تنفيذ المرحلة الاولى بالتقدم للسيطرة على خط رياق ـ بيروت. لأن احتلال ميناء بيروت يقصر من خط الامداد والتموين بالخط الحديدي إلى دمشق. وكان على الفرسان احتلال رياق بينما تسير فرقة مشاة بحذاء الشاطىء الى بيروت. وكانت الفرقة السابعة قد سارت إلى حيفا ووصلتها يوم ١ تشرين الأول ـ اكتوبر ثم غادرتها يوم ٣ منه سائرة على مدرجات طيرة (حيث حفر طريق في ذلك الرأس الشهير) ومرت بطيرة وصيدا إلى بيروت، فوصلتها يوم ٨ تشرين الأول ـ اكتوبر. وكانت قد سبقتها إلى هناك قطع بحرية فرنسية وسيارات مدرعة إلى رياق وزحلة. وكانت الفرقة الاسترالية قد تركت بدمشق لتذكير العرب بقوات الاحتلال الاجنبي ولتأكيد واقع الاحتلال. وعلى هذا، بات بالمستطاع تنفيذ المرحلة التالية وهي الوصول إلى خط حمص ـ طرابلس واللتين كانتا متصلتين بطريق جيد.

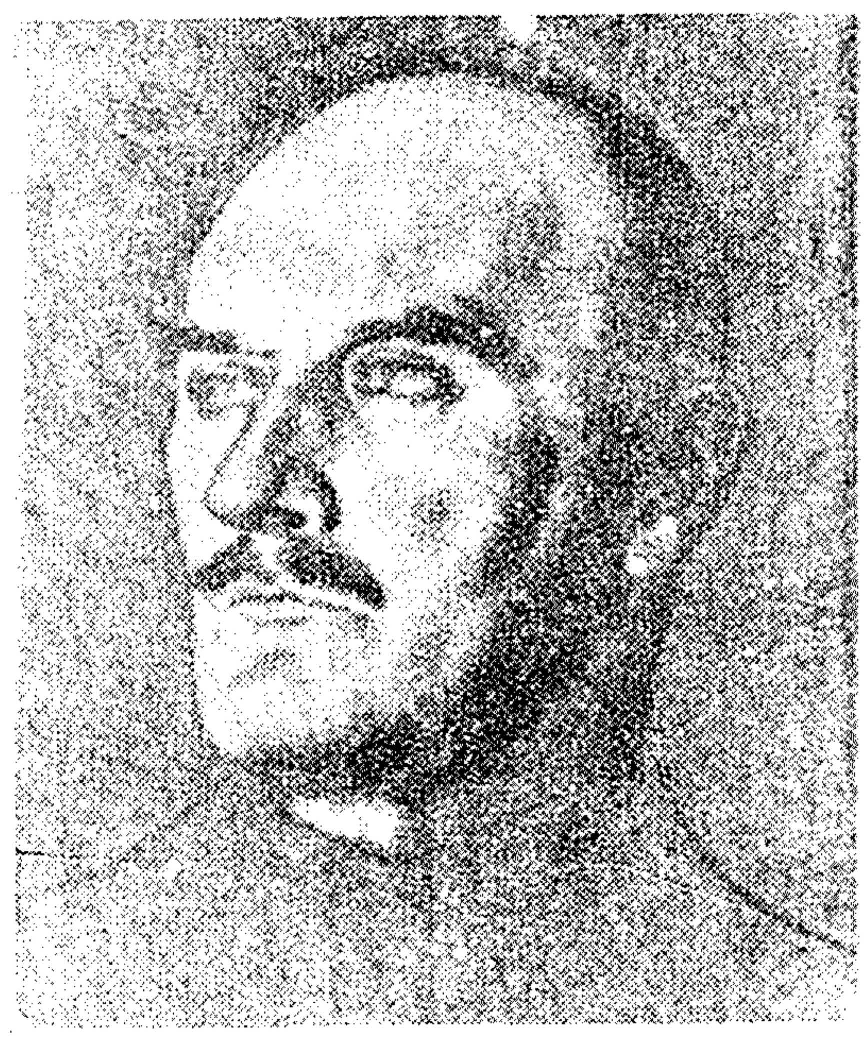
تقدمت فرقة الفرسان الخامسة من رياق الى حلب، ودعمتها في تقدمها قوة عربية بقيادة الشريف ناصر. ونظم القائد الفرنسي ـ الجنرال ماك آندرو ـ قوته في رتلين انطلق بهما من بعلبك بفاصل مسيرة يوم واحد. وعندما وصلت هذه القوة إلى حمص يوم ١٦ تشرين الاول ـ اكتوبر وجدت أن القوات العربية بقيادة الشريف ناصر قد سبقتها اليها، عن طريق السير

على طريق قصير من دمشق. وفي هذا اليوم ذاته دخل فرسان الفيلق ٢١ مدينة طرابلس وبذلك أصبح خط تموين القوات البريطانية مضموناً ومأموناً.

أصدر اللنبي عندها أمره بالتقدم إلى حلب التي تبعد مسافة ١٩٥ كيلومتراً عن حمص. وأثناء ذلك، كانت القوة الفرنسية المكلفة بالتحرك الى حلب ـ بقيادة آندرو ـ قد نقصت بسبب انتشار المرض، فلم تعد هذه القوة تزيد على ١٥٠٠ سيف. وكان بها أيضاً كتيبتي فرسان وثلاث كتائب سيارات مدرعة وثلاث مفارز سيارات خفيفة وسرب من سلاح الطيران. أما قوات الاتراك عند حلب وحولها، فالمعروف أنها كانت تبلغ ٢٠ ألفاً. ولو أن المعتقد أن عدد المحاربين لم يكن يتجاوز نصف هذا العدد.

تم اصلاح الجسر القائم على نهر العاصي، عند الرستن، يوم ٢٠ تشرين الاول ـ اكتوبر ١٩١٨ ووصل رتل من هذه القوات الى شمال حماه بمسافة ٨ كيلومترات في يوم ٢١ منه. وفي اليوم التالي اصطدمت القوات المتقدمة بمؤخرة القوات التركية عند خان سبيل، في منتصف المسافة إلى حلب. وحدثت مطاردة واشتباكات لمسافة ٢٥ كيلومتراً تقريباً.

ووصلت قوة ماك اندرو يوم ٢٣ تشرين الاول ـ اكتوبر بعد كيلومترات قليلة. ووجه (اندرو) دعوته لحامية المدينة بالاستسلام غير أن دعوته رفضت. فأخذ في وضع خطته لاقتحام المدينة بالقوة، غير أن قوات الثورة العربية دخلت حلب مساء يوم ٢٥ وسط ترحيب جماهير الشعب ووقعت اشتباكات تكبد فيها الاتراك خسائر فادحة. وأرغموا الحامية التركية على الانسحاب. ودخل الجنرال ماك اندرو المدينة بسياراته المدرعة في الساعة ١٠٠٠ من يوم ٢٦ تشرين الاول. وفي هذا الوقت ذاته كان رتل قوي من الاتراك ينسحب شمالاً على طريق حلب ـ اسكندرون. وحاولت القوة الفرنسية اعاقة تحرك الرتل التركي غير أنها باءت بالفشل. وبينما كانت قوة تتحرك من دمشق لاحتلال اسكندرونة وبعض المواقع الاخرى في شمال حلب، عقدت الهدنة بين الحلفاء وتركيا يوم ٣١ تشرين الاول ـ اكتوبر ١٩١٨. وانتهت الحرب بعد ثلاث سنوات كاملة من الصراع المرير.



الجنرال اللنبي
صورة من رسم الفنان اريك هنري كينينغتون
(الموسوعة البريطانية)

أسرت قوة الحملة المصرية ما بين ١٩ ايلول ـ سبتمبر و٢٦ تشرين الاول ـ اكتوبر ١٩١٨ ٧٥ ألف أسير منهم ٢٠٠ ضابط و٣٥٠٠ صف ضابط وجندي من الالمان والنمساويين. وغنمت ٣٦٠ مدفعاً. وبلغت خسائر البريطانيين في المعارك خلال هذه الفترة ذاتها اكثر من ٥٦٦٦ جندياً. وتقدمت الجبهة اكثر من ٥٧٠ كيلومتراً. وقطعت فرقة الفرسان الخامسة اكثر من ٨٠٠ كم في مدة ٣٨ يوماً، ولم تخسر الا ٢١ بالمائة من خيولها.

* * *

كان لا بد من مكافأة اللنبي على ما حققه من انجازات وما أحرزه من انتصارات،فلم تمض سوى أشهر قليلة على توقيع الهدنة حتى تم تعيينه حاكماً عاماً على مصر مع احتفاظه ـ لفترة معينة ـ بالقيادة السياسية وادارة الاقاليم التي تم انتزاعها من الاتراك العثمانيين. وكان ايجاد الحلول للمشكلات الشديدة التعقيد في فلسطين وشرق الاردن وسوريا اكبر من قدرة رجل، تنقصه الخبرة في المؤامرات الاستعمارية الدولية. بل إن هذه المشكلات بقيت اكبر من قدرة الرجال الذين توافرت لهم مثل هذه الخبرة

من عملاء الاستعمار وأساطينه ودهاقنته. وعلى كل حال، فانه لم تمض سوى فترة قصيرة على استقرار اللنبي في مصر حتى اكتشف الحقائق القاسية التي كانت تبرزها الحركة الوطنية في مصر والمطالبة بالاستقلال. وأخذ في التفكير بمخرج يضمن لبريطانيا مصالحها وللحركة الوطنية اهدافها وهداه تفكيره إلى حلين: الاول اعطاء مصر استقلالها مع احتفاظ بريطانيا بحاميات لها وقواعد عسكرية لحماية قناة السويس. والثاني هو قيام (بريطانيا العظمى) باحتلال مصر احتلالاً عسكرياً، وادارتها ادارة استعمارية. وكان اللنبي من أنصار الحل الاول. وقد أثرت طريقته الواضحة والصريحة في رجال الساسة المصريين الذين كان يتعاون معهم ويستشيرهم ويعتمد آراءهم. وكان لزاماً أن يصدم اللنبي ومستشاريه المصريين رجال الاستعمار في بريطانيا والذين كانوا يعتقدون بضرورة الرجوع الى (بريطانيا العظمى) في كل الامور، صغيرها وكبيرها، وهكذا أمضى اللنبي ست سنوات من الصراع في متاهات السياسة الاستعمارية، اضطر بعدها مرغماً للاستقالة. وكان من الصعب على الحكومة البريطانية أن تجد من يحل محله، لا سيما بعد أن نجح في رسم سياسة وجدت لها أنصاراً في مصر وفي بريطانيا ذاتها.

ما ان عاد اللنبي إلى وطنه حتى استقبل استقبالاً يتناسب مع شهرته الجماهيرية، ومكانته الشعبية. وقد كان لانتصاراته العسكرية رصيدها الذي لا ينتقص، واذا ما كان هناك جدل كبير حول إدارته السياسية، فان كفاءته القيادية العسكرية بقيت بعيدة عن النقد أو التجريح. غير أنه لم يعمر طويلاً بعد عودته لوطنه، ولعل الانتقال المباغت من صخب الحياة العامة والسلطات الواسعة التي كان يعيشها في مصر إلى الحياة العزلة في زوايا النسيان قد أثرت في التعجيل بموته، ولقد قال عنه اعداؤه وخصومه: بأن الجهد الذي بذله هو الذي قتله.

* * *

لقد أمضى اللنبي معظم حياته العسكرية بعيداً عن الشهرة والأضواء، ولم تتفتح كفاءته القيادية الا عندما توافرت له الفرصة في بلاد

الشام. وكثير هم العسكريون الذين يمضون حياتهم في عمل جاد وجهد دؤوب من غير أن تتوافر لهم فرصة التعبير عما يتوافر لهم من القدرة والكفاءة. وتبقى ميادين القتال ومسارح العمليات هي المختبر العملي والواقعي لاظهار العبقرية العسكرية. إذ كثيراً ما سنحت الفرص أمام كبار العسكريين لتسجيل اسمائهم في عداد مشاهير قادة الحرب غير أنهم كانوا أعجز من أن يكتبوا سطراً يحق لهم الافتخار به. وهكذا فليست الفرصة وحدها كافية إن لم تتوافر الكفاءة لمن يريد اقتناصها. ولقد كان اللنبي قائداً توافرت له الكفاءة العالية لادارة الحرب على مسرح يختلف في طبيعته وظروفه كل الاختلاف عن بقية مسارح الاعمال القتالية التي عرفها. وقد أفاد من الفرصة، فاستطاع تسجيل اسمه في عداد مشاهير قادة العالم. وقد يكون هناك نوع من المبالغة في وصف أحد الكتاب له بأنه: واحد من أعظم القادة في عصره. غير أنه ليس من المبالغة في شيء القول بأنه قائد يتمتع بكفاءة عالية أهلته لاحراز اعظم الانتصارات.

المراجع الرئيسية للبحث

١ ـ الثـورة العربيـة الكبرى ـ اللواء الـركن مصطفى طـلاس ـ دمشق ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧م.

٢ ـ الحملات الحربية بفلسطين. الجيش المصري ـ القاهرة ـ طبع بالمطبعة الاميرية ببولاق ـ ١٩٣٨.

٣ ـ ادارة الحرب. الجنرال ج. ف. س. فوللر ـ تعريب اكرم ديري ـ دار اليقظة العربية. بيروت ـ ١٩٧١.

4 - MILITARY OPERATIONS IN EGYPT AND PALESTINE (CAPTAIN CYRIL) PRINTED WILLIAM AND SONS LTD. FALLS, 1930

5 - THE PALESTINE CAMPAIGNS (COL.A.P.WAVELL) C.M, G.M.C - 3RD EDITION, 5TH IMPRESSION, 1936 - CONSTABLE AND CO. LTD. - LONDON.

6 - THE WAR LORDS (FIELD MARSHAL SIR MICHAEL CARVER) WEIDENFELD AND NICOLSON - LONDON 1976.

6 - WHO'S WHO IN MITLITARY HISTORY. WEIDENFELD AND NICOLSON - LONDON 1976.

الفهرس

الفصل الثالث ٩١

صدر للمؤلف عن
المؤسسة العربية للدراسات والنشر

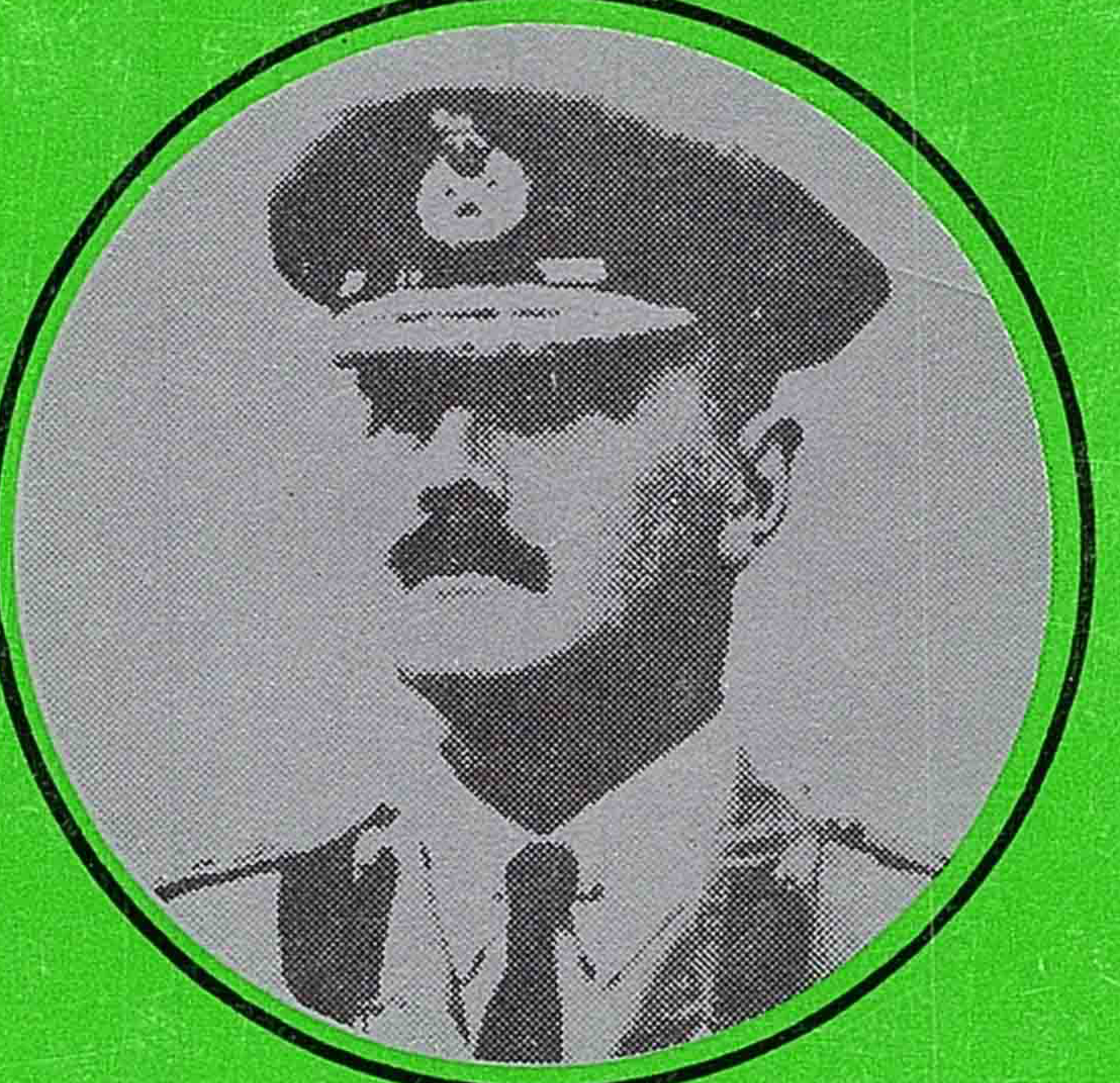
(أ) مجموعة مشاهير قادة العالم:

١ ـ الاسكندر المقدوني.
٢ ـ هانيبال (هاني بعل).
٣ ـ يوليوس قيصر.
٤ ـ مارلبورو.
٥ ـ فريدريك الكبير.
٦ ـ بطرس الاكبر.
٧ ـ جورج واشنطن.
٨ ـ نابليون بونابرت.
٩ ـ كوتوزوف.
١٠ ـ نيلسون.
١١ ـ بيجو.
١٢ ـ فون مولتكه.
١٣ ـ لودندورف.
١٤ ـ فوش.
١٥ ـ الجنرال اللنبي.

(ب) الحرب والحضارة.

(ج) مذكرة ليدل هارت (مترجم).

(د) الحرب المباغتة، والمباغتة في الحروب العربية الاسرائيلية (مترجم ومقدم له).



إذا عرف العالم اسم «اللنبي» خلال الحرب العالمية الأولى بسبب ما توافر له من الكفاءة القيادية فالعرب به أعرف، إذ ان هذا الاسم قد اقترن بالاستعمار الحديث الذي عرفته بلاد الشام تحت اسم (الانتداب).

لقد تميزت معارك الحملة البريطانية على بلاد الشام ـ من الناحية العسكرية ـ بمجموعة من الخصائص، لم يكن أقلها القدرة الحركية العالية للقوات ولا التنظيم الدقيق للإمداد الاداري، ولا الكفاءة العالية في تنظيم القوات وإدارة الحرب.

ولكن!! هل كانت النجاحات التي حققتها الحملة البريطانية استثماراً للنصر أم هل كان هدفها الهروب من الفشل الذي منيت به في عمليات القتال على جبهة الغرب، كما يرى ذلك كثير من الكتّاب والمعلقين العسكريين الغربيين؟ أم كان هدف تلك الحملة السياسي بقيادة اللنبي تمزيق وحدة العالم الاسلامي؟.

لقد عرف العربي كثيراً من الجوانب السياسية لتلك الحملة، لذلك فالتركيز في هذا البحث سيكون على الجانب العسكري وغيره من الجوانب الأخرى الأقل شهرة.

المؤسّسة العربيّة
للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون ـ ساقية الجنزير ـ ت ١/ ٨٠٧٩٠٠
برقياً «موكيالي» بيروت ـ ص. ب: ٥٤٦٠/١١ بيروت